دريـــة عـــونى

عرب وأكراد

خصام أم وئام

عرب وأكراد

خصام أم وئام

بقلم :

« دريـة عـونى »

●

إهـــداء ...

إلى والـــدى محمـد علـــى عونـــى.

واحد، من أوائل الذين عـرّفوا العرب بالكرد.

وإلى والدتى زينب التى ساندته بكل مصـــريتها

طوال الطـــــريق .

وإلـــى أســـتاذى أحـــمد بهـــاء الـــدين.

أول مـن شـــجعنـــى على الكـــتابـــة.

«دريـــة»

الفهـــرس

تمهيـــــد ٩

البـــــاب الأول

منشـــأ الكـــــرد ١٥

- من هم الكـــــــرد
- من أين جاء الكـرد
- جغرافية كردســتان
- اللغـــــــــــة
- الديانـــــــــة

البـــاب الثانـــي

العلاقات العربية الكردية منذ ظهور الإسلام ٤١
إلى انهيار الامبراطورية العثمانية

البـــاب الثـــالث

نهاية الامبراطورية العثمانية، وظهور تركيا الحديثة ٤٧

البـــاب الـــرابع

نشأة الدولة العراقية
النفط يقرر مصير كردستان ٥٥

البـــاب الخـــامس

العلاقات العربية الكردية
من استقلال العراق إلى حرب الخليج ٧٥

الباب السادس

وضع الأكراد فى تركيا ١٢١

الباب السابع

وضع الأكراد فى إيران ١٤١

الباب الثامن

وضع الأكراد فى سوريا ١٥٥

الباب التاسع

وضع الأكراد فى لبنان والاتحاد السوفيتى سابقا ١٦٧

الباب العاشر

العلاقات العربية الكردية ١٧٣

الباب الحادى عشر

نظرة مستقبلية ١٩٥

سيناريوهات محتملة

تمهيـــد

الرأى العام العربى، وأقصد بذلك رجل الشارع، وعددا غير قليل من المثقفين العرب، لا يعرف إلاّ القليل عن الشعب الكردى، وعن كل الأبعاد الاقتصادية والسياسية والجغرافية السياسية (جيو – سياسية) والثقافية والإنسانية للقضية الكردية، وتطورها، ونتائج هذه االتطورات على مستقبل المنطقة، كما أن قسماً كبيرا من الشعب العربى، لم تتح له فرصة الاطلاع على قصة طويلة لنضال شعب من أقدم شعوب العالم، فى سبيل الحفاظ على هويته، وتحقيق آماله القومية، وعلى مساهماته عبر التاريخ لدفع الركب الحضارى للإنسانية، وأخيراً، وليس آخراً على دوره الأساسى فى انتصار وانتشار الإسلام، بعد أن انتصر القائد الكردى صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين، وحرر القدس بعد معركة «حطين» .

وهذا الوضع، كما سنشرحه فى الكتاب، كان نتيجة للتجاهل والتعتيم الكلى الذى فرضته الأنظمة العربية، على كل ما يخص الكرد، سواء أكان ذلك فى الماضى، أو فى الحاضر، فكثير من العرب يعتقدون بأن صلاح الدين الأيوبى عربى .

اكتشف الرأى العام « العالمى والعربى » فى مارس ١٩٩١، ومن خلال شاشات التليفزيون مأساة هذا الشعب وهى فى قمتها .

لقد شاهد أكثر من مليون كردى، بين طفل وكهل وامرأة ورجل، وهم يصعدون إلى الجبال الشاهقة التى تغطيها الثلوج ، تاركين وراءهم كل مايملكون، هرباً من طائرات صدام حسين التى كانت تمطرهم بالقنابل الفتاكة، ومن جنوده الذين كانوا يطاردونهم بأسلحتهم المدمرة .

يذكر القارىء، صبيحة هزيمة صدام فى مارس ١٩٩١، حين، نادى زعماء العالم المتحالف ضد صدام، كما زعموا، وبلسان الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش، الشعب العراقى بأن ينتفض، ليتخلص من الطاغية الذى كان يحكمه، وفعلاً انتفض الشعب العراقى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. وإذ بصدام، ورغم كل الدمار والمآسى التى لحقت بشعبه على يد الحلفاء بسبب سياساته، يخرج من بين الأنقاض، ويسحق هذه المرة هو شخصياً، ماتبقى من شعبه، تحت نظر وبصر جيوش الحلفاء التى لم تحرك ساكناً، وهذا الفعل كان ضمن مخططاتها .

وبما أن موضوعنا يخص الكرد، سنحصر كلامنا عنهم، فما إن بدأت طائرات صدام تحلق فوق كردستان العراق، حيث لم يكف الكرد يوماً عن النضال فى سبيل حقوقهم القومية، ولم ينسوا مارس ١٩٨٨، حين قذفت طائرات مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية، قاتلة فى دقائق أكثر من ٦٠٠٠ كردى، – حتى هرع أكثر من مليون كردى، فى حركة شبه انتحارية فريدة من نوعها هرباً إلى الجبال، نحو تركيا وإيران .

وكأنهم أرادوا بهذه الصرخة المدوية، أن يدينوا سلبية المجتمع الدولى تجاه قضيتهم العادلة، لقد هزت هذه المأساة شعور الرأى «العالمى والعربى» الذى أصبح يريد أن يعرف أكثر عن هذا الشعب، وعن أسباب مأساته المروعة .

لم يجد القارىء فى المكتبة العربية، إلا القليل جداً من الكتب والمصادر التى تعرفه بالشعب الكردى، وبتاريخه بصورة موضوعية وعلمية، لم يجد كتباً تضع قضية هذا الشعب الذى يقدر عدد نفوسه بأكثر من ٣٠ مليون نسمة – فى إطار العلاقات العربية – الكردية، عبر التاريخ القديم والحديث. ولم يجد من المعلومات ما يؤهله، ويمكنه من تقييم هذه العلاقات، ايجابية كانت أم سلبية؟ وتأثيرها المباشر على الأمن، والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط .

هذا الكتاب الذى أقدمه للقارىء العربى، هو محاولة متواضعة لسد جزء من هذا الفراغ .

فالمسألة الكردية تطورت فى العامين الأخيرين، تطوراً جذرياً سريعاً، وأياً كان الاتجاه الذى يأخذه هذا التطور، فإنه سيكون له أكبر الأثر على الوضع العربى والإقليمى. فهناك بوادر واضحة لتطورات جديدة تشهدها المنطقة فى إطار النظام العالمى الجديد .

وقد حاولت من خلال أكبر عدد ممكن من الوثائق التاريخية، والمعلومات الموثقة والزيارات الميدانية، فى كردستان العراق، وفى تركيا، وخاصة المنطقة الكردية، والمقابلات مع كل من شارك، فى أخذ القرارات التى نسجت العلاقات العربية الكردية، من عرب وأكراد من قريب أو بعيد، أن أقدم للقارىء العربى مايساعده على تكوين فكرة. موضوعية واضحة، بقدر المستطاع، عن أصل هذا الشعب المتميز بشجاعته، وعن حضارته، وعن تاريخ نضاله الطويل، أو بطولاته التى فاقت أحياناً الأساطير، حسب رأى كثيرين ممن عرفوا وكتبوا عنه فى سبيل تأكيد هويته والحصول على حقوقه المشروعة .

وليطلع القارىء العربى على كيفية الوضع الجغرافى للشعب الكردى، ووطنه المجزأ بين عدة دول فى المنطقة، وهى تركيا وإيران والعراق وسوريا، وكيف أن الثروات الجمة الموجودة فى كردستان وخاصة النفط والماء وترسبات الماضى، كل ذلك سواء كان إيجابياً، (كالثروة)، أو سلبياً (التأخر) عرقلت تقدم هذا الشعب وحالت دون تحقيق أمانيه الوطنية .

يتطرق الجزء الأول من الكتاب إلى منشأ الكرد، وتاريخهم الحضارى منذ فجر التاريخ إلى اليوم. وكيف أن هذا الشعب قد عاش ويعيش منذ أكثر من ثلاثين قرناً، بصورة متواصلة على أرضه (كردستان) وأن له لغته وثقافته الخاصة به وعاداته وتقاليده. وكيف أنه عاش حقبات طويلة من تاريخه الطويل فى استقلالية، حيث مارس خلالها كل سيادته على أرضه .

يشرح هذا الجزء أيضاً كيف تبلور الشعور القومى للشعب الكردى، رغم تقسيمه، من خلال مئات من الثورات، والانتفاضات والحروب، إلى أن أصبح يطالب بحق تقرير المصير لشعب يفوق تعداده حوالى ٣٠ مليون نسمة، يعيشون فى أكثر المناطق حساسية فى المنطقة .

- الجزء الثانى من الكتاب سيتناول العلاقات العربية الكردية، منذ فجر التاريخ الى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وكيف كان الشعبان العربى والكردى، جنباً إلى جنب فى وئام، ثم فى تلاحم أيام الفتوحات الإسلامية، ثم فى خندق واحد فى مواجهة الهيمنة الفارسية والعثمانية، وبانتهاء الحرب العالمية

الأولى، انتهت هذه المرحلة فقد قسم الحلفاء المنطقة، إلى دول قامت على أشلاء الإمبراطورية العثمانية المنهارة، وفقاً لمصالحهم النفطية والاستراتيجية، لا حسب الحدود الطبيعية والاثنولوجية (العراقية)، واضعين بذلك بذور كل الحروب، والاضطرابات المهدرة للثروات البشرية والاقتصادية التى عرفتها، وتعرفها الآن المنطقة، والتى للأسف ستعرفها فى المستقبل، إذا لم يعد أهل المنطقة حساباتهم، وأن يأخذوا زمام أقدارهم بأيديهم .

– الجزء الثالث من الكتاب، يغطى المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩٢٠ إلى حرب الخليج ١٩٩١ . أى منذ إنشاء الدولة العراقية، من ثلاث ولايات كانت تحت الحكم العثمانى، اثنتان عربيتان (ولايتا البصرة وبغداد) (والثالثة كردية) ولاية الموصل أى كردستان العراق أو كردستان الجنوبية، نشرح كيف أن العلاقات العربية الكردية، دخلت مرحلة الصدام الذى تطور فى العراق، بالذات من تصادمات مسلحة فى الثلاثينات إلى حرب إبادة للشعب الكردى، من قبل الحكومات المتعاقبة، وبالأخص أثناء الحقبة الصدامية .

ونشرح كيف أن باقى الأنظمة العربية – إما من منطلق شوفينى، أو لأسباب داخلية (خاصة الدول التى بها أقليات) تضامنت على درجات متفاوتة، تبدأ بالصمت السلبى، وتصل إلى المساندة العسكرية، مع الأنظمة العراقية المتعاقبة ضد الشعب الكردى .

ويستعرض هذا الجزء العلاقات العربية الكردية فى الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٩١ بصفة عامة من خلال مواقف الجامعة العربية، ثم من خلال العلاقات الثنائية، أى علاقة كل الأنظمة العربية مع ممثلى الحركة الكردية فى العراق .

– الجزء الرابع : يتطرق بإيجاز إلى وضع الكرد فى سوريا، وتركيا وإيران، يسرد انعكاسات تطور القضية الكردية بعد عام ١٩٩١، وكيف أصبحت هذه القضية أحد أهم الأوراق المطروحة على مائدة عملية إعادة تخطيط المنطقة .

– الجزء الخامس والأخير : ينظر إلى المستقبل المحتمل، للوضع الجغرافى، السياسى، الاقتصادى الاجتماعى لكردستان من وجهة نظرى .

فقد أصبح من المستحيل فى نظرى، أن يستمر المجتمع الدولى فى تجاهل الحقوق القومية العادلة لأكثر من ٣٠ مليون نسمة، يعيشون على أرضهم ولكن تحت أربعة نظم مختلفة (تركيا - إيران - العراق - سوريا) ولم يكفوا عن النضال من أجل حقوقهم .

إن انهيار الاتحاد السوفيتى، الذى ترك الساحة فارغة أمام الغرب وحرب الخليج التى قسمت العالم العربى وأضعفته سياسياً، واستنزفته اقتصادياً، وهمشت دوره على المسرح العالمى إلى أقصى الحدود، كل ذلك زجع بالمنطقة، إلى حد كبير، إلى ما كانت عليه فى العشرينيات، مع فارق مهم جداً، ألا وهو دور الرأى العام خاصة فى الغرب، الذى أصبح لا يقبل، إلى حد ما، الاعتداء الصارخ على حقوق الإنسان .

فى العشرينات استطاع ممثلو القوتين العظميين ، انجلترا وفرنسا، تقسيم المنطقة، وهما جالستان فى مقاعد وثيرة داخل صالونات مخملية، وفى منأى عن الرأى العام وهذا صعب أن يحدث الآن لأن التطور الهائل الذى عرفته وسائل الإعلام منذ ذلك الحين، جعل من العالم قرية صغيرة، يشاهد أهلها أحداث العالم، وجعل للرأى العام العالمى، وخاصة فى الغرب، دوراً رئيسياً فى تسيير سياسة الحكومات الغربية .

وكان للرأى العام تأثير ضخم على الحكومات حتى أنه كان وراء صدور أول قرار من نوعه فى تاريخ الأمم المتحدة وكان مصادفة بخصوص أكراد العراق، والذى نتج عنه إقامة منطقة حماية على شمال العراق. (أى التدخل العسكرى لأسباب إنسانية أى القرار (رقم ٦٨٨) بعد ذلك كان دور الصومال ثم البوسنة والهرسك إلخ .

إذن ! يبدو من شبه المستحيل، أن يعاد تخطيط المنطقة دون الأخذ فى الاعتبار، مطالب حوالى ٣٠ مليون كردى، خاصة وأنه الشعب الوحيد فى العالم الذى يمثل هذا التعداد المهم، والذى لم يحصل بعد على حقوقه القومية والوطنية .

الاختلاف الآخر فى وضع المنطقة فى نهاية القرن العشرين، عنه فى وضعها

فى أوائل القرن، هو ظهور القوتين الإقليميتين (إيران - وتركيا)، مرة أخرى على المسرح العالمى بطموحاتهما المعلنة، فى إعادة بناء الإمبراطورية الفارسية (من منطلق إسلامى ادعائى) والامبراطورية العثمانية (من منطلق علمانى ليبرالى ادعائى) .

وهنا نطرح السؤال : أين الدور العربى ؟ لماذا يقف العالم العربى موقفا سلبياً، إن لم يكن معاديا تجاه هذه القضية ؟ رغم أنه ليس هناك أى تعارض، بين القومية العربية وطموحاتها، والقومية الكردية .

ونسأل هل هناك سياسة، أو حتى توجه عربى موحد لإشراك العالم العربى، فى رسم الخريطة الإقليمية الجديدة ؟ هل لدى العالم العربى خطة للتحييد السلمى للطموحات الإيرانية والتركية ؟

بعد الدراسة والزيارات التى قمت بها أخيرا إلى تركيا وكردستان العراق استطيع أن أقول : إن التعاون العربى الكردى كفيل بأن يحقق الاستقرار فى المنطقة .

كفى أن يتذكر العرب أن منابع نهرى دجلة والفرات اللذين يرويان سوريا والعراق ينبعان من كردستان تركيا (كردستان الشمالية) .

أليست هذه المشكلة وحدها كافية لإقناع العرب بضرورة التعاون العربى الكردى، مع العلم أن تركيا لم ولن تتوانى عن قطع المياه، عن العرب، خاصة وأنها شيدت السدود العملاقة اللازمة لهذا الغرض ؟

وإننا نطرح هذا التصور من منطلق إنسانى بحت، لا نميل فيه إلى أرومتنا العربية، حيث ولدت وتربيت على أرض الكنانة ، ولا إلى أصولنا الكردية تاريخيا (*) ولا إلى ثقافتنا الغربية حيث ترعرعت على ضفاف السين، لأن الحقيقة ناصعة بيضاء تتبختر بخيلاء لأنها هى الحقيقة، وهى الكفيلة بنشر رايات الاستقرار والطمأنينة والرخاء، على ربوع هذه المنطقة التى عانت كثيراً ومازالت تعانى، وإن التعاون العربى الكردى من خلال هذا المنطلق ومعرفة الآخر لهو الطريق السليم والوحيد .

(*) والدى محمد على عونى ، مصرى كردى الأصل .

الباب الأول

منشأ الكـرد

من هم الكـــرد :

الكرد شعب آرى من مجموعة الشعوب الهندو - أوروبية من العائلة الإيرانية التى تضم الشعوب الفارسية والأوردو والبلوچ والبشتون. له لغته الخاصة وهى اللغة الكردية وقد عاش الكرد على أرض كردستان الحالية بصورة مستمرة منذ فجر التاريخ، وواجهوا نفس المصير، وكونوا تراثاً أدبياً وفنياً وإنسانياً، وساهموا فى تقدم ركب الحضارة .

من حيث تعداد الكرد، فإنه من الصعب جداً، إن لم يكن من المستحيل، إعطاء رقم دقيق وحديث عن تعداد الشعب الكردى اليوم - أقل رقم ذُكر هو ٢٥ مليون نسمة، وهناك من يقول: إنهم تعدو الـ ٤٠ مليون نسمة .

فى تقديرنا، بعد أن أخذنا بنظر الاعتبار المصادر التاريخية والتطورات الديموغرافية للدول التى يعيشون داخل حدودها السياسية، والتصريحات الرسمية لمسئولى هذه الدول، نستطيع أن نقول إنهم بين ٣٠ و ٣٥ مليون نسمة.

كردستان مقسمة حالياً سياسياً بين خمس دول: تركيا (من ١٢ إلى ١٦ حسب التقديرات الموضوعية) إيران (من ٦ إلى ٨ ملايين)، العراق، (من ٤ إلى ٥ ملايين)، سوريا (مليون ونصف مليون) الاتحاد السوفيتى سابقا (أرمينيا حاليا) بضعة آلاف .

يعيش ٢٢ مليون كردى على أرض كردستان، والباقى هاجر وهجر إلى مناطق غير كردية فى الدول التى تتقاسم كردستان أو فى دول أخرى .

تعيش مجموعات من الكرد الآن فى : لبنان - اليمن - باكستان - أذربيجان - أفغانستان - جورجيا - كازاخستان - تركمنستان، وفى أوروبا، خاصة ألمانيا والسويد وأمريكا، ويقدر عدد هؤلاء بأكثر من مليون كردى .

والكرد حاليا هم المجموعة العراقية الوحيدة فى العالم التى يبلغ تعدادها أكثر من ٣٠ مليوناً والتى لم تحصل بعد على حقوقها القومية، وهم من حيث التعداد ثالث مجموعة فى آسيا الصغرى والشرق الأوسط بعد العرب (١٦٠ مليوناً) والترك (٦٠ مليوناً) .

تعد الفترة المحصورة بين القرن العاشر قبل الميلاد، والقرن الثالث قبل الميلاد، هى أهم فترة فى تاريخ الشعب الكردى. لأنها تثبت أنه كان من أوائل الشعوب التى طورت الزراعة، والصناعة، ومن أوائل الشعوب التى تركت الكهوف لتعيش فى منازل بها أدوات منزلية متطورة للاستعمال اليومى. وقد كانت منطقة كردستان مسكونة منذ ذلك الزمن (*) .

تؤكد ذلك دراسات علمية عن تلك الفترة، سواء كانت حديثة أو قديمة، وتستند على أبحاث أركيولوجية. ونباتية وحيوانية فى منطقة كردستان، وتثبت هذه الدراسات الأهمية الكبرى للشعب الكردى فى تطور الحضارة منذ البداية .

وتذهب هذه الأبحاث إلى حد القول: «إن التقدم التكنولوجى الذى حدث وخاصة فى الآلات الزراعية فيها، قد غير من مجرى تاريخ البشرية، وأسرع من التطور التكنولوجى فى ميزوبوتاميا السفلى فى القرن الخامس قبل الميلاد، وكان قد مهد له ما حدث فى ميزوبوتاميا العليا منذ القرن العاشر قبل الميلاد » .

اكتشفت الكهوف المسكونة - الباليوليتيك ، والميزوليتيك (أى التى يرجع تاريخها إلى مرحلة ما قبل القرن العاشر الميلادى) بكثرة فى كردستان، كما وجدت أيضاً فى أماكن كثيرة من الشرق الأوسط وأوروبا، فالكهوف الموجودة فى بهيستون (جنوب كردستان) يرجع تاريخها إلى مائة ألف سنة قبل الميلاد، وكهف شانيدار (٣٠ كم شمال مدينة عقرة الحالية فى كردستان العراق) يرجع تاريخه إلى ٥٥ ألف سنة قبل الميلاد .

(*) أنظر المصادر ، وخاصة أعمال بريدوود .

تختلف مرحلة نيوليتيك فى كردستان، إذ لأسباب مجهولة للآن، انتقلت المنطقة بسرعة من مرحلة الصيد والقنص وقطع النباتات البرية الى مرحلة الانتاج الزراعى أى الزراعة وتطوير المحاصيل، وتربية المواشى والحيوانات الأليفة .

وقد وجدت هياكل ماعز، وكلاب وخنازير، فى ثلاثة أماكن أثرية فى كردستان، فى منطقة تشايونو على بعد ٥٠ كم من ديار بكر كردستان تركيا، كانج جارا بالقرب من كرمنشاه كردستان إيران، يرجع تاريخها إلى عشرة آلاف عام قبل الميلاد، ومنطقة جارمو القريبة من مدينة السليمانية يرجع تاريخها إلى ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد.

ويؤكد بريدوود فى ١٩٦٠ أن الزراعة وتطوير المحاصيل قد وجدا فى كردستان من ١٢ ألف سنة، ثم انتشرت منها إلى ميزوبوتاميا السفلى، ثم إلى غرب الأناضول ثم إلى الهضبة الإيرانية، ثم وصلت منذ ثمانية آلاف سنة إلى شمال أفريقيا، ثم أوروبا والهند إلخ....

ويقول بريدوود ، إن كثيرا من المحاصيل التى نعرفها الآن، القمح والذرة والشعير الخ، انطلقت من كردستان منذ القرن التاسع قبل الميلاد.

أما الصناعة، يؤكد بريدوود (١٩٦٩) وكالدويل (١٩٦٧) أن منطقة تشايونو (والتى اسمها بالكردى آمدة قبل التتريك ومعناه النحاس) تجعل تركيا حالياً، من أهم مصدرى هذا المعدن فى العالم، وقد ثبت بأنها واحدة من أهم منطقتين فى العالم كانا أول من أقاما صناعة للحديد.

وقد ظهرت فيها الأدوات النحاسية فى القرن الخامس قبل الميلاد، والأدوات البرونزية فى القرن الرابع قبل الميلاد، أى قبل ألفى سنة من ظهور هذه الأدوات فى أوروبا .

لهذا يقول بريدوود: إنه يمكن أن يطلق على تشايونو اسم أقدم منطقة صناعية فى العالم. كما عثر على ألواح من الصلصال دون عليها التبادل التجارى.

إن المناطق الكردية: تشايونو، وجارمو، وتاباجورا، كالمنطقة الفلسطينية أريحا،

كانت أولى المدن فى العالم التى عرفت أول تجمعات حضارية، وكان سكان كل مدينة يتراوح مابين ألف وألف وخمسمائة نسمة، فى حين كان أغلب سكان العالم لا يزالون يسكنون الكهوف .

وقد عثر علماء الآثار على قطعة قماش تعود إلى ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد، فى منطقة تشايونو (*) ، وكانت أقدم المنسوجات التى عثر عليها من قبل ترجع إلى الفترة بين العامين ٦٥٠٠ . ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وبالتالى هذا الاكتشاف مهم للغاية، لأنه يعنى أن تاريخ المنسوجات أقدم بكثير مما هو معروف. وتشهد هذه المنطقة نشاطاً مكثفاً لعلماء الآثار، فى جامعتى شيكاغو واستنبول منذ ثلاثين عاماً .

يؤكد كثير من العلماء أن بناء السدود مثل سد أتاتورك فى تركيا، ودوكان، ودربندخان، فى العراق أدى إلى طمس رقعة من كردستان تضم كنوز أروكيولوجية عن بداية حضارة الإنسان ، وقد ضاعت إلى الأبد إذ إنه لم تتم أية تنقيبات فى هذه المناطق قبل غرقها. مثلما حدث فى النوبة قبل بناء السد العالى

وعلى الرغم من قدم هذه الحضارة، هناك عوامل طبيعية أدت إلى تطور، ولكنه ليس سريعاً كما حدث فى السهول، فجبال كردستان الشاهقة، كانت ومازالت سداً منيعاً وقلاعاً طبيعية تحميها من الغزوات .

لم يجد الأكراد ضرورة من إقامة الجيوش الكبيرة. ومايلزمها من استحكامات وإدارة وبالتالى إقامة المدن الكبيرة مثل ماحدث فى ميزوبوتاميا السفلى، فالمدن السومرية والأكدية مثل أور وأوروك، ونيبور، كان سكانها عشرة أضعاف سكان المدن الكردية .

وتديجياً تطورت الحضارة بسرعة فى هذه الأماكن، حتى أصبحت تضاهى وتسبق حضارة ميزوبوتاميا العليا لتنقلها من مرحلة « ماقبل التاريخ» إلى بداية التاريخ(*)

★ الحياة اللندنية فى ١٤ / ٧ / ١٩٩٣ عن اشوسيتيد برس . – ★ هناك أثران لهذه الجبال، إيجابى وسلبى على تطور الشعب الكردى، من ناحية ساعدته على الاحتفاظ بهويته، ولغته وتقاليده وثقافاته على مر القرون، رغم كل الغزوات ، ومن ناحية أخرى عزلته الى حد كبير عن ركب المدنية رغم أنها بدأت هناك كما يذهب الى ذلك البعض .

تذهب الموسوعة الأثرية العالمية إلى القول، بأنه وجدت أدوات من العصر الباليوليثى بتلال كردستان الوسطى فى قرية « بردة بلكه » وطفل نياندرثالى بكهف شانيدار (٣٠ كم شمال مدينة عقره - كردستان العراق) .

وتنقل الموسوعة عن ماقام به الألمان والمدرسة البريطانية للآثار من أعمال، حيث إنهم اكتشفوا أجمل أشغال العاج التى كُشف عنها حتى الآن، وأقدم كتاب أيضا (٧١٥-٧١١ ق.م) والمعاهدات التى عقدها أشور مع الميديين فى ٦٧٢ ق.م.

أما بالنسبة لكلمة كردستان: لم يطلق اسم كردستان على المنطقة المسكونة بالكرد منذ فجر التاريخ، إلا فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد .

فـفى عـام ١١٥٠م أنشـأ السلطان سنجـار السلجـوقى ولاية كـردية باسم كردستان (أرض الأكراد) وكانت عاصمتها باهار وتوجد بجوار أكتبان التى كانت عاصمة الامبراطورية الميدية وقد دخلت فى حدود هذه الولاية مناطق نجار، شهرزور، كرمنشاه اى أغلب كردستان المقسمة بين العراق وإيران حالياً (*)

من أين جاء الكرد :

إن الرقعة الأرضية، والتى سنشير إليها بكلمة كردستان، والتى يعيش عليها الكرد وأجدادهم منذ فجر التاريخ، تعتبر بإجماع المؤرخين مهداً للحضارة.

هل كان الكرد هم سكان هذه المنطقة منذ فترة ماقبل التاريخ إلى الآن؟ أم كانت هناك شعوب أخرى تسكنها قبل الكرد ؟

إن هذه المنطقة قد أثارت، وتثير اهتمام الباحثين والعلماء والمؤرخين، لموقعها المهم كمهد للحضارة وللإنسانية.

وقد ظهرت عدة مدارس لدراسة كل مايحيط بالشعب الكردى وأصله ولغته وحضارته. ونذكر بالذات المدرسة الروسية، والمدرسة الألمانية والفرنسية والإنجليزية. ويلاحظ اختفاء المدارس التى تنبع من منطقتنا وحضارتنا .

وبما أن هؤلاء الباحثين من خارج المنطقة يطلق عليهم - المستشرقون. وهم الذين أوجدوا ماأطلق عليه بعلم «الكرد يولوجيا» .

(*) حاليا لا توجد على الخريطة السياسية للعالم كلمة كردستان إلا لمحافظة واحدة من المحافظات الكردية فى إيران وهى محافظة «سِنَة» أو «سَنَنْدَجْ» .

وقد عرفت هذه المادة دفعة كبيرة بفضل الاكتشافات الأثرية بالذات التى تحدثنا عن بعضها سابقاً .

يؤكد كثير من الباحثين والمهتمين بالمنطقة، أن هذه الدراسات كان لها أن تتقدم أسرع من ذلك، لولا الوضع السياسى للمنطقة والعراقيل، بل الحذر الذى تضعه الحكومات التى تتقاسم كردستان (تركيا - إيران - العراق - سوريا) أمام بعثات التنقيب والحفريات فى المناطق الكردية .

فيما يخص الفترة التى تبدأ فى القرن السابع ق.م، والتى انتهت بانتصار الميديين على الأشوريين فى نينوى (الموصل الآن) هناك شبه إجماع على أصل الكرد على أنهم أحفاد الميديين، من الجنس الآرى من العائلة الإيرانية التى هى فرع من العائلة الهندو - أوروبية .

ولكن يختلف الباحثون حول هذا الموضوع بخصوص الفترة السابقة للقرن التاسع ق.م، ويقول القسم الأكبر منهم إن الكرد جاءوا من الشرق مهاجرين إلى المنطقة التى يسكنونها الآن، على مدى عدة قرون من القرن ١٢ ق.م إلى ٩ ق.م، وقسم آخر، وهو أقلية يقول إنهم كانوا السكان الأصليين لهذه المنطقة منذ فجر التاريخ .

رغم أننا نعتقد بأن أغلب الشعوب المعاصرة، لها ارتباطات صميمة بظواهر الحضارة المتباينة، وقد انحدرت من عدة عناصر مختلفة، ولا يمكن ربطها بمجموعات بشرية صغيرة أو قبلية معينة محددة الأوطان، وبالتالى لا نعتقد بأن هناك شعوباً «نقية» لم يمتزج داخلها أكثر من جنس، إلا أننا حرصنا على طرح النظرتين الرئيسيتين، حتى ولو كانتا تخصان مرحلة ما قبل القرن السابع ق.م. لنعطى من يريد التعمق فى هذا الموضوع الخطوط الأولى، وكذلك لنعطى كل ماأطلعنا عليه من مصادر موثوق من قيمتها العلمية .

يبدو أن الذى تسبب فى إيجاد هذا الخلاف، هو أن أسماء السكان الأصليين لكردستان منذ ما قبل التاريخ تتشابه إلى حد كبير، باسم الكرد كما يؤكد على ذلك أغلب الباحثين.

فالنظرية التى تقول: إنهم جاءوا من الهضبة الإيرانية فى الشرق، ونزحوا الى الغرب، هى التى تلقى أكبر تأييد من العلماء، وأهم من طرحها وشرحها هو العالم الروسى «فلاديمير مينورسكى» وهو أحد كبار المستشرقين العالميين الذين أولوا القضية الكردية اهتماماً فائقاً والتى سنسميها بالنظرية الأولى .

الجدير بالذكر، أنه طرح هذه النظرية أول مرة فى كتاب له صادر عام ١٩١٥ عنوانه: «الاكراد ملاحظات وانطباعات» ثم أكدها وأضاف إليها بعد خمسين سنة فى رسالة وجهها عام ١٩٦٦ (قبل وفاته عام ١٩٦٩) إلى العالم الكردى السوفيتى «ق - كوردييف» بعنوان : «الاكراد، أحفاد الميديين» .

وقد اعترف المؤرخ الكردى الكبير محمد أمين زكى، بأنه لم يقدم على وضع كتابه المعنون «تاريخ الكرد وكردستان» لولا اطلاعه على بحث مينورسكى .

وملخص النظرية الأولى : الشعب الميدى (شعب آرى هندو - أوروبى) بعد أن احتل منطقة جنوب بحيرة «أورمية» (حالياً داخل إيران) وأسس امبراطورية ميديا الصغرى (حالياً تسمى بأذربيجان) هاجر خلال القرن الثامن ق.م، من الهضبة الإيرانية إلى كردستان الحالية واستقر فى المنطقة المحصورة بين غرب بحيرة «أورمية» وجنوب بحيرة وان (تركيا) .

كانت تعيش، حسب النظرية نفسها، فى هذه المنطقة شعوب أخرى لها أسماء متشابهة للكرد القادمين من الشرق. وقد اندمجت هذه الشعوب المحلية كلياً فى الشعب المهاجر، وصاروا أمة واحدة على مدى السنين، وفى بداية القرن التاسع قبل الميلاد بدأ تحول الأكراد من شعوب مختلفة (سامية، قوقازية، آرية) إلى شعوب آرية - هندو - أوروبية، لغتها آرية من العائلة الإيرانية وقد تم ذلك فى حوالى ٢٠٠٠ سنة .

وتأكيداً لهذه النظرية التى تقول بأن الشعوب التى كانت تسكن المنطقة، كانت لها أسماء متشابهة، باسم الكرد الوافدين أو مايشابهه فى الألواح الأشورية والبابلية، وقد ذكرها المؤرخ اليونانى هيرودوت. ثم ذكرها المؤرخ اليونانى سترابون وبعد ذلك جاء ذكرها فى التلمود والإنجيل والقرآن .

كما أن المؤرخ اليونانى «اكسينوفون» † (Xenophon)يذكر فى كتاب «الزحف» أو « آنا بازيس» سرده لرجعة العشرة آلاف يونانى بين سنة ٤٠٠ - ٤٠١ ق.م حينما قال إن : «العشرة آلاف يونانى اضطروا إلى التقهقر من بلاد العجم إلى الشمال، وأنهم مروا فى طريقهم إلى البحر الأسود من المنطقة الممتدة من جبال «رواندوز» (كردستان العراق) إلى جبال «درسيم» وإرذنجان (كردستان تركيا) بأمة ذات بطش وجلادة تسمى «كاردوخ» وأنهم اعترضوا سبيلهم وقاوموهم أشد مقاومة» .

منذ ذلك الوقت واسم «كرد» أو تحريفه حسب لغة الغازى أو المؤرخ، من آشوريين، وإغريق، وأرمن، ورومان - وعرب.. إلخ، يطلق على هذه المنطقة .

وقد عرفت هذه المنطقة بين المسلمين والعرب مثل الطبرى والبلاذرى باسم بقردى ويقول ياقوت الحموى نقلاً عن ابن الأثير إن «بلاد بقردا قسم من بلاد جزيرة ابن عمر فكان بها مائتا قرية وضيعة ومدن» .

هذا وقد اندثر أخيراً اسم «باكاردا - بقردا» الذى كان يطلق فى أوائل العهد الاسلامى على المنطقة كلها . وحل محله فى الكتب الإسلامية والعربية أسماء أخرى مثل «جزيرة ابن عمر» أو «بوهتان». كما ورد فى الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى مانصه: «وكان جنوح سفينة نوح عليه السلام واستقرارها على رأس الجودى، جبل بقردى وبازبدى» كما يشير القرآن الكريم فى آية (واستوت على الجودى....) .

وقال الطبرى : « خرج الرشيد فى سنة ١٧٤ هجرية إلى باقردى وبازبدى وبنى بباقردى قصراً فقال الشاعر فى ذلك :

بقـــردى وبـازبـدى مصـيف مـربـع

وعـذب يحـاكى السلسـبيل بـردوة

وبغـــداد مـا بغـــداد أمـا تـــرابـها

فجـمر وأمـا حـــرها فشـديـد »

★★★

النظرية الثانية : والتى يتزعمها العالم السوفيتى ن.ج. مار وقد طرحها عام ١٩١١ ويؤيدها معه عدد من الباحثين: يقول الكرد هم السكان المحليون للمناطق الجبلية لآسيا الصغرى. وإن اللغة الكردية تكونت فى هذه المناطق ولم تتكون فى مناطق أخرى .

مينورسكى ومن يؤيدونه وهم الأكثرية. وكذلك ن.ج. مار يتفقون على أن العنصر الميدى هو عنصر أساسى فى التكوين العرقى للشعب الكردى .

جغرافية كردستان .

بسبب الحروب، والهجرات، والتقسيمات التى عرفها الشعب الكردى، وعرفتها أرضه التى عاش عليها عبر التاريخ، ولأن كردستان لا تؤلف حالياً دولة لها حدود معترف بها دوليا، فإننا لا نجد خريطة محددة واضحة لكردستان، ولكن بين الخرائط الموجودة لا يوجد خلاف جوهرى بين المؤرخين. والخلاف الموجود لا يخص إلا مساحات صغيرة .

هناك بعض الأكراد، وعدد غير قليل من المستشرقين خاصة المستشرق فلاديمير مينورسكى، يؤكدون أن كردستان تمتد جنوباً إلى شط العرب (كردستان إيران)، و غرباً إلى خليج الإسكندرية (تركيا) على البحر الأبيض المتوسط .

لقد حاولنا لتحديد كردستان أن نطلع على أكبر عدد ممكن من الخرائط التاريخية، خاصة ماوجدناه فى أرشيف الوثائق البريطانية (كخرائط مارك سايكس والعقيد كارتسوف، وخريطة شريف باشا التى قدمها باسم الوفد الكردى أثناء المفاوضات بخصوص تكوين دولة كردية عقب الحرب العالمية الأولى. عام ١٩٢٠ م لمؤتمر باريس).

كذلك اطلعنا على كثير من الخرائط التى طبعت حديثاً، واعتمدها الشعب الكردى، والمتخصصون فى المسألة.

نستطيع أن نقول، دون أن نكون بعيدين عن الحقيقة بكثير، إن كردستان تمتد شمالاً من سلسلة جبال أرارات الفاصلة بين الحدود السياسية لايران، وأرمينيا

وتركيا والحدود الوطنية للكرد والفرس والأرمن شمالاً إلى جبال حمرين الفاصلة بين العراق العربى (ولايتى بغداد والبصرة) وبين كردستان العراق أى كردستان الجنوبى (ولاية الموصل العثمانية) جنوباً.

وشرقا من اقصى لورستان فى إيران (*) إلى ولاية ملاطية بتركيا غرباً (على بعد ٢٠ كم من البحر الأبيض المتوسط).

تقدر مساحة كردستان بأكثر من ٥٠٠,٠٠٠ كم٢ أما الكاتب الفرنسى لـ رامبو فإنه يقدر هذه المساحة بـ ٥٣٠,٠٠٠كم٢ والكاتب الفرنسى الآخر اليزيه ريكلوز يقدر مساحتها بـ ٥/٤ مساحة فرنسا.

وكردستان بلد جبلى، تحتضن جباله سهولاً خصبة، ترويها أنهار عديدة، أهمها الفرات ودجلة اللذان ينبعان من أرضها، وروافدهما كالزابين (الكبير والصغير) وسيروان وخابور. وتكثر فيها العيون والنهيرات والجداول.

بجانب الأهمية الاستراتيجية لمنطقة كردستان، فإنها تملك ثروات معدنية ونفطية ومائية وزراعية هائلة. فتمتاز بخصوبة أرضها وكثرة فواكهها. وتحيط بها القمم الشاهقة التى وصفها الرحالة (سركون) بأنها كالخناجر المصوبة نحو الفضاء. فمثلا تقع جبال «جودى» عند الساحل الأيسر من نهر دجلة حيث تقول الأساطير الشرقية بأنها مهبط نوح.

تغطى الغابات مساحات من كردستان. فمثلا ٢٣٪ من كردستان الجنوبية (العراقية) كانت تغطيها الغابات التى كانت تدر عائداً مهماً جداً للعراق. وهذا قبل أن تحرقها وتدمرها الحروب المتتالية.

★ هناك خلاف حول ماإذا كان اللور من الأكراد، اليوم حوالى ثلثى اللور يعتبرون انفسهم اكراداً وكثير من المستشرقين يعتبرنهم اكراداً وهذا الخلاف يأتى من حساسية وضع لورستان، إذ إنها تطل على الخليج وإذا اعترف بها كردية، وفى الوقت نفسه إذا طالب سكان عربستان (التى تسمى الآن خوزستان) بعروبتهم، فينتج عن ذلك ألاّ يوجد لإيران منفذ على الخليج ومن ثم لا يسمى بالخليج الفارسى - انظر المصادر بهذا الخصوص، بالإضافة الى ذلك، توجد تجمعات كردية كبيرة، هاجرت على مر السنين من الشمال الى الجنوب الى شواطىء شط العرب.

الثروات المائية :

تزخر كردستان بالموارد المائية، ففيها أكثر من عشرة آلاف ينبوع، وبها عديد من مساقط وشلالات المياه والبحيرات الطبيعية. كل ذلك يشكل قوة صناعية هائلة، سواء لتوليد الطاقة الكهربائية أو الزراعة. ونذكر أن المنابع والروافد الأساسية لنهرى دجلة والفرات تبدأ من كردستان (تركيا) فلا عجب أن أهم وأكبر السدود مثل (مشروع جنوب شرق الأناضول) وسد «كبان» على نهر الفرات (تركيا وسدى «دوكان» «ودور بندخان» على نهر الزاب وسد صدام فى الموصل على نهر دجلة (العراق) تقع جميعها على أرض كردية .

وقد شيدت سدود فى تركيا بالذات، بحيث تتحكم حكومة أنقرة فى مقادير المياه التى تخص العراق وسوريا. وهناك مشاكل خطيرة بين تركيا والعراق وسوريا بسبب مشكلة المياه.

كما أن تركيا تستغل قلة المياه فى دول الخليج وتطرح عليهم فكرة إنشاء خط أنابيب السلام، الذى سيمر بهذه الدول وكذلك بإسرائيل .

وهكذا أصبح فى يد تركيا. عدة أوراق لنشر نفوذها، فى الخليج وللضغط على الدول العربية خاصة سوريا والعراق بواسطة الثروة المائية الموجودة على أرض كردستان .

الثروات المعدنية :

يأتى النفط على رأس هذه الثروات، سواء فى كردستان العراق أو تركيا أو ايران وسوريا، فلا عجب فى ذلك، لأن كردستان تقع على مقربة من أغنى حقول النفط فى العالم، أى منطقة الخليج العربى، يقدر احتياطى النفط فى كردستان ككل بأكثر من خمسة وأربعين مليار برميل أى أكثر من احتياطى الولايات المتحدة.

ففى كردستان العراق يوجد النفط بوفرة فى حقول كركوك، وعين زالة، وخانقين. وفى كردستان تركيا يوجد النفط فى دياربكر وباطمان، وفى كردستان إيران يوجد فى منطقة كرمنشاه وقصر شيرين وخانة، وفى سوريا يوجد النفط فى منطقة الجزيرة (الكردية) .

بجانب النفط يوجد كثير من المعادن المهمة مثل الكبريت والفوسفات واليورانيوم والذهب والنحاس والفضة والحديد والرصاص والزنك والنيكل والرخام والمرمر. كما ذكرنا سابقاً، وجود هذه المعادن بكثرة، ساعد على تحويل منطقة تشايونو بجوار ديار بكر إلى انتقال الإنسان فى هذ المنطقة من العصر الحجرى إلى العصر البرونزى قبل ٨٠٠٠ سنة ق.م .

هذه المنطقة تنتج ٢٪ من إنتاج النحاس فى العالم، و٨٪ من إنتاج الكروم، حسب الإحصائيات العالمية لعام ١٩٧٠. فى الجنوب الشرقى لمدينة أربيل يوجد أكبر مخزن للكبريت الحجرى، وقد بدأ النظام العراقى من سنين فى استغلاله .

اللغـــة :

للأكراد لغة مستقلة، خاصة بهم، وهذه اللغة تنتمى إلى عائلة اللغات الإيرانية، وهى التى تجمع كلاً من اللغة الفارسية، والأفغانية والبلوجية والبشتون والطاجيك والاسيتينية . بمعنى أن مصدر هذه اللغات واحد، وهو الآرى الهند- أوروبى، مع احتفاظ كل لغة بخصوصيتها، كما هو الحال بالنسبة للأصل اللاتينى لكل من اللغة الفرنسية، والإيطالية، والأسبانية .

إذن اللغة الكردية ليست لغة مشتقة عن اللغة الفارسية التى هى الأخرى تدخل العائلة نفسها. فهى لغة مستقلة تماماً، لها تطوراتها الحقيقية القديمة، وقد ثبت أن اللغة الكردية أقدم من اللغة الفارسية القديمة المكتوب بها لوحة (دارا) الشهيرة .

وقد كانت اللغة الكردية تكتب قبل الإسلام من اليسار إلى اليمين، بأبجدية مستقلة لها شبه كبير بالأبجدية الآشورية والأرمينية. وتركت هذه الأبجدية بعد الإسلام اكتفاءً بالأبجدية العربية، أما فى تركيا فقد فرض كمال أتاتورك العلمانى الذى كان عدواً للإسلام وللعرب. الحروف اللاتينية. ولهذا فالكردية فى تركيا تكتب بالحروف اللاتينية .

وتنقسم اللغة الكردية إلى لهجتين أساسيتين: هما الكرمانجية، والسورانية، فالأولى يتكلم بها الأكراد الساكنون فى كردستان تركيا، وقسم من أكراد كردستان العراق فى (محافظة دهوك)، وكردستان سوريا، والجزء الشمالى

الغربى فى كردستان إيران. أما اللهجة السورانية فيتكلم بها أكراد السليمانية وأربيل وكركوك (كردستان العراق) وأكراد كردستان إيران. (إلا الشمال الغربى منها كما ذكرنا سابقا) .

وهناك لهجات أخرى تعتبر ثانوية. مثل الزازائية التى يتكلم بها أكراد شمال كردستان فى مناطق «أرزنجان» – «خربوط» «درسيم» (تركيا)، واللهجة اللورية، ويتكلم بها أكراد إيران فى «كرمنشاه» و «لورستان» .

بعد ظهور الإسلام بقيت اللغة الكردية متخلفة كلغة أدب وكتابة، طوال قرون وإن ظلت على تماسكها للمتكلمين بها لأسباب عديدة منها أن الكرد توجهوا إلى العربية أو الفارسية، وهما لغتان كتبتا عن الإسلام. واشبعتا الرغبة الكردية .

أما الشعر الكردى فقد ظهر فى القرن السابع عشر مع أول ملحمة شعرية (مم وزين) وهى ملحمة كردية عن الحرب للشاعر والفيلسوف أحمد خانى أول من نادى بتوحيد كردستان، أما الشعر الحديث فهناك عشرات الكتاب والمبدعين من مختلف الأجيال، يكتبون باللغة الكردية، أما الرواية فلم تظهر إلا بعد الحرب العالمية الأولى، بعد إقامة جمهورية مهاباد (١٩٤٦) فى كردستان إيران .

الديـانـة :

قبل ظهور الإسلام، كان الدين الوطنى فى كردستان هو «دين زرادشت». الذى لم يعرف إلا بين الأقوام الآرية، إذ كان ديناً سائداً عاماً بين الآريين. وبالرغم من مرور عصور عديدة على انقراض هذا الدين، مازال يوجد فى انحاء كردستان، من هم متمسكون به، ويسمون باسم «اليزيديين» نسبة إلى «يزدان» وهى تعنى باللغة الكردية «الله» ومركزهم فى منطقة (شيخان) (كردستان العراق) وأغلب الظن – حسب المصادر الغربية، أن اليزيدية هى امتداد للزرادشتية بعد أن أضيف إليها من عدة أديان مختلفة، آخرها كان الإسلام.

وقد انتشر الإسلام على يد خالد بن الوليد، وعياض بن غنيم الصحابيين الشهيرين وكان الجيش العربى الإسلامى قد وصل بفتوحاته إلى حدود كردستان فى (١٨هـ أو ٦٤٠م) أى بعد سقوط المدائن عاصمة الساسانيين فى ٦٣٧م. وقد

غزا العرب المسلمون كردستان، وجعلوها تحت الحكم العربى الإسلامى المباشر، خلال الفترة الممتدة من القرن السابع، حتى القرن الحادى عشر بعد الميلاد، ومنذ ذلك الوقت، والغالبية العظمى من الأكراد مسلمون على المذهب السنى الشافعى، ويوجد الآن أكثر من ستة ملايين كردى شيعى منهم ثلاثة مليون فى كرمنشاه (إيران)، كذلك يوجد أكراد علويون، وهم فرع من الشيعة يوجدون فى تركيا فى منطقة ظاظا (درسيم) و (العزيز)، ويتفرع منهم أهل الحق والعلى الإلهى وغيرهم إضافة إلى المسلمين، كما يوجد مسيحيون، تنتمى الأغلبية منهم إلى الشعب الآشورى الذى حكم نينوى قبل الميلاد. وهناك قلة قليلة تعتبر نفسها من أصل كردى، كذلك كانت توجد أقلية يهودية كردية فى العراق، هاجرت إلى إسرائيل بعد عام ١٩٤٨، وهى الآن تشكل جالية كردية يهودية تعدادها حوالى ١٠٠ ألف كردى فى إسرائيل .

كان الأكراد، انطلاقاً، من نزعتهم الاستقلالية، وحرصهم على الاحتفاظ بهويتهم، قد اعتنقوا الإسلام السنى لتأكيد اختلافهم عن الإيرانيين الشيعة، اختاروا الشافعية من المذهب السنى، لتأكيد اختلافهم عن الاتراك السنة الحنفيين. ومع ذلك فقد استغل الحكام الأتراك، كون الكرد سنة فى تنافسهم مع إيران .

وينتمى بعض شيوخ الأكراد ورؤساؤهم الدينيون، خاصة فى شمدينان (كردستان تركيا) وشهر زور (كردستان العراق) إلى بعض الطرق الصوفية النقشبندية والقادرية .

المصادر :

- (من هم - من أين جاءوا - الجغرافية - اللغة - الديانة)

محمد أمين زكى : «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» باللغة الكردية ترجمه وعلق عليه بالعربية :

محمد على عونى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٣٦ .

- الأمير شرف خان البدليس : «شرفنامه» بالفارسية

ترجمة عربية :

محمد على عونى - القاهرة ١٩٥٦

- د. بله - ج . شيركوه : «القضية الكردية - ماضى الكرد وحاضره » .

- مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٣٠

(بله شيركوه هو الاسم المستعار لمحمد على عونى)

ڤ - مينورسكى : «الاكراد ملاحظات وانطباعات - الأكراد أحفاد الميديين»

ترجمه عن الروسية :

د. معروف خزنه دار - دار الكاتب - بيروت ١٩٨٧

«الموسوعة الأثرية العالمية» - باشراف :

ليونارد كوتريل - ترجمها إلى العربية :

د. محمد عبد القادر محمد و د. زكى إسكندر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٧

- د. تقى الدباغ : «العراق فى التاريخ» بغداد

- اسماعيل جول : «اليزيدية قديما وحديثا» - بيروت ١٩٣٧

- د. شاكر خصباك : «الكرد والمسألة الكردية» بغداد ١٩٥٩
محمد فكرى : ولادة الكون عند الاكراد من مذهب «أهل الحق»
(العليلاهية) مجلة اصوات - ١٣ ابريل ١٩٩٣ - لندن
- الموسوعة الإسلامية .
- الموسوعة البريطانية .
- المعهد الكردى فى باريس (فرنسا) ولندن (انجلترا) .

Nikitine, Basile - "Les Kurdes et le Kurdistan" Paris - 1943.

- Braidwood, Robert & Howe, Bruce: "Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan" - University of Chicago Presse-1960.

- Braidwood, R., "Seeking the world's First Farmers in persian kurdistan: A full - Scale Investigation of pre-historic sites near kirmanshah". Illustrated london News - 1960.

- Garrod, Dorothy, "The Palaeolithic of southern kurdistan:
Excavations in the caves of Zarzi and hazer merd."
Bulletin of American shools of prehistoric Research (1930)

- Gamkrelidze, Th. & Ivanov : "The Migrations of tribes Speaking indo-european Dialects from their original homeland in the middle east to their historical habitaions in eurasia" - Journal of indo - European studies - 1980.

- Berger, R., & Prostch, R.: "The domestications of plants & Animals in Europe and the near east." - orientalia 42 (1973).

- Wright, G.A, : "Origins of food production in South. Western asia"
Current anthropology 12 (1971).

- Schmandt - Besserat, D.,:"An ancient token system : The precursor to numerals and writing" - Archaealogy (Nov/Dec/1986) .

- Roaf, M.,:Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near

East, (New-Yourk: Equinox - Oxford - 1990)

- Izady, R. Mehrdad :"A Hand Book - The kurds) Crane Russak, Taylor & Francis Intern., Washington - London - 1992.

- Safarastian, A., : "Kurds & Kurdistan" London 1948 .

- Reclus, Elisée:"Nouvelles Geographie universelle - Paris- 1885 - 1894

- Rambout,L., : "Les kurdes et le Droit" Les editions du cerf - Paris 1947.

- Mackenzie, D.N.,:"Kurdish Diatect studies" Oxford universty - 1961.

- Lescot, R.,:"Enquete Sur les Yezidis de Syrie : Djebel Sinjar - Librairie du liban -

- A Map of kurdistan : Elias Modern Press - Cairo - 1947.

- Binder, H., "Au kurdistan: en Mesopotamie et en Perse" - Paris 1887.

- Field, H., "Antharopology of iraq" Harvard universty - 1962.

- Picard, Elizabeth (Sous la dircetion) - La Question Kurde Bruxelles 1991.

تركيا
دمرسيم
بايزيد
خربوط
موش
بتليس
وان
الفرات
ملطيه
DİABEKİR
ديابكر
سومرك
ماردين
جزيرة
زاخو
هكاري
ايران
أورفا
رأس العين
قامشلي
دهوك
عقره
زاب الكبير
تلعفر
سنجار
موصل
أربيل
سوريا
زاب الصغير
كركوك
سليمانية
دهوك
سيروان
حانقين
نهر العظيم
كرمنشاه
العراق

Mer Noire
U.R.S.S.
Bakou
ANKARA
Erzurum
Iérévan
Mer Caspienne
TURQUIE
Malatya
Tabriz
Maragheh
Mardine
KURDISTAN
Alep
Massoul
TÉHÉRAN
Soulaimanie
Euphrate
Kirkouk
SYRIE
Hamadan
Méditerranée
LIBAN
Khanikin
Kermanchah
DAMAS
IRAN
ISRAËL
IRAK
BAGDAD
Tigre
JORDANIE
ARABIE SÉOUDITE
KOWEIT
Golfe Persique
Région habitée par des Kurdes
0 km 400

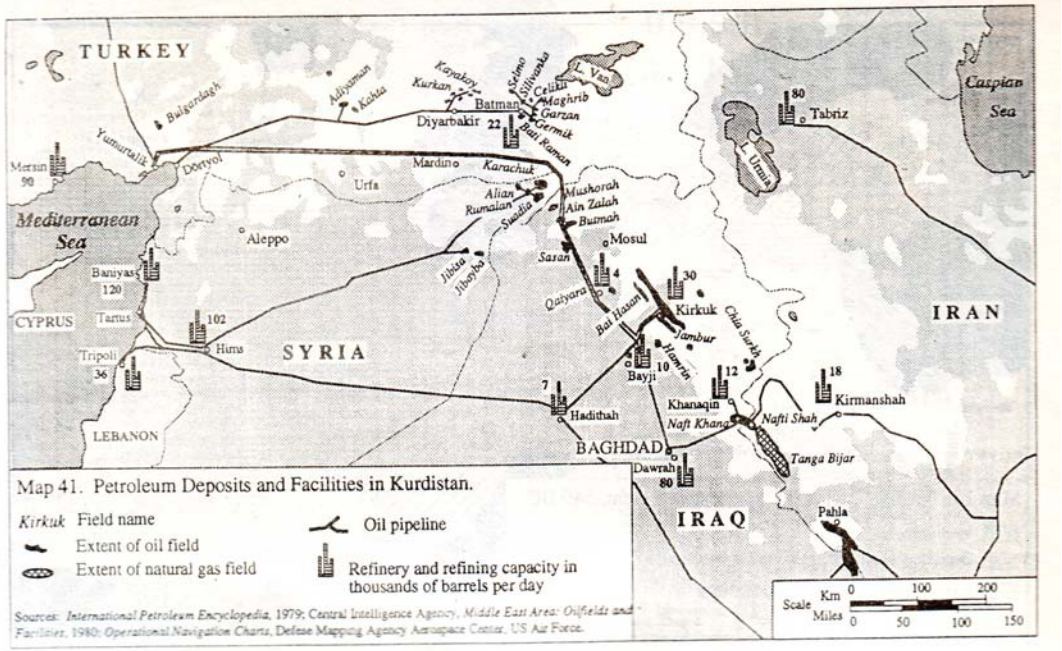

Map 41. Petroleum Deposits and Facilities in Kurdistan.

Kirkuk Field name
Extent of oil field
Extent of natural gas field
Oil pipeline
Refinery and refining capacity in thousands of barrels per day

Sources: *International Petroleum Encyclopedia*, 1979; Central Intelligence Agency, *Middle East Area: Oilfields and Facilities*, 1980; *Operational Navigation Charts*, Defense Mapping Agency Aerospace Center, US Air Force.

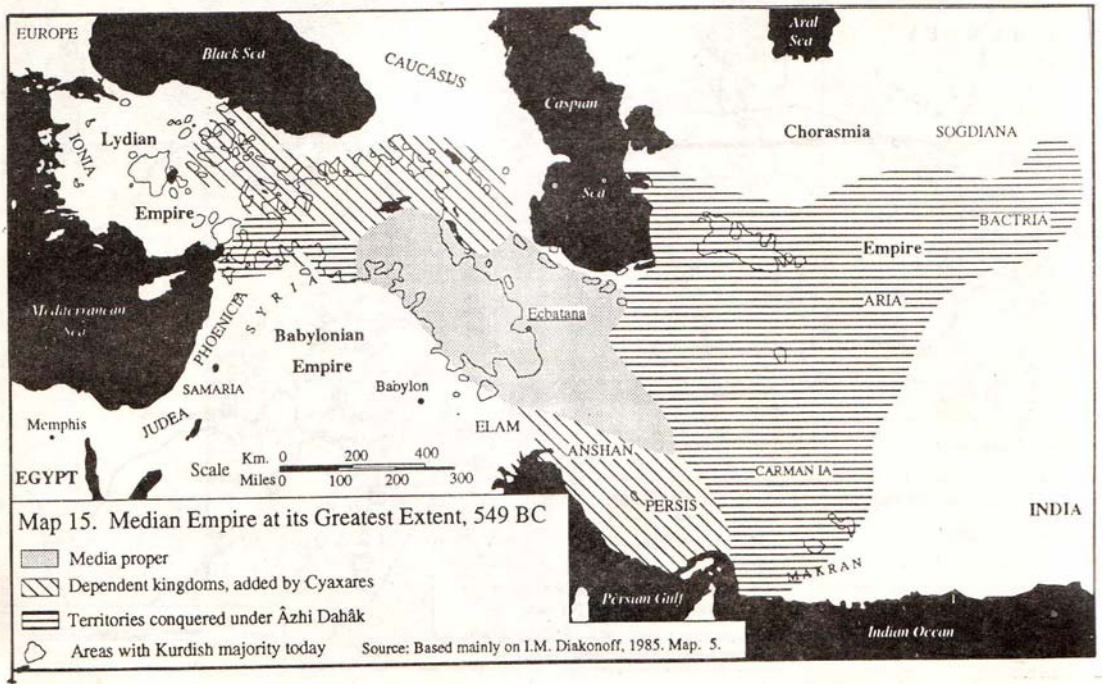

Map 15. Median Empire at its Greatest Extent, 549 BC

Media proper
Dependent kingdoms, added by Cyaxares
Territories conquered under Âzhi Dahâk
Areas with Kurdish majority today

Source: Based mainly on I.M. Diakonoff, 1985. Map. 5.

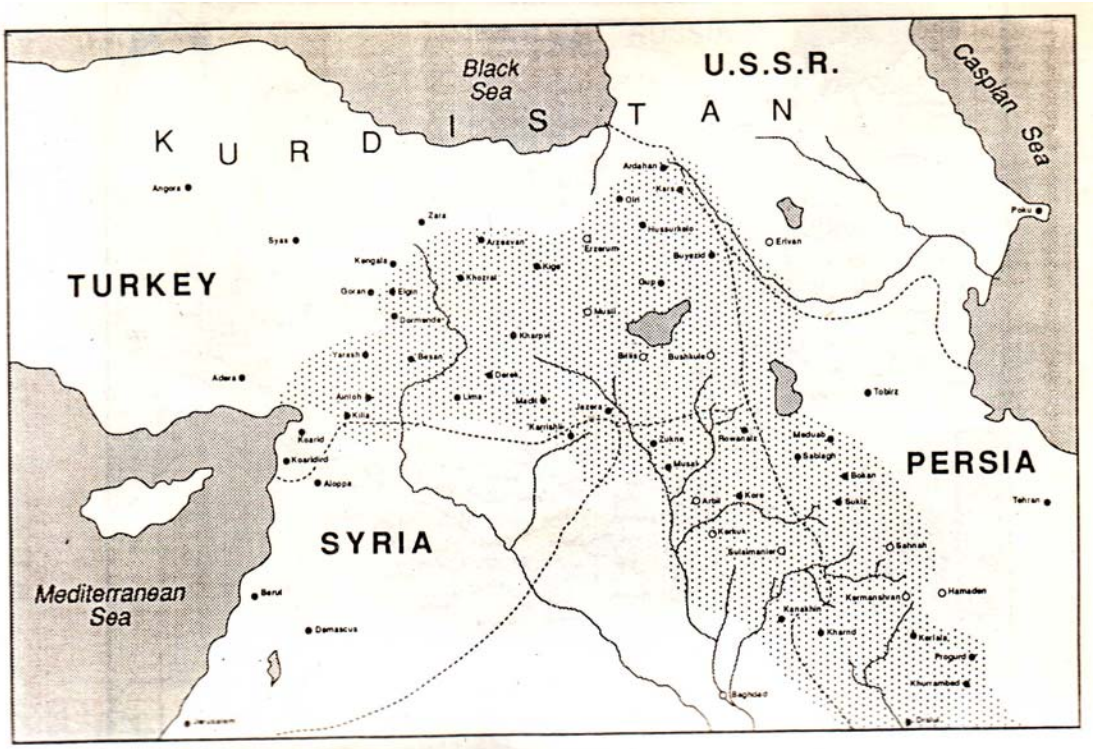
Black Sea
U.S.S.R.
Caspian Sea
K U R D I S T A N
TURKEY
SYRIA
PERSIA
Mediterranean Sea
Angora
Sivas
Zara
Erzincan
Erzerum
Kagizman
Olti
Karsa
Ardahan
Hassankale
Buyezid
Erivan
Baku
Kangala
Khozrat
Kiga
Oop
Goran
Eigin
Darmanda
Mush
Khorput
Bitlis
Van
Beras
Bushkale
Yarash
Besan
Derek
Midyat
Jezira
Mardin
Amish
Lizra
Kilis
Kasrid
Koasidid
Aleppo
Beirut
Damascus
Jerusalem
Tabriz
Meduab
Sabligh
Bukan
Sakiz
Arbil
Kirkuk
Suleimaniah
Sehneh
Hamaden
Kermanshah
Kasr-i-Shirin
Khanikin
Karind
Tehran
Baghdad
Diyala
Khurmabad
Prigund

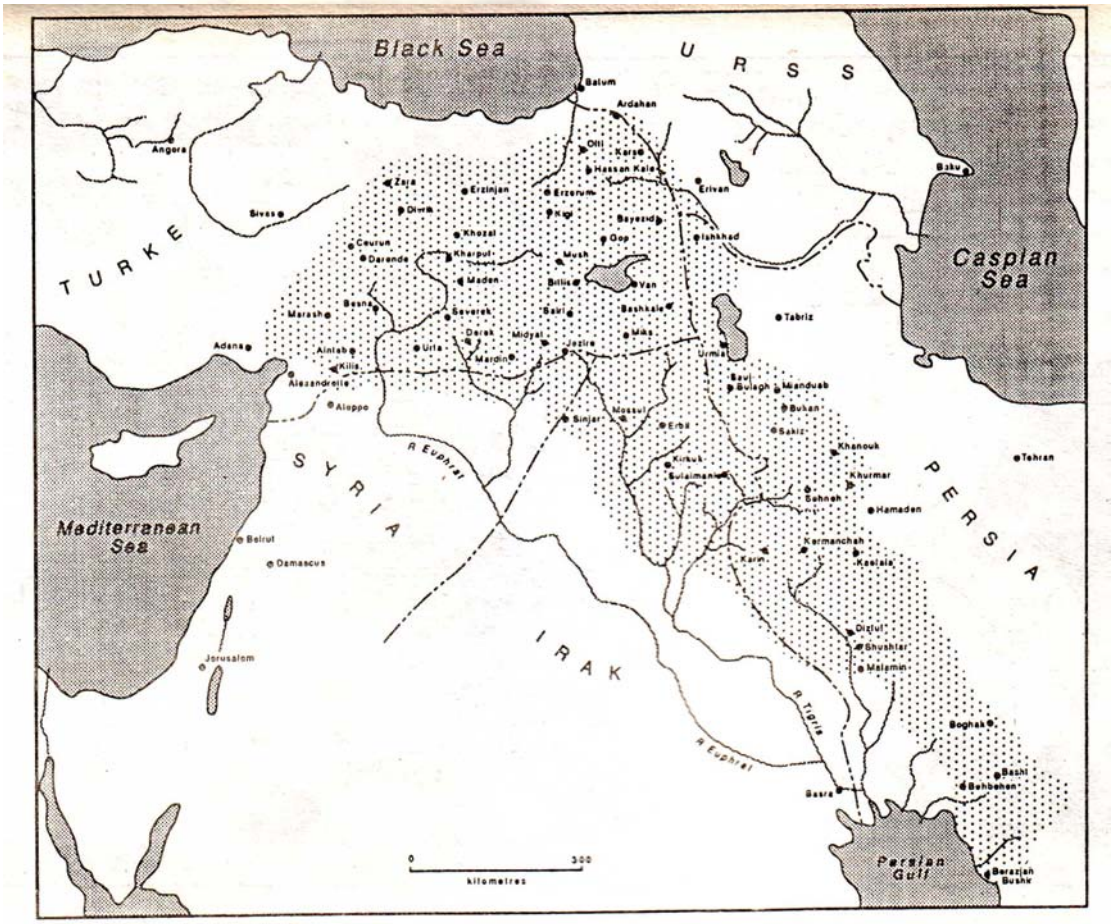
Black Sea
U R S S
Caspian Sea
TURKE
SYRIA
IRAK
PERSIA
Mediterranean Sea
Persian Gulf
Angora
Sivas
Balum
Ardahan
Olti
Karse
Hassan Kale
Erzinjan
Erzerum
Erivan
Baku
Zara
Divrik
Kagizman
Bayezid
Ishkhad
Ceurun
Darende
Khozat
Kharput
Oop
Mush
Madan
Bitlis
Van
Besni
Marash
Beverek
Bashkale
Tabriz
Adana
Aintab
Kilis
Urfa
Derek
Midyat
Mardin
Jezira
Mus
Urmia
Alexandrette
Aleppo
Sinjar
Mossul
Erbil
Sauj Bulagh
Meandab
Bukan
Sakiz
Kirkuk
Suleimaniah
Khanouk
Khurmar
Sehneh
Hamaden
Tehran
Kermanshah
Kasr-i-Shirin
Karin
Dizful
Shushter
Malamir
Boghas
Bashi
Behbehan
Basra
Beirut
Damascus
Jerusalem
R Euphrat
R Tigris
R Euphrat
0
300
kilometres

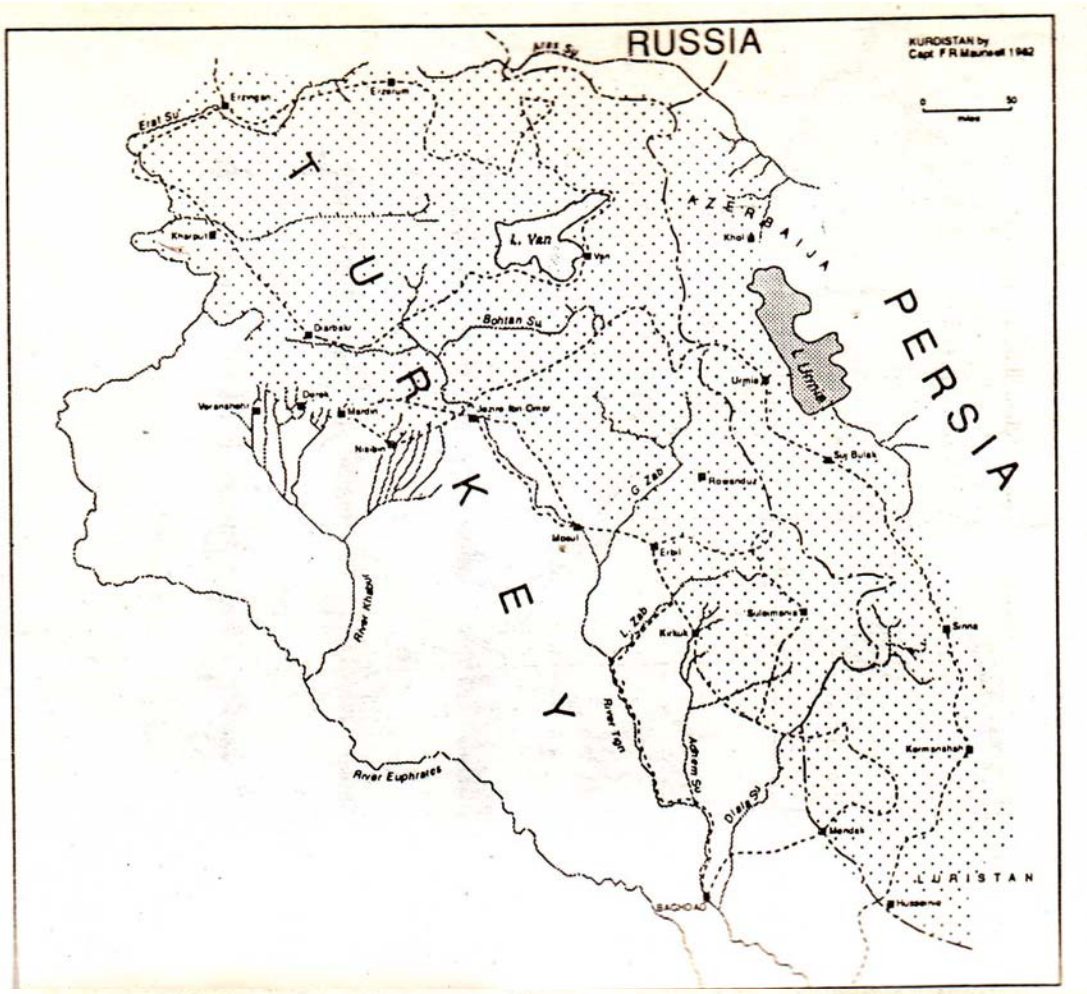
KURDISTAN by
Capt. F.R.Maunsell 1942
RUSSIA
PERSIA
TURKEY
AZERBAIJAN
L. Van
L. Urmia
Bohtan Su
River Euphrates
River Tigris
G. Zab
L. Zab
Diala Su
Adhem Su
River Khabur
LURISTAN
Erzerum
Van
Khoi
Urmia
Mosul
Erbil
Kirkuk
Sulemania
Sinna
Kermanshah
Mendeli
Hussaine
SACHAS

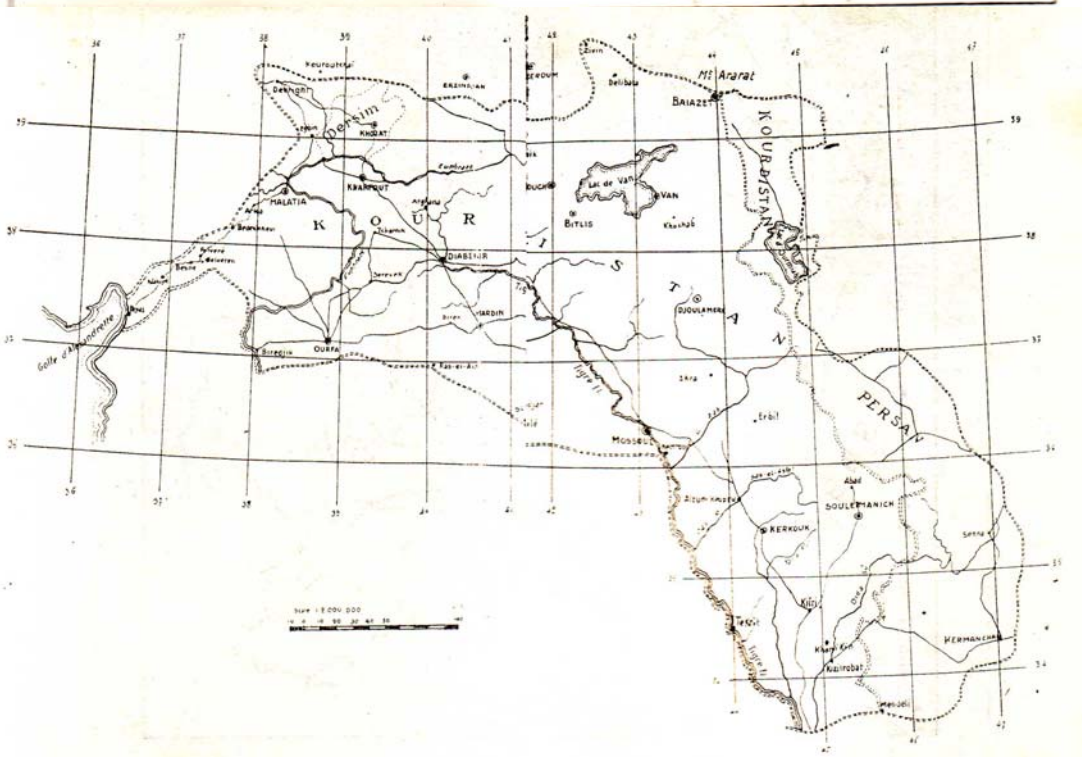
Mt Ararat
BAIAZET
KOURDISTAN
Lac de VAN
VAN
BITLIS
DIARBEKIR
MALATIA
KHOZAT
KHARPOUT
OURFA
DJOULAMERK
MOSSOUL
Erbil
SOULEIMANICH
KERKOUK
KERMANCHAH
PERSAN

الباب الثانى

العلاقات العربية الكردية
منذ ظهور الإسلام إلى انهيار
الامبراطورية العثمانية

كانت العقيدة الزرادشتية، قد ظهرت فى بلاد فارس، وميديا، قبل الميلاد المسيحى بستة قرون. وبعد ذلك بزمن أى فى عهد (كشتاسب) أحد حكام شرق إيران صارت هذه العقيدة دينا رسميا فى جميع البلاد إيران (*) وقد اعتنق الشعب الكردى أيضاً هذا الدين الجديد بعد ذلك بمدة، وفى سنة ٣٣. وصل الدين المسيحى إلى (أرمينيا) ولكنه لم يلق نجاحا كبيراً فيها. وبقى غير مرغوب فيه حتى أوائل القرن الميلادى. وبعد هذا التاريخ أخذ هذا الدين فى الذيوع والانتشار عن طريق (سوريا) فى (أرمينيا) و (كردستان) بفضل ومساعدة وتأييد حكومة روما. واعتنقه الأرمن، إلا أن سكان القرى ورحل السهول والجبال، لم يلتفتوا إلى هذا الدين الجديد، وبقوا محافظين على العقيدة الزرداشتية، على الرغم من جهود القسس وترويجهم للمسيحية. وأن قسما ضئيلا جدا من هؤلاء القرويين سكان الجبال قد اعتنقوا المسيحية . وهذا مايفسر وجود مسيحيين قليلين ينتمون تماماً إلى القومية الكردية. كما هو حال المسيحيين العرب .

هذا ولما ظهر الإسلام، واتصل الكرد بالمسلمين الأوائل، وأخذوا يفكرون فى مبادىء الدين الجديد، وتعاليمه السمحة، وجدوا أن هذه المبادىء القويمة، والتعاليم العامة تتفق، وما جبلوا عليه من الطباع والسجايا، فأقبلوا على هذا الدين بكليتهم واعتنقوه، واخصلوا له كل إخلاص. وكان أول اتصال للشعب الكردى بالجيش الإسلامى فى سنة ١٨هـ أى بعد فتح حلوان (كردستان تركيا)

(*) كلمة إيران مشتقة من كلمة آرى . والشعوب الإيرانية تتكون من عدة شعوب . ضمنها الشعب الفارسى ، فهناك خلط بأن كل ما هو إيرانى فارسى ، فإيران حالياً تضم الشعب الفارسى الذى لا يمثل إلا ٥٠ ٪ من شعب إيران .

وتكريت. وكتب الدكتور محمد الألوسى فى تفسيره الشهير (روح المعانى) أن من بين أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) صحابى كردى جليل كان يدعى (كابان) .

وينسب ابن حجر العسقلانى فى كتابه «الإصابة فى تمييز الصحابة» إلى الجاحظ قوله بأن هناك عدداً من الأحاديث المروية عن «كابان» فى شئون الحياة المختلفة، وبمراجعة ابن الأثير (اللباب فى تهذيب الأنساب) نجد عشرات من أسماء علماء الكرد رواة الحديث النبوى الشريف .

وقد تم الاتصال الكردى بالجيوش الإسلامية، وحسب مؤرخى العرب، فى العام الثامن عشر الهجرى (٦٣٩م). ويقال إن اتصالات أخرى جرت قبل هذا التأريخ إذ إن القائد الإسلامى سعد بن أبى وقاص أرسل جيشاً بقيادة هاشم بن عتبة إلى جلولاء، فى (شرق العراق) ضمن منطقة كردستان (العراق) على الحدود الإيرانية بعد فتح المدائن، فى شهر صفر سنة ١٦ هـ (مارس ٦٣٧هـ) وقد انتصرت الجيوش الإسلامية فى هذه المعركة على الفرس وشتتت شملهم، وطاردهم القائد الإسلامى (القعقاع بن عمر) حتى قلعة حلوان فدخلها ظافراً، وهكذا حصل اتصال الشعب الكردى والوطن الكردى (كردستان) بالجيوش الإسلامية بعد فتح هذه القلعة الخطيرة التى كانت حداً فاصلاً بين ميزوبوتاميا العليا (كردستان العراق) وولاية الجبال كردستان (تركيا) .

الحكومات الكردية فى العهد الإسلامى .

١ - الحكومة الراودية (٢٣٠ - ٦١٨هـ) : تقول دائرة المعارف الإسلامية إن هذه الحكومة هى من أقدم الحكومات الكردية فى العهد الإسلامى، بدليل أن (ابن خرداذبة) الرحالة ذائع الصيت، قد رأى بعينى رأسه حكومة (محمد الروادى) قائمة فى (تبريز) حين زارها وجاس خلالها عام (٢٣٢) هـ. وإن إقليم (أذربيجان) قد انضوى تحت لواء أبى الساج محمد أفشين بن ديوداد عام ٢٨٠هـ.

٢ - الحكومة السالارية (٣٠٠ -٤٢٠ هـ) بأذربيجان كانت أذربيجان يطلق عليها اسم (ميديا) الصغرى. ويطلق (الصوفى) فى (تاريخ الدول) اسم (الدولة السالارية) أو (الدولة المسافرية) على هذه الحكومة. وواضح أن التسمية الأولى، أصح وأنسب، لأن مؤسس هذه الدولة كان يدعى (سالار مرزبان) ويقول إن هذه الدولة كانت ديلمية فى حين أن (دائرة المعارف الإسلامية) ليس لديها أدنى شك فى أنها كردية، وعلى هذا يكون الديالمة بمقاطعتى (كبلان وطبرستان) فرعاً من الأمة الكردية. وأن الإيرانيين كانوا يطلقون لفظ الديلم على أكراد طبرستان .

٣ - الحكومة الحسنويئية بهمذان (٣٣٠ - ٤٠٥هـ) : وضع أساس هذه الحكومة عام (٣٣٠هـ) فى الدينور، وشهرزور الأمير (حسين). زعيم عشيرة البرزيكانية، وكان أخواه (ونداد) و (غانم) يتزعمان العشائر العيشانة. وهكذا كانت كافة أرجاء الدينور وهمذان وتهاوند والصمغان، وبضعة بلدان من إقليم أذربيجان، تدين لهم بالخضوع والطاعة .

٤ - الحكومة الدوستكية والمروانية بـ (دياربكر٣٥٠ - ٤٧٦هـ) :

إن مؤسس هذه الحكومة هو (باز) أبو شجاع ابن دوستك. ويقول صاحب تاريخ الموصل، إن (بازاً) الكردى أبا عبدالله حسين، هو ابن دوستك الذى كان أميراً للعشيرة الحميدية. وكانت كنيته (أبا شجاع) وكان (باز) عالى الهمة طموحاً، لا يألو جهداً فى سبيل الرفعة والمجد والوصول إلى الذروة وقد أقدم على تكوين علاقات ودية مع عضد الدولة .

٥ - حكومة اتابكية اللور الكبير (٥٥٠ - ٨٢٧هـ) أو الحكومة الفضلوئية :- قامت هذه الحكومة فى جنوب شرقى لورستان بإيران، وعمرت مائتين وسبعة وسبعين سنة. وكان يتألف إقليم (لورستان) منذ أواخر القرن الثالث الهجرى، من قسمين، اللور الكبير واللور الصغير .

٦ - الحكومات الأيوبية (٥٦٧ - ٩٥٠هـ) :-

هذه الدولة أو الحكومات، هى بحق أعظم الدول التى أسسها الكرد. ولهذا يجدر بنا أن نبحث بإسهاب وإمعان فى موضوع تأسيسها، وفى أصل مؤسسها

العظيم وتحقيق نسبه. فتذهب (دائرة المعارف الإسلامية) إلى القول بأن جد (صلاح الدين يوسف) مؤسس هذه الدولة. ماهو إلا (شادى) بن مروان الذى كان من عشيرة الروادى (الروادى) الكردية القاطنة فى منطقة (دوين). وجاء فى رواية، بأن (نجم الدين أيوب) ولد فى بلدة (شيخان) فى ولاية الموصل، وخدم السلطان (محمد ملكشاه) الذى عينه محافظاً لقلعة (تكريت). ويقال إن (صلاح الدين) ولد فى قلعة تكريت عام (٥٣٢هـ). بينما يذهب بعضهم إلى أن (صلاح الدين) انما ولد فى نفس الليلة التى أمر (مجاهد الدين بهروز) فيها (نجم الدين) وأسرته بضرورة مغادرة تكريت الأمر الذى أوقع (أيوب) فى حيص بيص .

وفى عام (٥٦٧هـ) يأخذ صلاح الدين الأيوبى الخلافة على مصر. بعد أن خلف الخليفة الفاطمى الشيعى العاضد. ويؤسس الدولة الأيوبية التى حكمت مصر وليبيا والشام واليمن أكثر من قرن. وفى سنة (١١٧٤م) يحرر صلاح الدين الأيوبى القدس من الصليبيين (١١٨٧م - ٥٨٣هـ) التى كانت فى أيديهم منذ ١٠٩٩م، حيث انتصر فى معركة حطين الحاسمة على الصليبيين .

وفى عام (١١٩٣م) مات صلاح الدين الأيوبى فى دمشق. وكل ماقام به صلاح الدين الأيوبى، وكل زعماء الأيوبيين كان باسم الإسلام. ولم يتحيزوا إطلاقاً لقوميتهم الكردية. وهذا بالذات مايلومه عليه اليوم كثير من المثقفين الأكراد، فهم يذكرون بحق أنهم لاقوا ومازالوا يلاقون من الاضطهاد - الذى وصل إلى حد الإبادة - على يد المسلمين من الأتراك والعرب والإيرانيين. ولكنهم يفخرون فى قلوبهم بأنهم الشعب الذى أفرز صلاح الدين محرر القدس الشريف .

- ١٨٠٠ سقوط آخر إمارة كردية علي يد الفرس .

- ١٨٤٧ سقوس آخر إمارة كردية عل يد العثمانيين .

ومنذ ذلك الوقت أنشأ الأكراد جمهورية مستقلة فى إيران ١٩٤٦ ، وهى جمهورية مهاباد التى استمرت إلى ١٩٤٧ ، أما فى العراق فيوجد إقليم كردستان منذ عام ١٩٩١ .

المصـــــادر :

١ – الموسوعة الإسلامية .

٢ – « فتوح البلدان » للبلاذرى .

٣ – « فتوح الشام » : محمد بن عمر الواقدى .

٤ – « الكامل فى التاريخ » – لابن الأثير .

٥ – «التاريخ » للطبرى – الجزء العاشر .

٦ – مقابر فى كردستان – اسماء الصحابة : أبو عبيدة الجراح .

٧ – «شرفنامه » : شرف خان البدليس .

٨ – «مشاهير الأكراد – كردستان فى الدور الإسلامى » باللغة الكردية : محمد أمين زكى – ترجمة وتعليق بالعربية : محمد على عونى – مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٤٧ .

٩ – «القضية الكردية – ماضى الكرد وحاضرهم» د. بله – شيركوه .

١٠ – محمد صادق : « الدين والقومية الكردية فى ميزان الإسلام » – لندن ١٩٩٢ (مطبوعات لجنة حقوق الانسان الكردى – رقم ٦) .

الباب الثالث

نهاية الامبراطورية العثمانية وظهور تركيا الحديثة

أسباب انهيار الامبراطورية العثمانية :-

كانت الامبراطورية الممتدة من شمال إفريقيا . إلى النمسا، لها جيش ضخم مترامى الأطراف، تمتلك نظاماً إقطاعياً، تحت سيطرة الحكومة المركزية فى الباب العالى. وقد أدت خلافات حادة داخل الطبقة الحاكمة إلى عزل هذه الامبراطورية عن الثورة الصناعية التى كانت دائرة رحاها فى أوروبا، وبالتالى لم تتطور هذه الامبراطورية نحو اقتصاد الإنتاج، ولم تستفد من التقدم الذى كان يعرفه الغرب الملاصق لها .

وقد بدأ التفكك والتفسخ يحل بهذه الامبراطورية منذ بداية القرن التاسع عشر، وبدأت التنازلات أمام انجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية، إلى أن أصبحت مالية، وإدارة وجيش هذه الإمبراطورية منذ ١٨٧٨م، تحت السيطرة الأجنبية كاملة فمنذ ١٨٧٨م، وبسبب الديون الطائلة، وضعت مالية الامبراطورية العثمانية، تحت رقابة «المجلس الأوروبى للديون العثمانية» وقد تكون المجلس من ممثلين عن الدول الدائنة: إنجلترا - فرنسا - ألمانيا - النمسا - إيطاليا، بعد أن وضع البنك العثمانى تحت السيطرة الكاملة للندن وباريس وقد احتكر هذا المجلس - بمفرده سك العملة، كما دخلت التجارة الخارجية والسكك الحديدية وحق استخراج المعادن هى الأخرى تحت السيطرة الأجنبية .

أما الجيش والإدارة فكانا تحت رقابة أوروبية مشددة. وكانت الحكومات تشكل وتحل بأمر من السفراء الغربيين. وقد استفادت القوميات غير التركية من هذا التفكك والتفسخ، وبدأت تتحرك وتثور على البطش العثمانى، والسلطان

وديكتاتوريته، كذلك بعض البلدان التى كانت تحت سيطرة الباب العالى. ففى أقصى غرب الامبراطورية بدأت دول البلقان تثور ثم تتحرر، وفى أقصى الشرق بدأت القوميات غير التركية (العربية والكردية والأرمينية) فى التحرك والثورة ضد الباب العالى .

من جهة أخرى بدأت حركة تركية تظهر إلى الوجود، بسبب الوضع المهين الذى أصبحت فيه الامبراطورية، وذلك من جراء الفساد والحكم التعسفى البدائى .

فمنذ ١٨٦٥م انبثقت «الحركة العثمانية» برئاسة نامق كمال وزياد باشا، منادية بدستور جديد يعترف بحق القوميات العرقية والدينية. فانضم اليها المثقفون العرب والأكراد والألبان والأرمن بهدف الإطاحة بالسلطان، وإعطاء الحقوق القومية للقوميات، وإقامة دولة دستورية. وفى ١٨٩٠ تطورت الحركة وأصبح اسمها «تركيا الفتاة» تنادى بالليبرالية الاقتصادية وحقوق البرجوازية ولكنها لم تنجح لعدم وجود تجانس الطبقة البرجوازية وعدم وجود اقتصاد قوى حديث يساعد على إرساء نظام رأسمالى منتج .

ثم ظهرت «الحركة الإسلامية» (بان إسلاميزم) بمساعدة ألمانيا، بهدف تجميع الأقليات المسلمة، بجانب الأتراك فى حربهم ضد الأوروبيين «الصليبيين» وقد أعطت هذه القوميات الأولوية للنضال فى سبيل الإسلام على النضال فى سبيل القومية - خاصة - وأن القادة الاتراك أعطوا كثيراً من الوعود لهذه القوميات والتى تخلوا عنها بمجرد وصولهم للسلطة .

وكانت الحروب التى خاضتها الامبراطورية فى ليبيا، والبلقان والحرب العالمية الأولى، قد أنهكت تركيا اقتصادياً وإنسانياً، لكن من جهة أخرى، أفرز الجيش جيلاً جديداً من محترفى الحروب، وهو جيل شاب، والذى خرج منه مصطفى كمال المشهور بأتاتورك مؤسس تركيا الحديثة .

ومع بداية القرن العشرين أى فى ١٩٠٨ وانعقاد الجمعية الدستورية التى دقت ناقوس نهاية حكم السلطان المطلق بدأت حركة «تركيا الفتاة» (الاتحاد والترقى)

ويطلق على هذه الحركة الثورة البرجوازية التركية أو الاتحاديين التى جاءت إلى الحكم، واستمرت الى أن انتصر مصطفى كمال أتاتورك فى ١٩٢٣ بالإطاحة بالخلافة العثمانية، وقد عمل أتاتورك على تحويل العثمانية التى كانت تضم الأتراك والقوميات الأخرى، أن تتحول عند الأتراك الى قومية تركية سوفيتية وأصبحت النظرية الرسمية – والتى يجرى نشرها للآن – ولو بصورة مخففة تقول: « إن الجنس التركى هو أصل البشرية والحضارة بأسرها. ويحقق ذلك صفوة الشعب التركى» واعتبار كل ماهو غير تركى، غير موجود، من هنا. ظلت تركيا الرسمية تنكر إلى عام ١٩٩١ أن هناك شعباً كردياً فى تركيا. كانت من أهداف هذا النظام الجديد الاستفادة من انشغال العالم فى الحرب العالمية الأولى ونتائجها، لكى يتخلص من القوميات غير التركية، إما عن طريق التصفية الجسدية (مجزرة الشعب الأرمينى) أو التفتيت عن طريق الهجرة والتذويب، عن طريق محو الهوية الثقافية والقومية، وهذا ماحدث ويحدث للآن للشعب الكردى فى تركيا (*).

إذا كانت السياسة المعلنة لأتاتورك هى النهوض بالدولة التركية الحديثة، ودفن الأحلام الطورانية القديمة. فإن جميع الحكام الأتراك إلى اليوم لم يتخلوا عن الحلم الطورانى الكبير، أى الدولة الطورانية التى تبدأ من تركيا حتى الصين إلا أن كردستان، وأرمينيا غير التركيين وسط هذا البحر التركى الهائل يعتبران معوقاً لتحقيق هذا الحلم.

إن هذا الحلم لم يفارق إلى اليوم حكام تركيا، وقد انتعش هذا الحلم بشدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وسنتطرق فى الجزء الأخير من الكتاب لطموحات تركيا، والتى تتعارض مع طموحات القومية العربية. ونذكر هنا ماذا فعل أتاتورك عندما أعلن الحرب على الإسلام، لا كرهاً فيه فقط، ولكن لكى يمحو كل ماهو

(*) على مدى سبعين سنة، وحسب تصريحات الرئيس الراحل «تورجوت أوزال» ورئيس وزرائه ديميريل فى الصحافة التركية، أن نصف أكراد تركيا هجروا أو هاجروا إلى غرب تركيا فى المدن الكبيرة، فمثلا استنبول بها حوالى ٣ مليون كردى، وأزمير ، وأنطاليا، ومرسين، بها جاليات كردية ضخمة.

تأثير عربى، ومن هنا ألغى الألف باء العربية، واستبدل بها الحروف اللاتينية. وبدأ حملة تتريك لكل ماهو عثمانى واستبدل بكل المفردات العربية فى اللغة التركية كلمات فرنسية، لأن اللغة التركية ومفرداتها فقيرة، لم تسعفه أن يملأ الفراغ، ومع ذلك مازالت هناك كثير من المفردات العربية فى اللغة التركية الحديثة التى تكن العداء للقومية العربية والعروبة وتوجد ضمن مؤلفات أدبية كاملة .

المصـــــادر :

– جليلى جليل : «المنظمات الكردية الاجتماعية والسياسية الأولى فى عهد حكم «تركيا الفتاة» موسكو – ١٩٧٥ .

– د. وليد حمدى : «الكرد وكردستان فى الوثائق البريطانية» – لندن ١٩٩٢ .

- Mechin Benoist : "Mustapha Kemal : ou La mort d'un Empire " Paris 1954..

- Remsaw, E.E. : "The Young turks: Prelude to the revolution of 1908"

Princeton 1957..

- Sykes, Marc : " The calif's last Heritage"

- Turkey, Earle :"The Great Powers and the Bagdad Railway"

London - 1923..

الباب الرابع

نشأة الدولة العراقية
النفط يقرر مصير كردستان

انهارت الامبراطورية العثمانية. وقسمت تركتها بين الحلفاء المنتصرين فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). وانفصلت عنها أغلب الشعوب والقوميات التى كانت تخضع للباب العالى العثمانى كالعرب، والألبان والبلغار واليونانيين والأرمن (*) ولكن الكرد لم يحصلوا على حقوقهم بل طبق كمال أتاتورك، مؤسس تركيا الحديثة، عليهم سياسة الإبادة والتهجير والتذويب. منذ ذلك الوقت وللآن مازالت حكومات أنقرة المتتالية، تطبق السياسة نفسها. وإن كانت على درجات متفاوتة .

مع انهيار الامبراطورية العثمانية وقبل انتصار ثورة أتاتورك ١٩٢١، ولأول مرة فى التاريخ كانت هناك فرصة سانحة للكرد لتحقيق مطالبهم القومية التى ناضلوا من أجلها. فقد أعطتهم معاهدة سيڤر التى أبرمت فى ضواحى باريس (فرنسا) فى ١٩٢٠/٨/١٠ الحق فى الحكم الذاتى لمدة سنة، ثم الحق فى تكوين دولتهم المستقلة. ورغم ضعف هذه المعاهدة لأنها لم تخص إلاّ قسماً صغيراً من أرض كردستان العثمانية ولم تخص ولاية الموصل التى كانت قد انسلخت من الإمبراطورية، كما سنرى فيما بعّد، إلا أنها كانت بمثابة أول اعتراف دولى فى التاريخ الحديث، بوجود شعب كردى ووطن كردى مقسم بين عدة دول، وبحق هذا الشعب فى حق تقرير مصيره .

ومن الصعب لنا أن نفهم لماذا لم تطبق معاهدة سيڤر،؟ ولماذا لم يحقق الشعب الكردى لليوم طموحاته القومية ؟ إلا إذا استعرضنا الصراعات والمطامع والمصالح النفطية والاستراتيجية فى المنطقة من جهة، والتى لم يتمكن بسببها الأكراد من تقرير مصيرهم وأيضا لأسباب ترجع لوضع الحركة الكردية من جهة أخرى، فى ذلك الوقت عدم قدرتها الكافية على المناورة لانقسام صفوفها .

ولنذكر القارىء أن فى هذه المنطقة بالذات، وضعت ركائز النظام العالمى قبل ثلثى قرن، وليست مصادفة أنه من المنطقة نفسها، انهار هذا النظام (انهيار الاتحاد السوفيتى، ثم حرب الخليج) وتوضع الآن أهم ركائز النظام العالمى «الجديد». ومقولة إن «التاريخ يعيد نفسه» تنطبق على مايحدث الآن فى هذه المنطقة .

(*) كان لهم وضع خاص ومأساوى، فقد أبيد جزء كبير منهم وهجر الباقى .

الوضع فى المنطقة قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى :

رأينا كيف أن أمام انتصارات الحلفاء، إنجلترا، فرنسا، روسيا القيصرية، النمسا، والمجر، ايطاليا، انهارت الامبراطورية العثمانية. تحسبا لهذه النتيجة المتوقعة، كانت إنجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية قد تقاسموا فى ١٩١٦ فى سرية تامة ماتبقى من الإمبراطورية العثمانية، وقبلت روسيا بعد أن وعدت بأنها ستسيطر على مضيقى البسفور والدردنيل. وعرفت هذه المعاهدة باسم معاهدة سايكس بيكو ، وزيرى خارجية إنجلترا (مارك سايكس) وفرنسا «جورج بيكو» والتى لم يعرف مضمونها إلا بعد أن فضحتها وكشفتها موسكو بعد ثورة ١٩١٧، وسببت وتسبب هذه الاتفاقية المشئومة وماتلاها من اتفاقيات ومساومات الوبال على كل شعوب المنطقة عرباً وأكراداً. بدون استثناء .

وقد قسمت المنطقة على النحو التالى:

خص فرنسا ضمن (المنطقة الزرقاء): منطقة السيطرة وتضم منطقة الموصل أى (كردستان الجنوبية) وهى المنطقة الغنية بالنفط. كما خصها إقليم كيليكيا وتضم، وتشمل ولاية أدنة حتى ديار بكر (تركيا). وهاتان المنطقتان الموصل وديار بكر، الأغلبية العظمى من سكانهما من الكرد. والمناطق التى تسمى الآن، سوريا ولبنان مناطق تحت النفوذ الفرنسى أما فلسطين فقد تقرر أن يكون لها كيان دولى (وعد بلفور ١٩١٧). وقد شلمت المنطقة الروسية (الرمادية) على المنطقة الشمالية الشرقية من تركيا، والتى تشتمل بشكل رئيسى على أقاليم، أرضروم- طرابزون ، وان، بتليس (كردستان تركيا). أما المنطقة البريطانية (المنطقة الحمراء) كانت تشتمل بصورة رئيسية على وادى الرافدين من جنوب ولاية الموصل إلى الخليج العربى (أى القسم العربى من بلاد مابين النهرين) والأردن .

لم ينفذ اتفاق سايكس - بيكو بالنسبة للمنطقة الروسية فى كرستان بسب الثورة الروسية (١٩١٧). إذ عقدت الحكومة السوفيتية هدنة مع تركيا، فى الخامس من ديسمبر ١٩١٧، ثم معاهدة «برست ليتوفسك» فى الثالث من مارس سنة ١٩١٨، والتى نصت على أن تسحب روسيا قواتها من تركيا إلى الجهة

الروسية، من خط الحدود القائم بين الدولتين، قبل اندلاع الحرب. أما منطقة الموصل التى كانت من نصيب فرنسا، فقد انتقلت إلى يد البريطانيين بعد انتهاء الحرب باتفاق بين الدولتين (*). أما منطقة كليكيا فقد تركها الفرنسيون للأتراك الكماليين، بموجب تسوية بين الدولتين وقعت فى انقرة أكتوبر سنة ١٩٢١ .

البترول يقرر مصير كردستان :

فى ذلك الوقت كانت بريطانيا، هى الإمبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس باسطولها الضخم ومستعمراتها العديدة خاصة فى الهند «لؤلؤة التاج» ومصر. وكانت بريطانيا تعتبر أن نهر الفرات هو «الحدود الطبيعية» للهند. كما أن اللورد كيرزون المندوب السامى فى الهند قد أعلن فى مجلس اللوردات البريطانى عام ١٩١١. أنه من الخطأ الاعتقاد «أن المصالح البريطانية محددة فى الخليج العربى. كما أنها محدودة فى المنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد وإنما تتسع لأبعد من بغداد بكثير» .

كانت كل كردستان وبالذات ولاية الموصل (التى تشمل كردستان الجنوبية)، تهم بريطانيا إلى أقصى الحدود ومنذ منتصف القرن التاسع عشر لعدة أسباب، جعلت بريطانيا تتأكد أنها سوف لا تستطيع تحقيق طموحاتها الاستراتيجية (فى كلمة استراتيجية العنصر العسكرى مهم جداً) والاقتصادية والامبريالية دون وضع يدها على هذه المنطقة. من الناحية الجغرافية - السياسية فكردستان، التى يمر من خلالها طريق الحرير، هى أيضاً مرحلة مهمة فى الطريق بين مصر والهند، أى حسب القول الشائع حينذاك «الطريق بين القاهرة وكلكتا». تأمين هذا الطريق كان مهماً جداً، لكى تستطيع بريطانيا حماية إمبراطوريتها، وأن تظل «بريطانيا العظمى».

كما أن المنطقة الكردية جغرافيا تحمى المستعمرات العربية البريطانية، من القوقاز ومن روسيا القيصرية ثم من الاتحاد السوفيتى بعد ذلك، الذى ظل العدو الرئيسى لبريطانيا، وكأنها خوذة فوق رأسه. وقد تنبأ الرائد نوئيل، الخبير

(*) كانت إنجلترا تعرف جيداً بوجود كميات هائلة من النفط فى ولاية الموصل وقد تنازلت عنها مؤقتاً لفرنسا، لأنها فى ذلك الوقت كانت تريد أن تتحاشى الدخول فى احتكاك مباشر مع روسيا القيصرية عدوتها اللدود فجعلت من فرنسا حاجزاً بينهما .

البريطانى الذى عاش فى كردستان، بأن الكرد «سيكونون حاجزاً منيعاً لا غنى عنه بين ميزبوتاميا العربية ودوامة القفقاس السياسية». وكان حسب رأيه الرهان على الأكراد أفضل للمصالح البريطانية من الرهان على العرب.

أما من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية أيضاً، فكان هناك عنصر النفط الذى تحتاجه بريطانيا العظمى، لكى تستمر أساطيلها التى كانت لاتزال تعتمد على الفحم، وكان اللوردجون فيشر أول من تنبه عام ١٩٠٠ إلى أهمية النفط كوقود للسفن الحربية. وعندما تولى ونستون تشرشل وزارة البحرية (١٩١٢-١٩١٥) تبنى أفكار فيشر، وفى عهده تحول الأسطول الى النفط بدلاً من الفحم فوجه اهتمامه الى البحث عن مصدر دائم، يمكن السيطرة عليه ويمكن اسطولها من خوض البحار، وطيرانها فى التحليق فى السماء وجيوشها فى شق القفاز .

تؤكد أبحاث وضعت معتمدة على وثائق بريطانية سرية، أصبحت فى متناول اليد اليوم، أن بريطانيا تأكدت منذ القرن التاسع عشر من وجود كميات هائلة من النفط فى ولاية الموصل. وقد أخفى الخبر حتى على أهم كبار موظفى الامبراطورية، وعلى حلفائها وبالذات فرنسا .

والدليل على ذلك أن بريطانيا نجحت فى إقصاء فرنسا عام ١٩١٢ من إنشاء اتحاد، تألفت بموجبه (شركة النفط التركية) Tpc ، والتى أصبحت فيما بعد Ipc أى شركة النفط العراقية وبسبب الانهيار التام للامبراطورية العثمانية، لم يكن لتركيا أى سهم فى هذه الشركة، وقد حصلت الشركة على امتياز التنقيب والاستخراج، ضمن ولاية الموصل وبغداد، كان لبريطانيا نصيب الأسد فى هذه الشركة عن طريق شركة «شل» (هولندية - بريطانية) والمصرف الوطنى التركى (كان تركياً بالاسم فقط، فقد كانت بريطانيا تسيطر عليه كليا)، و «دويتش بنك» (المانى) و «كولبنكيان» (أرمنى جنسية عثمانية، عرف بعد ذلك باسم مستر ٥٪، إذ ظل لمدة طويلة له ٥٪ من عوائد نفط كركوك) (*)

(*) من الواضح أن كولبنكيان قد سرب خبر وجود الكميات الهائلة من النفط فى الموصل، وكان يعمل فى حقل البترول، وبذلك كان مطلعاً على الأبحاث التى كان يقوم بها السلطان بمساعدة الألمان، الذين أعطاهم امتيازات هائلة مثل خطوط حديدية من الأناضول إلى بغداد وحتى إلى الكويت ويبدو أن هذا كان أحد أسباب قيام الحرب العالمية الأولى ضد تركيا وألمانيا

أما فرنسا فلم تساهم فى هذه الشركة، ولم يسمح لها باستغلال قسم من بترول ولاية الموصل، إلا بعد ألمانيا التى أخذت نصيبها فى الشركة بموجب اتفاق «سان ريمو» عام ١٩٢٠ مقابل تنازلها عن ولاية الموصل، والتى كان اتفاق سايكس – بيكو قد خصها بها ضمن المنطقة الزرقاء كما سبق وأن ذكرنا .

بعد أن نجحت بريطانيا فى احتلال الموصل فى أوائل ١٩١٩، قابل لويد جورج، وزيره الفرنسى جورج كليمنصو ليحلا مشكلة الموصل التى كانت من نصيب فرنسا. وقد أقنع الإنجليز حلفاءهم الفرنسيين أن يتنازلوا عن الموصل ويأخذوا مقابلها كيليكيا . كليمنصو لم يكن يعرف بوجود كميات هائلة من البترول فى الموصل، كذلك كان لفرنسا وجود عسكرى ضعيف فيها قبل التنازل. عندما علمت فرنسا بوجود نفط فى الموصل ألغت اتفاق لويد – كلمينصو، ودارت مفاوضات حتى أبرمت اتفاقية سان ريمو فى ١٩٢٠/٤/٢٤ والتى عدلت مرة أخرى فى ديسمبر ١٩٢٠ والتى حصلت بموجبها فرنسا على ربع حصص الشركة. وعندما سمعت الولايات المتحدة بهذا الاتفاق جن جنونها. وبعد مفاوضات عسيرة حصلت واشنطن على ٢٠٪ من أسهم الشركة. وفى مايو ١٩٢٣ تم الاتفاق على تقسيم أسهم TPC كالآتى والتى أصبحت فيما بعد تعرف بـ IPC

- ٢٣,٧٥٪ انجلو – ساكسون بتروليم (شل) .
- ٢٣,٧٥٪ دارسى اكسبلوربشن (شركة انجليزية – فارسية) .
- ٢٣,٧٥٪ للحكومة الفرنسية .
- ٢٣,٧٥٪ نير إيست كوربوريشن (أمريكية) .
- ٥٪ للأرمنى كولبنكيان، لخدماته التى بفضلها، أمكن انتزاع حق استغلال البترول فى (الموصل) .

كانت بريطانيا خارج سوق النفط، الذى كان حكراً على الولايات المتحدة والمكسيك، ولم تدخله إلا فى عام ١٩٠٩ عن طريق امتيازاتها التى حصلت عليها فى إيران .

ومنذ ١٩١٣ صرح ونستون تشرشل. بمناسبة تشكيل لجنة ملكية للتدقيق فى مصادر النفط قائلاً: «يجب أن نصبح مالكين أو على الأقل مسيطرين على مانحتاجه من النفط» .

بالنسبة لنفط العراق، أصبحت لندن تسعى إلى أن يكون استغلال النفط من جانب دول الحلفاء، أو جانب دولة واحدة، متلازماً مع جعل ولاية الموصل (كردستان الجنوبية) جزءاً من العراق، وأن يترافق ذلك بقدرة الدولة الجديدة على الدفاع عن الحدود النفطية سواء بالقوة أو بشبكة من الحصانات السياسية والمعاهدات، وظل النفط حجر الزاوية فى بناء العلاقات البريطانية - العراقية التى بدأت تتجمع مع بداية القرن العشرين .

إذن، مما سبق يبدو واضحاً أن مصالح بريطانيا الحيوية، كانت تحتم عليها أن تسيطر على ولاية الموصل بأى ثمن، سواء كانت هذه السيطرة من خلال إنشاء دولة كردية مستقلة، أو بضم ولاية الموصل مع ولايتين عربيتين (البصرة وبغداد) وإنشاء دولة ذات قوميتين، تحت سيطرة عربية أو كردية، المهم أن يكون «الكنز» (أى البترول) تحت السيطرة البريطانية كلياً. وبدون منازع، وتكون الدولة المزمع انشاؤها قادرة مباشرة، بمساعدة بريطانيا (عن طريق الانتداب) أو عن طريق معاهدات تربطها ببريطانيا، أن تحمى حدودها وبالذات ولاية الموصل وبترولها .

من خلال هذه الثوابت والأولويات بالنسبة لبريطانيا، تعاملت لندن وبمنتهى البرجماتية مع الأحداث التى أدت إلى إنشاء دولة العراق من ولايتى البصرة وبغداد، وولاية الموصل دولة ذات قوميتين عربية وكردية، ونصب عليها ملك عربى من غير المنطقة فى ١٩٢١ .

ماهى هذه الأحداث :

فى ١٩١٤/١١/١٥ أعلنت بريطانيا رسميا الحرب على تركيا وبدأ جيش الهند البريطانى يحتل ميزوبوتاميا السفلى (العراق العربى). وفى اليوم التالى لإعلان الحرب رست القوات البريطانية بنجاح فى الفاو بعد مقاومة تركية واهية، ومنها تقدمت حيث احتلت البصرة فى ١٩١٤/١١/٢٢ ثم بغداد فى ١٩١٥ .

وفى رسالة موجهة إليه بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩١٥ وعدت لندن الشريف حسين أمير مكة بولايتى البصرة وبغداد العربيتين، مقابل مساندة العرب للإنجليز ضد الأتراك. ولم يطالب الشريف حسين، ولا كان يتوقع يوماً أن يحدث أن تنضم الموصل إلى الدولة العربية التى كان مزمعاً إنشاؤها والتى وعده بها الإنجليز رغم وجود القوات البريطانية فى البصرة منذ ١٩١٤، ثم بغداد، فإنها لم تنجح فى انتزاع ولاية الموصل إلا بعد توقيع معاهدة مودروس فى ١٩١٨/١٠/٣٠ بين الحلفاء والباب العالى والتى كرست هزيمة الإمبراطورية العثمانية .

كانت القوات البريطانية، على بعد عشرات الكيلومترات من الموصل، يوم توقيع المعاهدة، ومع ذلك واصلت تقدمها نحو الموصل وقد ضمت أعدادا غفيرة من جنودها لتصل الموصل بأى ثمن وقد دخلتها أوائل نوفمبر ١٩١٨ ولكن لم تحتل إلا قسماً من ولاية الموصل. فى أوائل ١٩١٩ عبأ الشيخ محمود البرزنجى، وهو من رؤساء العشائر الكردية فى السليمانية، كل منطقة السليمانية، التى لم تكن احتلت بعد من الانجليز وقسماً كبيّراً من كردستان إيران، وحشد جيوشه. وطالب هو وكثير من رؤساء العشائر الكردية بإقامة دولة كردية مستقلة عن تركيا وعن الدولة العراقية العربية المزمع إنشاؤها .

أكد السير أرنولد ولسن رئيس الضباط السياسيين البريطانيين فى بغداد أن «أكثر من ٥/٤ سكان كردستان يؤيدون مطالب الشيخ محمود، أخمد الأنجليز هذه الانتفاضة بقسوة شديدة ونفوا الشيخ محمود خارج السليمانية. ولكنهم أرجعوه مرة أخرى بعد أن وعدوه بدولة مستقلة، وهذا لأنهم كانوا قد تقهقروا أما القوات التركية بسبب انشغالهم على جبهات أخرى، ليساعدهم على إخراج القوات التركية من ولاية الموصل .

كانت الثقة بين الانجليز والأكراد تضعف شيئاً فشيئاً فالأكراد كانوا مصممين على نيل حقوقهم القومية. عندما انهارت الإمبراطورية العثمانية ودب فيهم الأمل بأن ينسلخوا عنها، ووقفوا بجانب الانجليز ضد الأتراك. ولكن عندما شعروا أن كل هم الإنجليز الأول والأخير، هو طرد الأتراك، وأنهم مترددون فى إعطاء حقوق الأكراد، فكانوا أحياناً يقفون مع الأتراك ضد الأنجليز. فزاد الشك وفقدت الثقة رويداً رويداً بين الطرفين .

انبثقت من هذا الوضع نظريتان عند المسئولين الانجليز حول حل المشكلة الكردية. قسم مثل ونستون تشرشل واللورد كيرزون (وزير الدولة) وآرثر هرتزل، والميجر نويل كانوا مع إنشاء دولة عربية من جهة تضم ولاية البصرة وبغداد والجزء العربى من ولاية الموصل (مدينة الموصل) أى وحدة جغرافية وعرقية عربية. ومن جهة أخرى إقامة دولة كردية من ولاية الموصل وباقى كردستان الشمالية (أى التركية) منذ عام ١٩١٧ كانت قد نشأت بين الساسة البريطانيين فكرة إقامة دولة كردية منفصلة عن الحكومة التركية (*)

وقسم آخر من الساسة البريطانيين مثل آرنولد ولسن مع ضم كردستان الجنوبية بالعراق العربى وإعطاء الأكراد حكما ذاتيا داخل دولة العراق.

الكرد ينشطون عسكرياً بانتفاضات، ودبلوماسياً وسياسياً. إذ إن الجمعيات الكردية تختار ممثلاً عن الشعب الكردى فى شخص شريف باشا (الذى كان ضابطا فى الجيش العثمانى ثم سفيراً للباب العالى فى استكهلم) إلى مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس منذ ١٨/١٠/١٩١٩ .

إن إعلان المبادىء الأربعة عشر للرئيس الأمريكى ودرو ولسن عام ١٩١٨ والذى تناول البند الثانى عشر فيها كردستان ونص على أن مناطق الإمبراطورية العثمانية غير التركية «يجب أن تحصل على ضمان صريح لوجودها وحق تقرير المصير للقوميات غير التركية» والنشاط المكثف للكرد، وحل الخلافات الأرمينية الكردية بين شريف باشا عن الكرد ونوبار باشا عن الأرمن كل ذلك ساعد فى التوصل إلى معاهدة سيڤر التى أبرمت فى ١٠/٨/١٩٢٠ والتى ألغت اتفاقية سرايكس بيكو.

تضمنت معاهدة سيڤر فيما يخص كردستان الموضحة فى المواد ٦٢، ٦٣، ٦٤ مايلى: .

أ - فقدان تركيا مناطق مابين النهرين وجنوب شرق الأناضول وسوريا «وهى المناطق التى يقطنها الأكراد» بالإضافة إلى المناطق العربية الأخرى التى كانت تحت سلطة العثمانيين .

ب - كان المقصود بكردستان، فى اتفاق سيڤر، المنطقة الواقعة جنوب شرق الأناضول «أى كردستان المركزية أى الواقعة فى تركيا اليوم» .

ج – منح الحكم الذاتى للأكـراد فى كـردسـتـان والتنويه بإمكان منحـهم الاستقلال إذا ما أثبت الشعب الكردى رغبته فى ذلك، وكان الحكم الذاتى كما ورد فى سيڤر مشروطا بتحفظات قوية كإجراء استفتاء بين الأهالى، وعرض النتيجة على عصبة الأمم، وإذا لم يمانع الحلفاء، يسمح الأكراد ولاية الموصل الانضمام إلى الدولة الكردية المقترحة .

أما كردستان الشرقية (إيران) والجزء الكردى فى سوريا فقد استبعدا من الدولة المقترحة .

كانت معاهدة سيڤر مهينة جدا للأتراك، إذ كانت ستقضى على وجودهم القومى. فبموجبها كان البوسفور والدردنيل، سيخضعان لرقابة دولية وستمنح أزمير استقلالاً داخلياً وتصبح أرمينيا دولة مستقلة إلخ ..

وكانت هذه المعاهدة ظالمة، أيضا، بالنسبة للكرد، لأنها لم تخص بالحكم الذاتى ثم الاستقلال إلا جزءاً من كردستان الكبرى يقدر ب ١/٥ مساحتها فقط. ولكن أهميتها بالنسبة للكرد، تكمن بأنها أول اعتراف دولى بشعب كردى وحقه فى وطن كردى .

رغم أن انجلترا وقعت على معاهدة سيڤر، إلا أنها لم تطبق أى بند منه، وسارت فى مخططها بإلحاق ولاية الموصل بالعراق. فقد كان واضحاً أن الرأى الذى طالب بإلحاق ولاية الموصل بالعراق وتنصيب ملك عربى عليها، هو الذى فاز لأن الأكراد أخافوا الانجليز من نزعتهم الاستقلالية، ثم أيضا من المنازعات الداخلية بين زعماء الأكراد الذين كانوا من رؤساء العشائر والذين فشلوا فى تكوين جبهة واحدة تصر على مطالب واضحة ومحددة .

وكان رأى الانجليز الأخير هو أن «الملكية فى العراق هى الضمان الوحيد للنفط» خصوصا وأن الأمير فيصل كان أثبت كرهه وعداءه للثورة البلشفية فى الاتحاد السوڤيتى وطاعته التامة وولاءه للإنجليز (*) وكان هناك سبب استراتيجى آخر مهم، بالنسبة للإنجليز والحلفاء، لقد كانت ولايتا البصرة وبغداد تضمان

(*) (تقرير حول الإدارة فى العراق من أكتوبر ١٩٢٠ إلى مارس ١٩٢٢ ، الوثائق البريطانية) .

أغلبية شيعية، وبضم الموصل السنية، تصبح العراق دولة ذات أغلبية سنية، وقد وضعت العراق تحت الانتداب البريطانى كدولة فى ١٩٢٠/٣/٣ .

فى ١٩٢١/٨/٢٧ توج الأمير فيصل ملكاً على العراق، بما فيها ولاية الموصل، بعد استفتاء مزور. ويؤكد ذلك السير پرسى كوكسى المندوب السامى البريطانى فى بغداد عندما كتب: «الأكراد خائفون على مصالحهم من الانضمام إلى العراق. كل منطقة السليمانية لم تشترك فى الاستفتاء وفى اختيار ملك للعراق.» فى كركوك رفض الأكراد التصويت للملك وطالبوا بحكومة كردية .

لسوء حظ الأكراد يحدث على الصعيد التركى، حدث يساهم فى هدم آمالهم القومية ففى ١٩٢٢ ينتصر مصطفى كمال اتاتورك فى حركته ويطيح بالحكومة فى قسطنطينية (استامبول) هذه الحكومة التى كانت قد وقعت على معاهدة سيڤر وطالبت بإلغاء معاهدة سيڤر وبإعادة ولاية الموصل إلى تركيا .

دب الخوف فى قلوب الأنجليز من ضياع الموصل وبترولها ولكى يكرسوا انضمامها للعراق نهائيا. أعلنت بريطانيا (القوة الحامية) وملك العراق فى ١٩٢٢/١٢/٢٤ فى بيان رسمى قدم لعصبة الأمم حق الأكراد فى إقامة حكم ذاتى فى كردستان الجنوبية داخل حدود العراق.

ترفض منطقة السليمانية هذا البيان لأنها تواصل رفضها الدخول ضمن حدود العراق. وتواصل انتفاضتها بهدف إقامة دولة كردية، وفعلا يعلن الشيخ محمود إقامة دولة كردية مستقلة وينصب نفسه ملكاً عليها تأكيداً لرفض الأكراد لسلطة الملك العربى عليهم. ولكن بالضغط وقهر الانتفاضة قبلوا بالحكم الذاتى .

انتصارات الكماليين، وإلغاؤهم لمعاهدة سيڤر، أجبر الحلفاء على عقد مؤتمر مع الحكومة الكمالية فى ١٩٢٣/٧/٢٤ فى لوزان بسويسرا. لم يحضر هذا المؤتمر لا العرب ولا الأرمن ولا الكرد، وكان مصطفى كمال قد قبل انسلاخ الولايات العربية عن تركيا على مضض. ولكنه صمم على استرجاع ولاية الموصل. ولم تحل مشكلة الموصل إلا عام ١٩٢٥، وكانت قد تحولت لمشكلة رسم الحدود بين العراق وتركيا، ولم تعد مشكلة دولة للأكراد .

كان قد تأسس فى ١٩٢٠/١١/١١ مجلس تأسيسى (برلمان) مؤقت يكون مسئولا تحت إشراف المندوب السامى عن حكومة البلاد فيما عدا السياسة الخارجية. وفى أكتوبر ١٩٢٢ عقدت بريطانيا مع العراق معاهدة لحل المشاكل السياسية التى يعانى منها العراق، وخاصة مشكلة الموصل ووصف جعفر العسكرى وزير الدفاع، المعاهدة بأنها الواسطة السياسية الوحيدة التى تؤيد وحدة العراق نظراً لفقدان العراق إلى سند أو حجة تؤيد هذه الوحدة السياسية (*) (مذكرات المجلس التأسيسى العراقى) .

وما إن وقع الملك فيصل على المعاهدة فى ١٩٢٢/١٠/١٢ حتى أصدر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البلاغ التالى: «ستبذل الحكومة البريطانية كل مافى وسعها فى سبيل الإسراع فى تعيين حدود العراق لكى يتسنى له طلب الانخراط فى عصبة الأمم، حينما يتم تصديق المعاهدة وتنفيذ مواد القانون الأساسى » .

وكانت المعاهدة ضمنياً، موجهة ضد الكرد إذ نصت على أن بريطانيا تساعد العراق عسكرياً للدفاع عن حدوده ثم مساعدته على قمع الاضطرابات الداخلية العشائرية وغيرها .

وكان القصد بالطبع ثورات الأكراد .

بعد استقرار العلاقات البريطانية العراقية بتوقيع هذه المعاهدة سنة ١٩٢٢، وبرتوكول أبريل ١٩٢٣ عدلت بريطانيا نهائيا عن إبقاء السليمانية تحت هيمنة المندوب السامى البريطانى وأصبحت لواء كيفية الألوية العراقية تديره وزارة الداخلية كما ذكرنا سابقا فى مايو ١٩٢٣ عقدت بريطانيا وفرنسا اتفاقا، قسموا بموجبه أسهم TPC وأمام هذا الحلف القوى رضخت تركيا، وقبلت أن تضع مشكلة الموصل بين أيدى عصبة الأمم لتقرر مصيرها بدأت عصبة الأمم بعمل استفتاء فى الموصل لمعرفة رغبات الكرد. مكثت بعثة عصبة الأمم فى الموصل من يناير إلى مارس ١٩٢٥. فى يوليو قدمت تقريرها الذى أكد أن أغلبية السكان من الأكراد تطالب بإقامة دولة مستقلة .

(*) (عبد الرازق الحسينى) .

فى ١٩٢٥/١٢/١٦ تحت تأثير بريطانيا وحلفائها تقرر عصبة الأمم ضم الموصل للعراق ولكن بشروط :

١ - أن يستمر العراق تحت الحماية البريطانية لمدة ٢٥ سنة .

٢ - الأخذ بنظر الاعتبار مطالب الأكراد فى حكم ذاتى وأن تكون الإدارة كردية، وأن تستعمل اللغة الكردية .

ولكن فى يونيو ١٩٣٠ تعقد بريطانيا مع العراق معاهدة تضع نهاية للانتداب البريطانى على العراق ويعلن استقلال العراق الرسمى دون أن يذكر شيئاً عن الأكراد .

فى عام ١٩٣٢، تقبل عضوية العراق فى عصبة الأمم . والجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٩٢ أقامت مجموعة من رؤساء العشائر الكردية قضية أمام محاكم دولية تطالب بفصل ولاية الموصل عن العراق لأن الحكومات المتتالية فى بغداد لم تطبق قرارات عصبة الأمم بإعطاء حكم ذاتى واستعمال اللغة الكردية .. إلخ .

قضت نهاية الانتداب البريطانى على العراق ودخول هذه الأخيرة، عصبة الأمم قضاءاً نهائياً على آمال الأكراد فى حق تقرير المصير أو حتى فى إقامة حكم ذاتى ذاتى فى شمال العراق.

وأسفرت خيبة الأمل هذه عن عدة انتفاضات عارمة، خاصة، ماأطلق عليه فيما بعد ثورة (٦ أيلول الأسود عام ١٩٣٠) إذ تجمع الجمهور من عمال وفلاحين وطلاب، وكل فئات الشعب حول سراى الحكومة فى السليمانية حيث اجتمع ثلاثون وجيهاً من وجهاء السليمانية لانتخاب المجلس النيابى، وقذفوه بالحجارة. وتطورت الحركة إلى حركة جماهيرية شاملة عطلت فيها المدارس وقفلت الدكاكين، وتحول الإضراب العام إلى مظاهرة كبيرة، اشترك فيها أهل السليمانية .

وبإجماع كل من كتب عن هذه الفترة كعبد الرزاق الحسني، وجلال الطلباني، فإن هذه الحركة تسجل نقطة انعطاف مهمة في الحركة الوطنية الكردية من حيث الطبيعة. فلأول مرة في التاريخ الكردي الحديث تحدث حركة وطنية يقوم بها الحرفيون والطلبة والكادحون والتجار ولأول مرة يقود المثقفون والعمال الحركة بدلا من رؤساء العشائر ورجال الدين والأمراء.

بانتهاء الانتداب البريطاني على العراق واستقلاله الاسمي، أصبحت العلاقة السياسية الرسمية بين العرب والكرد مباشرة وأصبحوا في خندقين في مواجهة مباشرة بعضهما البعض في حالة حرب، وانتهت هذه العلاقة الصدامية بشكلها السابق أثناء حرب الخليج وبعد انتفاضة الشعب الكردي وهروبه الى الجبال كما سنرى في الفصول التالية .

المصـــــادر :

- حليم أحمد: «موجز تاريخ العراق الحديث» بيروت - ١٩٧٨
- شكرى محمد نديم : «حرب العراق» ١٩١٤ - ١٩١٨ - بغداد .
- ن - ك - كارسون : «الشرق العربى - العراق» - موسكو ١٩٢٨ .
- أمين سعيد : «ثورات العرب فى القرن العشرين» - القاهرة .
- د. كمال مظهر أحمد : «دور الشعب الكردى فى ثورة العشرين » - بغداد ١٩٧٨ .
- د. كمال مظهر أحمد: «كردستان فى سنوات الحرب العالمية الأولى» - بغداد
- م.س. لازايف : «المسألة الكردية (١٩٢٧ - ١٩٢٣) ترجمة د. عبدى حاجى : بيروت ١٩٩١ .
- «المشكلة الكردية فى الشرق الأوسط» د. حامد محمود عيسى القاهرة ١٩٩٢ .
- «نفط العراق» - حكمت سامى سليمان دار الرشيد للنشر - ١٩٧٩ .
- «التاريخ السياسى لامتيازات النفط فى العراق - ١٩٢٥ -١٩٥٢» - بغداد
- «مجلة البترول والغاز العربى» - ١٩٦٥ .
- سى.بى - نيقو لسكو : «غزارة المناجم النفطية فى العراق» ترجمة يونان عبو - بغداد .
- «النفط مستعبد الشعوب» - يوسف ابراهيم يزبك بيروت ١٩٣٤ .
- Pichon, Jean, :" Le partage du prache - Orient" Paris 1938..
- Churchill, Winston, "The Great War" Vol-III London.1934
- LLoyd George, "War Memories" Vol. V Lon: 1936..
- " LLogd George " The Truth" Vol II.

- Wilson, Arnold, :"Mesopotamia 1917-1920
Aclash of loyalties" 1937 - london.
- Philby, H.J, "Arabian Days" - London"
-G.Bell, :"Review of civil Administration of Mesopotamia"
London 1920..
- Leaague of Nations - "Questions of the Frontier Between Turkey and Irak:- Geneva - 1924..
- Main, E., "Iraq From Mandate to Independence" - London 1935..
- Soane, E.B, "To Mesopotamiq & Kurdistan In disguise- London - 1912..

اليمجرسون له عدة دراسات كردية خاصة عن اللغة الكردية .

-Edmonds, C.J "Kurds, Turks & Arabs" Oxford - 1919..
– don-Longrigg. S.H.:"Four centries of Modern iraq History" Lon 1925..
" Longrigg S.H " :Oil in Middle East"
"oxford universty Press 1954..
- Zischka, Anton, "La Guerre Secrete Pour Le Petrole" - Paris 1934..
- International Petroleum Cartel - No. 6- Washington D.C.
- Morgan, J. :"Mission Scientifique en Pertse" Paris 1895..
- Hamilton, ch. W, :"Americans & Oil in The Middle East".
Houston - 1962..
- Nicolesco, C.P., :"Gisements Petroliferes En Irak".
Paris 1933..

بالنسبة للمعاهدات الدولية المذكورة فى الكتاب إطلعنا عليها فى :

– حلقات وزارة الخارجية الفرنسية – باريس .

– الملفات البريطانية – لندن Public Record office

– منشورات معهد التاريخ والعلاقات الدولية الحديثة باريس .

Institut des Relations Internationales Contemporaines - Paris - Sorbonne, 1975..

– د. كمال مظهر أحمد: «كردستان فى سنوات الحرب العالمية الأولى » ترجمه الى العربية (من الكرديه) محمد الملا كريم – بغداد ١٩٨٤ .

– بى ره ش : « العراق دولة بالعنف ١٩١٤–١٩٢٧».

منشورات كردولوجيا – لندن ١٩٨٦ .

– عن أسباب اختيار فيصل ملكا على العراق :

– وثيقة رقم F.o.371/6349 (الوثائق البريطانية) – لندن .

– د. فاروق صالح العمر " «السياسة البريطانية فى العراق من ١٩١٤ – ١٩٢١» – بغداد ١٩٧٨ .

– نجدة فتحى صفوت :«عرش يبحث عن ملك» مجلة «أفاق عربية» بغداد ١٩٧٨.

– رفيق حلمى (مذكرات) .

د. وليد حمدى : الكرد وكردستان فى الوثائق البريطانية من ١٨٣٠ – ١٩٦٠» لندن ١٩٩٢ .

إضافات – نشأة الدولة العراقية .

– ك – كوفمان : «السياسة النفطية والإستعمار الانكلو – ساكسونى»» موسكو – ١٩٣٠ .

– محمد حسنين هيكل :« حرب الخليج» – القاهرة – ١٩٢٢

- Atiyyah, Gh.R., : "Iraq 1908-1921 : A political study" Beitut 1973..

Forser, H.A.,: "The making of Iraq" - London - 1936..

- Bell, Gertrude : "The letters of G.Bell London 1930..

- Hutewitz, J.C. :"Diplomacy In the near and Middle East" Princeton - 1956..

- Saleh, Azki : "Mesopotamia - Iraq 1600-1914 Bagdad 1957..

- Vanly, Ismet Cgheriff : "Le Kurdistan irakien : entite nationale" Suisse - 1970..

Longrigg : + Modern - Iond 1925..

Wilson + Lond 1937..

الباب الخامس

العلاقات العربية الكردية
(من استقلال العراق
إلى حرب الخليج)

رأينا فى الباب السابق، كيف أن الانجليز بدأوا منذ ١٩١٤، فى احتلال ماكان يطلق عليه اسم ميزوبوتاميا السفلى (العراق العربى) إلى أن احتلوا ميزوبوتاميا العليا (كردستان الجنوبية) ولاية الموصل العثمانية عام ١٩١٩ .

وكيف أنهم ضموا هذه الولاية الكردية، إلى ولايتى البصرة وبغداد العربيتين فى إطار دولة عراقية ذات قوميتين: عربية وكردية، ونصب عليها فى ١٩٢١ ملك عربى، وهو الشريف فيصل بن الحسين (أمير مكة) أى من خارج المنطقة .

وقد انتهت هذه المرحلة بنهاية الانتداب البريطانى فى ١٩٣٠. واستقلال العراق «اسمياً» ورسمياً فى ١٩٣٢، وطيلة المدة من ١٩١٤ إلى ١٩٣٠ لم تتوقف الثورات والانتفاضات الكردية فى كل كردستان وخاصة كردستان الجنوبية موضوع بحثنا .

ابتداء من ١٩١٩ قامت فى كردستان عدة ثورات. أهم هذه الثورات هو ماأطلق عليه ثورة العشرين، لأنها كانت أول ثورة شعبية يلتحم فيها الثوار الأكراد فى الشمال بالثوار العرب فى الوسط والجنوب ضد المحتل الأنجليزى، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية وبطش المستعمر وانتهاكه للتقاليد .

وأحسن تلخيص لهذه الفترة ماكتبه رياض رشيد الحيدرى فى كتابه «الاثوريون»: «كان عام ١٩٢٠ هو عام الثورة فى العراق بوجه عام. فقد ساهمت فى هذه الثورة جميع فئات الشعب العراقى، سواء العرب أو الاكراد وأصبح الإنجليز يتساقطون كأوراق الخريف، على أيدى الثوار فى كل مكان من أراضى العراق» .

كانت الحرب العالمية الأولى واشتراك بريطانيا المكثف فيها قد أرهق المالية البريطانية الى أقصى حد، رغم أغلبية احتياجات جيوشها كانت تؤمنها موارد مستعمراتها وظهر تذمر شعبى فى بريطانيا، وطالبت الجماهير بانسحاب القوات البريطانية فى الرافدين رغم أنها كانت الدرة الثانية فى التاج البريطانى بعد الهند، ولكى تمتلىء خزائن لندن مرة أخرى، ضاعف المستعمر البريطانى الضرائب على الفلاحين والعمال عرباً وأكراداً .

كما قتلت الزراعة والحرف الصغيرة والتجارة المحلية الناشئة فى العراق باسم حرية التجارة لتفسح المجال للمنتجات البريطانية وخاصة النسيج .

فى الوقت نفسه كانت تلفح المنطقة، والعالم رياح الحرية، واستيقاظ القوميات. فكانت ثورة ١٩١٩ فى مصر، وفى سوريا المقاومة (عرب وكرد) ضد المستعمر الفرنسى، فى أيرلندا ثورة. فى الاتحاد السوفيتى ثورة.صاحب كل ذلك إعلان نقاط الرئيس الأمريكى وودرو ولسن الأربع عشرة وعن حق تقرير المصير للشعوب.

بدأت الشرارة عندما ثارت عشيرة كوبان، قريباً من مدينة زاخو (قريباً من الحدود التركية) فى أبريل ١٩١٩، ثم مالبث أن ساندتها عشيرة برزان (التى برز منها الزعيم مصطفى البرزانى). ومالبثت أن انتشرت الانتفاضة شرقاً نحو السليمانية (على الحدود الإيرانية) حيث ثارت معظم القبائل الكردية تحت زعامة الشيخ محمود البرزنجى. فى الوقت نفسه انتفض السنة والشيعة والمسيحيون، فى كل أنحاء العراق والتحم ثوار الشمال بباقى الثوار. وقد استعملت بريطانيا كل قواتها، لإخماد هذه الثورة الشعبية بشراسة منقطعة النظير. ومنذ ذلك الوقت حاولت بريطانيا إدخال أمريكا بإمكاناتها الهائلة فى المنطقة، عن طريق الانتداب كى تساهم فى مجابهة حركات التحرر العربية والكردية الصاعدة فى المنطقة. ظلت ذكرى هذه الثورة فى مخيلة العراقيين، رمزاً لنضال كل فئات الشعب فى العراق ضد الظلم والطغيان ضد المستعمر الأجنبى ويطلق عليها ثورة العشرين .

تطور الحركة القومية الكردية :

انتهت فترة الانتداب البريطانى ١٩٣٠، ولكن لم يتغير الوضع بالنسبة للأكراد، الذين اكتشفوا أن الحكم الملكى ماهو إلا منفذ لكل ماتمليه عليه لندن، لحماية مصالحها البترولية والاستراتيجية .

أصبحت عقيدة الأكراد، أنه طالما لم يتسبدل بهذا النظام نظام ديمقراطى فى بغداد. فسوف يكون حصولهم على حقوقهم القومية شبه مستحيل. منذ ذلك الوقت عمل القوميون والوطنيون العرب والكرد جنباً إلى جنب فى العراق بهدف الإطاحة بالنظام الملكى .

حتى عام ١٩٣٩ كان دور المثففين الكرد هامشياً فى غياب أى حزب كردى منظم. كان الحزب الشيوعى قد تأسس عام ١٩٣٤. كذلك أسس جماعة من المثقفين العرب على رأسهم كامل الچادرچى (سنى) وجعفر أبو التمن (شيعى) تنظيماً باسم «جماعة الأهالى» يؤمنون باشتراكية معتدلة. بعض المثقفين الأكراد كانوا يجدون طريقهم إلى هذه التنظيمات والأحزاب .

عام ١٩٣٦ وقع فى العراق حدث كان له دور وتأثير مهم. وبصورة غير مباشرة على الحركة القومية الكردية. ففى ١٩٣٦/١٠/٢٩ قام بكر صدقى العسكرى وهو ضابط عراقى (كردى الأصل) بأول انقلاب عسكرى فى الشرق الأوسط، ضد النظام الملكى. كان بكر صدقى العسكرى متأثرا بأفكار «جماعة الأهالى» ورغم أنه لم يقم بهذا الانقلاب باسم الكرد، أو لإقامة دولتهم المستقلة، رغم أن هناك من يؤكد ذلك ولكن الأحداث أثبتت عكس ذلك، فإن الفترة التى كان فيها فى الحكم (من أكتوبر ١٩٣٦ إلى أغسطس ١٩٣٧) عرفت خلالها الحركة القومية الكردية تقدماً محسوساً ودفعة قوية .

لم يؤثر مقتل بكر صدقى العسكرى فى ١٩٣٧/٨/١١ على الشعور القومى الكردى الصاعد والذى كثف نشاطه السياسى الذى أصبح علنياً أو شبه علنى .

ففى عام ١٩٣٩ شكل بعض المثقفين الأكراد، جمعية تطورت إلى أن أصبحت حزباً سرياً باسم «هيوا» أى «الأمل» هدفه المطالبة بالحكم الذاتى، داخل حدود

العراق يرأسه رفيق حلمى أحد أعوان الشيخ محمود البرزنجى سابقاً، ورفيق حلمى كان شخصية وطنية مهمة، لعبت دوراً أساسياً فى الحركة الوطنية الكردية. وعمل الحزب على اجتذاب الأكراد من جميع الطبقات .

كان «هيوا» قوياً إلى عام ١٩٤٣ ولكن الخلاف بين قادته، حول ما إذا كان يجب الاعتماد على الاتحاد السوفيتى لتحقيق آماله القومية (الجناح اليسارى) أمام الاعتماد على بريطانيا والحلفاء (الجناح اليمينى) حال دون استمراره. وانقسم الحزب على نفسه منذ ١٩٤٥. كثير من أعضائه انضموا الى حزب «رزجارى كرد» أى «الخلاص» الذى أسس عام ١٩٤٥. كان هذا الحزب منظمة شعبية ضمت حوالى ٦٠٠ عضو، ومهدت لإنشاء الحزب الديمقراطى الكردستانى المشهور باسم «البارتى» والذى رأسه مصطفى البرزانى إلى عام ١٩٧٥ (ويرأسه اليوم ابنه مسعود البرزانى) والذى قاد لمدة طويلة بمفرده نضال الشعب الكردى. كان قد تأسس عام ١٩٤٥ فى إيران حزب بنفس الاسم. وتأسس الحزب الديمقراطى لكردستان العراق على غراره عام ١٩٤٦ .

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. كانت المعارضة العراقية تتكون من ثلاثة أحزاب رئيسية : «جماعة الأهالى» عربية، «الحزب الشيوعى العراقى» (عرب وأكراد)، حزب «الپارتى» كردى . كان الهدف البعيد للبارتى هو حق تقرير المصير للشعب الكردى، وكان قادة الحزب واثقين بأنه لا يمكن تحقيق هذا الهدف، إلا إذا كان فى العراق نظام ديمقراطى مستقل الإرادة .

ركز البارتى مع الأحزاب الأخرى على النضال من أجل الإطاحة بالنظام الملكى، وإرساء نظام ديمقراطى وتحقيق الحكم الذاتى لكردستان داخل دولة العراق التى هى دولة للشعب العربى والشعب الكردى. وكانت هذه الأهداف تتفق، إلى حد كبير مع أهداف الحزبين الآخرين .

كان الحزب الشيوعى وبه «شعبة كردستان» يعطى أولوية للحركة الاشتراكية الأممية فى حين أن «البارتى» كان يعطى الأولوية للحركة التحررية الكردية فى إطار الحركة الاشتراكية الأممية، ولكن فى ١٩٥٦ يعترف «الحزب الشيوعى

العراقى» بأن القسم العربى من العراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية . وأن داخل حدود العراق، التى حددها الاستعمار يوجد جزء من الأراضى الكردية، لذا فالعراق وطن لشعبين. وبالتالى تحسنت العلاقات التى كانت متوترة بين الحزب الشيوعى والبارتى .

الإطاحة بالنظام الملكى فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ :

فى ١٩٥٨/٧/١٤ يطيح انقلاب عسكرى بقيادة ضابط فى الجيش هو عبد الكريم قاسم بالنظام الملكى (*) ساعده فى الفوز، السخط داخل العراق، وتطور الحركة القومية العربية، وبروز الحركات التحريرية فى العالم وحركة عدم الانحياز.

أسرع عبد الكريم قاسم الى إعادة الحياة الديمقراطية إلى العراق : الاعتراف بالأحزاب بما فى ذلك «البارتى» والسماح بتكوين أحزاب جديدة، وإصدار صحف ومجلات كردية، وقد ظهرت ١٤ صحيفة ومجلة كردية فى هذه الفترة .

اعتقد الأكراد، بأن هذا ليس مجرد انقلاب عسكرى، ولكن ثورة شعبية حقيقية، ستؤدى فعلاً إلى إحلال الديمقراطية فى العراق وبالتالى الى تحقيق الحكم الذاتى فى كردستان .

والذى أكد شعورهم هذا ، أن بعد أقل من أسبوعين، أى فى ١٩٥٨/٧/٢٧ أعلن الدستور المؤقت الجديد الذى يعيد الحياة الديمقراطية .

أهم ماينص عليه هذا الدستور بالنسبة للأكراد، هو أن البند الثالث يعلن صراحة أن الشعب العراقى يتكون من قوميتين: العرب والأكراد وأنهما شركاء فى هذا الوطن. وأكد الدستور على ضمان الحقوق الوطنية الكردية داخل إطار الكيان العراقى .

(*) ربما يذكر القارىء الوحشية التى،، عومل بها الملك الشاب فيصل والوصى عبد الإله ورئيس الوزراء نورى السعيد بعد أن قتلوا، نكل بجثتهم فى شوارع بغداد حين «سحلوا » حسب التعبير الشبعى العراقى .

كانت هذه هى أول مرة فى تاريخ الكرد الحديث، أن ينص دستور دولة من الدول التى تقتسم كردستان، بوجود أرض كردية وشعب كردى، داخل حدود هذه الدولة .

فرح الأكراد بالدستور، وبرجوع القائد مصطفى البرزانى من الاتحاد السوفيتى، هو وأعوانه الذين كانوا قد فروا إليه بعد سقوط أول جمهورية كردية، أى جمهورية مهاباد ١٩٤٦ عبر الحدود الإيرانية - التركية العراقية منذ ١١ سنة، ولقائه مع جمال عبد الناصر فى طريق عودته عن طريق القاهرة ، واستقباله فى بغداد من قبل عبد الكريم قاسم، جعل القادة الأكراد يتغاضون عن البند الثانى الذى ينص على أن العراق بكل أراضيه جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، فى حين كان الأكراد يلحون على أن يؤكد الدستور، أن الجزء العربى من العراق، هو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية.

وكان هذا أول مسمار فى نعش الصداقة العربية الكردية فى العراق. مع ذلك احتفل الشعبان العربى الكردى فى العراق بالأخوة العربية الكردية، وكانت فرحة الشعبين حقيقية وولاؤهما للعراق ووحدته صريحة وصادقة .

وكانت هذه الفترة على قصرها، والتى تكررت مرة أو مرتين بعد ذلك بالصدق نفسه والعمق نفسه، هى دليل واضح وصارخ بأن مصالح وطموحات الأمة العربية والأمة الكردية لا تتعارض، بل بالعكس يمكن أن تساند الواحدة الأخرى، لتحقيق طموحات الشعبين وتحقيق استقرار المنطقة، وبرهنت أيضاً أن الصداقة والتعايش السائد بين قوميات لا تعارضها الشعوب. والعداء هو نتيجة لسياسات الأنظمة.

ولكن سرعان مانزع عبد الكريم قاسم قناعه وظهرت حقيقة ممارساته الديكتاتورية على العرب وعلى الأكراد معاً. ولكى يستطيع أن يسيطر على الحياة السياسية كاملة، كأى ديكتاتور عسكرى، بدأ بضرب القوميين (ناصريين، وبعثيين) خاصة الذين قادوا حركة الشواف فى الموصل عام ١٩٥٩ .

وقد حدثت تجاوزات عديدة على أرواح المواطنين، ليس فقط فى مديرية الموصل، بل امتدت إلى مناطق أخرى، خاصة كركوك، حيث تعرضت الأقلية التركمانية الموجودة بها، إلى عمليات انتقامية وحشية .

شارك إلى جانب عبد الكريم قاسم فى مواجهة حركة الشواف الشيوعيون والأكراد، وقد شاركوا أيضاً فى التجاوزات وقد ترك ذلك حزازات عند القوميين العرب تجاه الحركة الكردية .

بعد ذلك التف عبد الكريم قاسم على عبد السلام عارف الذى كان زميله فى ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. وأدخله السجن بسبب توجهه القومى الوحدوى مع مصر، وقيادة عبد الناصر .

لم يكتف عبد الكريم قاسم بضرب القوميين والبعثيين بل راح يواجه الشيوعيين ويوجه لهم ضربات للحد من نفوذهم المتزايد داخل المؤسسات الحكومية، والجيش خوفاً من انقلاب قد يقومون به .

من جانب آخر ظهرت الخلافات بين قاسم والبرزانى عام ١٩٦٠ بسبب عدم تلبية الحقوق القومية الكردية وخاصة حول قانون الإصلاح الزراعى. وانتهز قاسم فرصة خلاف عشائرى فى منطقة برزان (مسقط رأس مصطفى البرزانى) وسلح عشيرة الزيبارى التى كانت فى خلاف مع عشيرة البرزانى. وأخذت تهاجم عائلة البرزانى ومكاتب الحزب الكردستانى. ثم أقفل جريدة الحزب «خبات» وقدم للمحاكمة رئيس تحريرها إبراهيم أحمد، الذى كان فى الوقت نفسه سكرتير عام الحزب، وأحد أهم الزعماء التاريخيين للثورة الكردية ، ويطلق عليه «فيلسوف الثورة» .

ولكن بلغت ذروة الاستفزاز من قاسم. عندما نادت جريدة «الثورة» الشعب الكردى وطالبته بانصهاره وذوبانه فى الشعب العربى. ألغى قاسم، عن طريق جريدة «الثورة» كل ما نص عليه الدستور المؤقت. شعر البرزانى بالخطر على حياته. فترك بغداد وفر هارباً إلى برزان. فما كان من قاسم إلا أن أرسل طائراته لتدك منطقة برزان بصورة شاملة فى ١٩٦١/٩/١١ بالقنابل .

حينذاك يتخذ «البارتى» تحت رئاسة البرزانى قراراً بالإجماع بتنظيم الدفاع عن الشعب الكردى. وإعلان يوم ١٩٦١/٩/١١ ثورة ضد ممارسات - الحكم الديكتاتورى القاسمى كانت هذه هى بداية الحرب بعد الإطاحة بالنظام الملكى، بين بغداد والحركة الكردية وإن كان قد تلتها حروب أخرى. تخللتها فترات هدنة، ومفاوضات واتفاقيات صلح. ثم تلتها احتفالات الاخوة العربية الكردية، إلا أن

سرعان ماتفرغ حكومة بغداد هذه الاتفاقيات من مضمونها، ودائما طبقاً لسيناريو معين: تحول الحكم الذاتى إلى مجرد إجراءات إدارية، لا تنطبق مع الحد الأدنى لمطالب الأكراد، فتنتهى الهدنة، ويستأنف الأكراد حربهم ضد السلطة.

اندلعت إذن الحرب، بين السلطة العراقية والحركة الكردية فى ١٩٦١. بعد سنتين، من ممارسة الحريات الديمقراطية، وتعدد الأحزاب والاعتراف دستورياً، بوجود الشعب الكردى فى العراق وحقوقه .

ساعد ذلك، على الإسراع فى بلورة كل التيارات، والجمعيات والمنظمات، والمؤسسات الكردية. فبرزت حركة قومية تحررية، منظمة سياسياً وعسكرياً، ترتكز على قاعدة شعبية واسعة ، تاركة وراءها، إلى حد ما ، النمط التقليدى العشائرى نحو مزيد من الديمقراطية فى أخذ القرار فى قيادة المعارك. ولم تكن هذه الحركة تحظى، فقط بدعم الأكراد، بل بدعم كثير من المثقفين والتقدميين فى العراق. كانت هذه الحرب هى من أهم الثورات الكردية فى العصر الحديث بالنسبة للشعب الكردى ككل، بعد تجربة جمهورية مهاباد الكردية عام ١٩٤٦ فى إيران، وكانت نقطة تحول جذرية فى مسيرة الحركة القومية الكردية فى العراق. وقد بدأت كحركة للدفاع عن النفس . ضد قنابل عبد الكريم قاسم بألف مقاتل شمركة (فدائى) يواجه الموت إلى أن وصلوا ٢٠,٠٠٠ بعد سقوط قاسم فى فبراير ١٩٦٣ بعدها وصلوا إلى ٥٠,٠٠٠ فى ١٩٧٥ إلى جانب ٨٠,٠٠٠ مليشيا شعبية مسلحة .

أعيدت هيكلة الحزب «البارتى» بإنشاء مجلس قيادة للثورة، وقوانين إدارية لإدارة «الأراضى المحررة». وهنا نود أن نلفت نظر القارىء العربى أنه منذ ١٩٦١ إلى ١٩٩١ كانت معظم المناطق الكردية وفى معظم الأحيان تحت سيطرة الثورة الكردية. ماعدا المدن الكبيرة التى كانت تحت سيطرة الجيش العراقى الموجود بكثافة فيها، ولكن برغم ذلك كان المقاتلون الأكراد هم المسيطرون ليلاً على هذه المدن، وتساندهم الجموع البشرية التى ظلت رافداً أساسيا من النضال الكردى .

رغم نجاحها السريع، ظلت مطالب الحركة الكردية كما كانت طيلة الثلاثين عاماً الماضية متواضعة ذات خصوصية عراقية بحتة. بمعنى أنها لم تطالب إلا بالحكم الذاتى داخل الحدود العراقية - ظلت على خصوصيتها العراقية دون الالتحام بالحركات الكردية فى الدول الأخرى (تركيا - إيران - سوريا) .

كان مضمون مطالبها الاجتماعية تقدمياً رغم قيادتها العشائرية، وكانت تطالب بإصلاحات فى جميع أنحاء العراق لصالح اجراءات ديمقراطية تمس كل شعب العراق.

كان كثير من المثقفين الأكراد ينتقدون قادتهم على هذا «التواضع»، إذ كانوا يؤكدون، أنه لا يمكن للحركة الكردية أن تنجح إذا ظلت محصورة فى جزء واحد من كردستان، بل يجب عليها أن تلتحم فى حركة واحدة، ويكون مطلبها دولة كردية مستقلة. ونحن نتساءل هنا، دون أن نحاول تقديم أى رأى، فليس فى يدنا كل المعطيات، وكذلك ليس هذا موضوع الكتاب، نتساءل هل كانت الظروف المحلية والإقليمية والدولية تسمح بذلك، وهل كانت الحركات الكردية فى الدول الأخرى وقادتها ناضجين ومستعدين لقيادة حركة شاملة ؟

فى العراق كان الحرب مع الأكراد تضعف حكم عبد الكريم قاسم، على أكثر من صعيد، خاصة السياسى. فقد أساء تقدير قوة الأكراد. حتى الحزب الشيوعى بدأ يتخلى عنه، وينقده بشدة لموقفه من الحركة الكردية، وتراجعه فى تلبية مطالبها القومية. ويطالب رسمياً بحكم ذاتى تديره حكومة كردية، داخل العراق. وكان البعث، عدو قاسم وعدو الحزب الشيوعى وعدو الأكراد اللدود ينتظر دوره. وفى ٨ فبراير (١٤ رمضان) ١٩٦٣ يطيح ضباط بعثيون فى الجيش بحكم عبد الكريم قاسم ثم يعدمونه ويستولى عبد السلام عارف على الحكم، ويعين أحمد حسن البكر رئيسا للوزارة .

وقد بدأ نظام إرهابى مع بداية الثورة. قتل البعث آلافا من خيرة شباب العراق منهم ٧٠٠٠ شيوعى وكثير من المثقفين والمفكرين من جميع الفئات غير البعثية خاصة الأكراد. ثم ما إن وصلت الأسلحة التى اشتراها النظام الجديد من بريطانيا. حتى خرق الهدنة وأعلن عبد السلام عارف الحرب على الأكراد فى ١٩٦٣/٦/١٠، وكانت بداية حرب مرة أخرى .

منذ ذلك الوقت عرفت الحرب تطوراً جديداً، إذ بدأت حرب الإبادة للشعب الكردى (*) وبدأت فى كركوك خاصة سياسة التهجير للأكراد، إلى جنوب العراق وتهجير العرب البعثيين إلى كركوك.

الجيش العراقى رغم ذلك، يلاقى مقاومة شديدة، فيطلب مساعدة النظام البعثى فى سوريا (كان موحداً مع بعث العراق فى ذلك الوقت، تحت قيادة قومية واحدة أمينها العام ميشيل عفلق) الذى يرسل له فرقة مدرعة تدخل كردستان عن طريق زاخو ودهوك، على الحدود السورية التركية العراقية بقيادة فهد الشاعر .

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ عبد السلام عارف، وهو قومى تحالف مرحلياً مع البعث، يعزل أحمد حسن البكر والبعثيين الآخرين، ويعقد هدنة فى ١٩٦٤/٢/١٠ مع الأكراد (**) ولكن ككل الحكام السابقين، الهدنة تعلنها حكومة بغداد لكسب الوقت وتبدأ مفاوضات، لا بغرض التوصل إلى حل سلمى ولكن لالتقاط الأنفاس لشن حرب أخرى، عادة مع حلول الربيع. فى ١٩٦٥/٣/١٤ يشن عبد السلام عارف حرباً جديدة ولكنه يقتل بعد ذلك بشهور فى حادث تحطيم طائرة مروحية فى جنوب العراق (فى أغلب الظن أنه حادث مدبّر) ويخلفه شقيقه عبد الرحمن عارف الذى يستمر فى الحرب ضد الكرد، ولكن الجيش العراقى يلاقى مقاومة شديدة جدا، ويخسر معركة مهمة فى هندرين (تابعة لمحافظة أربيل)، فيعقد هدنة مع الأكراد فى ١٩٦٦/٦/١٥ .

كان خلاف قد بدأ منذ الستينيات بين قائد الثورة الكردية مصطفى البرزانى وبعض أعضاء المكتب السياسى، كإبراهيم احمد والقائد الصاعد جلال الذى كان اليد اليمنى للبرزانى، كان ممثل البرزانى والثورة الكردية فى القاهرة ودمشق وبيروت .

وهذا كان نتيجة لطبيعة تطور الثورة التى كانت قد توسعت وأصبحت حركة قومية تحررية كما ذكرنا أعلاه .

(*) المقابر الجماعية فى السليمانية: ٢٨٠ مدنيا قتلوا ودفنوا فى مقبرة جماعية .

(**) سنرى فى مكان آخر دور مصر وجمال عبد الناصر فى هذه المرحلة .

من بين الخلافات التى أدت كما سنرى إلى انشقاق خطير فى صفوف الحزب الديمقراطى الكردى «البارتى» كانت حسب قول الطلبانى هى الطريقة والأسلوب فى قيادة ومعالجة المسائل السياسية والحزبية والشعبية لكن الواقع حسب اعتقادنا، أنه كان خلافاً أيديولوجيا، فى المكتب السياسى وابراهيم احمد وجلال الطلبانى كان تفكيرهم تقدمياً متأثراً بالماركسية. فى حين كان البرزانى يتصرف كرئيس عشيرة، ويتشبث برأيه، كما هو الحال فى كثير من الحركات التحررية فى العالم الثالث.

ولكن للأسف هذا الخلاف تطور إلى أن وصل إلى اقتتال عنيف بين أخوة النضال عدة مرات بين ١٩٦٦ الى ١٩٧٠ وقد استغلت السلطات العراقية هذا الانشقاق وعملت على الاستفادة القصوى منه بتأجيجه بالحيل والتلويح بالتنازلات لهذا الفريق أو ذاك.

ولكن العقل تحكم عندما أدرك خطورة الموقف على مسيرة الثورة، وهذا دليل وعى سياسى أيضاً، فقد قرر البوزانى التصالح مع خصومه، ابراهيم أحمد، وجلال طلبانى بعدما أحرز فوزا مهماً هو اتفاق الحكم الذاتى فى مارس (آزار) ١٩٧٠ وكان فى قمة المجد .

انتهى الخلاف وأعيد توحيد صفوف الحزب مرة أخرى .

ظل الحزب «البارتى» موحداً إلى انهيار الثورة بعد اتفاق الجزائر فى ١٩٧٥، وبرزت من جديد الخلافات القديمة .

أدى ذلك إلى أن يعلن الطلبانى من دمشق عن تشكيل الاتحاد الوطنى الكردستانى فى ١٩٧٥/٦/١ وكان هذا منه رداً على انهيار الحركة الكردية .

مجىء البعث الى الحكم وظهور صدام حسين على المسرح السياسى فى العراق :

ينتقم حزب البعث فى ١٩٦٨/٧/١٧ من القوميين. ومن عائلة عارف، ويطيح بعبد الرحمن عارف ويصبح أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية وصدام حسين نائباً له. وتندلع مرة أخرى الحرب ضد الأكراد فى الربيع، فى إبريل ١٩٦٩.

وتدور معارك ضارية بالذات فى كركوك وأربيل، كانت هناك محاولة من أحمد حسين البكر، يصفها البعض بأنها كانت لأول مرة صادقة والبعض يؤكد أنها كالمحاولات السابقة حركة تكتيكية للاستعداد لحرب قادمة والتقاط الأنفاس وشراء الأسلحة .

كان أحمد حسن البكر، الذى يريد أن يظهر بأنه «موحد الوطن» يرسل عزيز شريف (*) فى السر للبرزانى لإجراء مفاوضات. وقد أدت فعلا هذه المفاوضات السرية إلى الاتفاق الشهير: اتفاق (آذار ١٩٧٠) الذى عقد فى ١٩٧٠/٣/١١ .

وقد توصل الطرفان الى هذا الاتفاق، بعد حرب ضارية دامية، مهدرة للثروات الإنسانية والمادية، وقد كانت المفاوضات معقدة وطويلة. ولكن ككل الاتفاقيات والدساتير السابقة، تعمد السلطة فى بغداد الى وضع قنبلة زمنية فى الاتفاق تفجرها فى الوقت المناسب .

كان بيان آذار يحتوى على ١٥ بنداً. يعترف بوجود أمة كردية شريكة فى الوطن العراقى، يعطى كل الحقوق الثقافية ، الكردية تصبح لغة رسمية للدولة، إنشاء مجمع لغوى كردى، جامعة فى السليمانية، منظمات شعبية الخ. تتمثل القنبلة هذه المرة فى أن الحكومة قد فرضت أن ينص بيان آذار على ألاّ يصدر قانون الحكم الذاتى إلا بعد مرور فترة أربع سنوات تشكل بعدها المجالس التشريعية والتنفيذية .

كما أنه لم يحسم مسألة الحدود فى المناطق المختلف عليها: كركوك، خانقين، سنجار ومناطق أخرى شكلت حدود هذه المناطق وتشكل لليوم أسباباً للخلاف وتبين أن النظام العراقى قد كرس هذه السنوات الأربع لتسليح نفسه، خاصة بعد ارتفاع سعر النفط، بعد العبور المصرى عام ١٩٧٣ وتقوية أركان حكمه الذى كان يتعرض منذ ١٩٧٠ لأزمة شديدة داخلياً وخارجياً .

لم يستطع الأكراد منع صدور البيان بشكله الناقص هذا ولكى يثبتوا حسن نيتهم حلوا مجلس الثورة الكردى، ومكتبه التنفيذى اللذين أنشئا فى ١٩٦٤ ولم يحتفظوا إلا بالتنظيم الحزبى «الحزب الديمقراطى الكردستانى » أى «البارتى»، الذى يعتبر بموجب اتفاق أذار ١٩٧٠ شريكاً لحزب البعث .

(*) شخصية يسارية عراقية عضو مجلس السلم العالمى .

وسادت كل العراق من أقصاه الى أقصاه فرحة حقيقية بوقف النزيف البشرى طيلة هذه السنوات. ساعد الحظ أن أكون فى العراق أثناء هذه الاحتفالات، فقد كنت مبعوثة من وكالة الأنباء الفرنسية فى باريس لتغطية الأحداث، وكنت فى الوقت نفسه مراسلة لمجلة «المصور» المصرية وحصلت باسمها على مقابلة الزعيم مصطفى البرزانى. وكانت الصحافة العالمية والصحافة المصرية، قد غطت هذه الأحداث بكثافة .

ولكن سرعان مايبدأ العد التنازلى إلى ساعة الصفر، واندلاع حرب جديدة، دائما حسب السيناريو التقليدى : تفريغ السلطة فى بغداد بطريقة أو بأخرى، الاتفاق من مضمونه وتحويله إلى مجرد لا مركزية إدارية. يغضب الأكراد الذين يصممون على الاتفاق كما هو. تضعف الثقة بين الطرفين – تستعد الحكومة لشن حرب جديدة ويبحث الأكراد عن مساعدات خارجية استعدادا للحرب المرتقبة دائماً فى الربيع .

تنشر الحكومة فى ١٩٧٠/٧/١٧ أى بعد أربعة أشهر على صدور «بيان آذار» ومن طرف واحد، مشروع الدستور المؤقّت، ولكن بدون التعديل الذى نص عليه البند العاشر من بيان آذار والذى يعلن أن الشعب العراقى مكون من شعبين (العربى والكردى) بل على العكس ، عدد الدستور واجبات الأكراد دون ذكر أى من حقوقهم. إضافة إلى ذلك أكد حزب البعث، أنه لايريد أية مشاركة فى الحكم وأنه الحزب الوحيد الذى يحكم العراق .

أحكمت السلطة قبضتها ، عبر أجهزتها الأمنية والحزبية وجردت مجلس الوزراء وبالذات الوزراء الأكراد الخمسة والموظفين فى المناصب العالية من سلطاتهم وصلاحياتهم . فى الوقت نفسه استمر تعريب منطقة كركوك وخانقين وسنجار ومندلى وشيخان ومناطق أخرى. وطرد منها الأكراد وسكن مكانهم عرب من العراق، أكثر من ذلك فى سبتمبر ١٩٧١ اتخذت الحكومة حجة أن إيران احتلت بعض الجزر فى الخليج (*) وطردت من العراق ١٢٠ ألف عائلة شيعية،

(*) طنب الكبرى . طنب الصغرى، أبو موسى .

معظمهم من الأكراد الفيلية – وهم من أكراد جبل بشنكوه (فى إيران) ولكن كانوا يعيشون منذ أجيال وأجيال فى بغداد وخانقين ومندلى قريباً من الحدود الإيرانية .

وقد أجبروا على ترك منازلهم، فى ساعات ووضعوا فى حافلات عسكرية، ورحلوا دون أى وجه حق إلى إيران. وهذا تكرر بشكل أكثر مأساوية فى ١٩٨٠ بداية الحرب العراقية الإيرانية لتشمل نصف مليون عراقى شيعى بينهم عشرات الآلاف من الأكراد بحجة التبعية الإيرانية (*)

لازال آلاف منهم يعيشون فى مخيمات على الحدود الإيرانية، فإيران تعتبرهم عراقيين فى الوقت نفسه تقوم بغداد بمحاولتين لقتل البرزانى. الأولى وهى الشهيرة عندما أرسلت بغداد وفداً من علماء الدين كانوا ملغمين، دون علمهم، لمقابلة البرزانى فى ١٩٧١/٩/٢٩ فانفجرت فيهم الألغام، وقتلوا ونجا البرزانى بأعجوبة. ولم تيأس بغداد وحاولت مرة أخرى اغتيال البرزانى فى ١٩٧٢/٧/١٦ بدون جدوى .

بعد المحاولة الأولى بشهرين أى فى ١٩٧١/١١/١٥ يدعو الرئيس العراقى أحمد حسن البكر باسم قيادة الثورة الأحزاب، إلى تكوين جبهة قومية، تحت قيادة حزب البعث، وتقترح إنشاء مجلس وطنى من عشرة أعضاء، يعينون من قبل مجلس قيادة الثورة البعثى فقط.

لم يرفض «البارتى» هذه الدعوة ولكن، نظرا لكل الاستفزازات السابقة، وضع «البارتى» شروطاً لدخول هذه الجبهة ،وكانت شروطاً لاتتعدى ماينص عليه بيان آذار، طلبت الحركة الكردية، وضع دستور دائم وإقامة انتخابات تشريعية حرة لإنشاء نظام برلمانى وتطبيق المساواة بين الأحزاب المكونة للجبهة .

ترفض بغداد مطالب مصطفى البرزانى – وتبدأ فى تكوين الجبهة، ويشارك فيها الحزب الشيوعى (تحت ضغط من موسكو) التى كانت تتفاوض مع بغداد على عقد معاهدة صداقة وتعاون، تزود بموجبها موسكو بغداد، بالأسلحة والخبراء، وتحصل على تسهيلات لبواخرها فى الموانىء العراقية (والتى أبرمت فى إبريل ١٩٧٢) وتعلن الجبهة فى أواخر ١٩٧٣ . ويرفض البارتى دخوله فيها .

(*) التبعية: الجذور الأصل من مئات السنين فى إيران أى عندما كانت أرضاً مفتوحة وغير محددة. كل هؤلاء يعتبرون أنفسهم من مئات السنين عراقيين عرباً كانوا أم أكراداً، أغلبهم لا يتكلم الفارسية .

رغم التوتر، يحاول الطرفان سراً وعلانية، استئناف المفاوضات. لكنها تصطدم مرة أخرى بالنقاط نفسها التى اصطدمت بها دائماً، والتى لازالت الى اليوم تصطدم بها وهى باختصار: طبيعة الحكم الذاتى - مصير مدينة كركوك - نصيب كردستان من عوائد النفط - تحديد كردستان، جغرافيا، كان اتفاق آذار ينصّ على ضرورة عمل تعداد سكانى على ضوئه ترسم حدود كردستان ونسبة عوائد النفط حسب نسبة السكان الأكراد إلى سكان العراق .

ولكن الحكومة رسمت دون اشتراك الأكراد، الحدود الجغرافية لكردستان، ولم تدخل فى هذه الحدود إلا نصف مساحة كردستان، حسب تخطيط الأكراد لكردستان .

يقطع البعث المفاوضات ويعلن فى ١٩٧٤/٣/٣ نهاية الفترة الانتقالية (التى حددت لعمل تعداد) ويعلن قانون الحكم الذاتى من طرف واحد فى ١٩٧٤/٣/١١ دون مشاركة الأكراد فى صياغته. وهذا طبعاً ليس وارداً فى بيان آذار .

يرسل مصطفى البرزانى ابنه إدريس الى بغداد ويطلب من الحكومة تأجيل إعلان القانون وتمديد فترة الانتقال سنة أخرى تنتهى فى ١٩٧٥/٣/١١، بأمل التوصل الى حل حول النقاط الصعبة، من جهة أخرى يتصل الأكراد بموسكو ولكن القادة السوفيت المتطلعين إلى علاقات خاصة مع بغداد وعيونهم على الخليج فينصحون الأكراد بالدخول فى الجبهة وقبول شروط بغداد، ترفض القيادة الكردية فترفض بغداد مدّ الفترة الانتقالية إلى ١٩٧٥ وتعلن قانون الحكم الذاتى لكردستان وحدودها كما رسمتها وتطرد بغداد فى ٨ فبراير ١٩٧٤ - أكثر من ٤٠٠ عائلة كردية من وظائفها ومنازلها من منطقة كركوك كانوا يعملون فى صناعة النفط. ثمّ تم طرد سكان ١٥ قرية من حول كركوك وإرسالهم إلى مكان مجهول. أما فى كفرى (محافظة ديالى) فقد محيت عدة منازل للأكراد بالبلدوزر .

فى ٢/٢٤ قيادة الثورة تحل الأحزاب غير المشتركة فى الجبهة أى «البارتى» وترسل إنذاراً إلى البرزانى تطلب منه قبول تطبيق هذا القانون .

هنا حدث ماحول وجه الثورة الكردية. بكل ماسيترتب عليه من نتائج. فقد التحق مائة ألف كردى تاركين بيوتهم فى المدن الكردية، الرئيسية (أربيل - السيلمانية - دهوك) التى كانت تحت السيطرة العسكرية العراقية. أما فى القرى

والمدن الأخرى، فقد التحق أكثر من مليون كردى من فلاحين وعمال ومثقفين، الى الثورة الكردية، أغلبهم لم يكونوا قد اشتركوا من قبل بصورة فعلية لا فى الحروب ولا فى الحياة السياسية .

التوتر كان قد وصل إلى أقصاه. والتعريب على قدم وساق، وآلاف الأكراد يزحفون الى المناطق التى كانت تحت سيطرة الثورة الكردية. وزاد عدد الزاحفين الى درجة أن طلب الأكراد من الهلال الأحمر الإيرانى (الأسد والشمس الحمراء) أن يساعد على إيواء الزاحفين خاصة وأن كردستان كانت تحت حصار اقتصادى شديد .

زاد عدد الفارين إلى المنطقة الكردية، ومنها إلى إيران، خوفاً من الحرب حتى وصل إلى ١/٢ مليون مهاجر حسب المنظمات الإنسانية (*)

واندلعت الحرب مرة أخرى، ودخلت بغداد بكل قواها فى هذه الحرب. حوالى ربع مليون جندى، مئات من الدبابات المتطورة، وكل السلاح الجوى . وقد توجت اولى الأعمال الحربية بقصف مدينة قلعة ده زى فى ١٩٧٤/٤/٢٤ الذى راح ضحيته عشرات المواطنين من طلبة السليمانية الذين قد انهزمت قواهم من سيطرة السلطة مقابل ذلك كان حوالى ٥٠.٠٠٠ بشمركة (مقاتل) وآلاف من المقاومة الشعبية .

تقع معارك شرسة حول مدينة رواندوز التى دمرت بالكامل. فى هذه الأثناء عرضت إيران بضمان من أمريكا مساعدات عينية، وأسلحة وذخيرة للأكراد، لمواجهة القوة الهائلة للجيش العراقى .

رحبت القيادة الكردية مضطرة بالمساعدات الإيرانية والأمريكية وحتى الإسرائيلية التى جاءت بشكل غير مباشر وهذا رغم تحفظ بعض منهم، وعلى رأسهم المرحوم صالح اليوسفى الذى كان عضواً فى المكتب السياسى للبارتى، وكان دائماً يدعو إلى السلم والحوار، ويعتقد بضرورة الاتصال مع العرب، والسوفيت لحمل بغداد على وقف الحرب .

(*) هذه الأعداد من اللاجئين إلى إيران، بالإضافة إلى آلاف الفيليين الذين رحلوا من قبل، استغلهم شاه إيران الذى اعتبرهم رهائن، ليجبر قادة الثورة الكردية على إلقاء السلاح بعد اتفاق الجزائر فى ١٩٧٥، كما سنرى فيما بعد .

استطاع الأكراد صد الجيش العراقى ومنعه من دخول كثير من المدن. كانت ضحايا الطرفين باهظة، أكثر من ٦١ ألف قتيل وجريح من رجال السلطة حسب تصريح أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية منهم عشرات من الضباط. وأسقط الأكراد عدداً من الطائرات. ودب القلق من قرب انهيار الجبهة العراقية أمام المقاتلين الأكراد .

اتفاقية الجزائر مارس ١٩٧٥ :

أمام احتمالات انهيار الجبهة العراقية، وتقدم الأكراد حاول صدام حسين، الذى كان لا يزال نائباً للرئيس منع هزيمة شبه مؤكدة لجيشه وانتصار شبه مؤكد للأكراد رغم ضخامة القوات المسلحة والأسلحة والتى دخلت بها بغداد هذه المعركة .

كان مستعداً لدفع أى ثمن حتى ولو كان على حساب السيادة العربية، على أهم ممر مائى عربى فى الخليج، أى شط العرب، لمنع هذه الكارثة. مما تدمى له القلوب أن نرى أن من ساعد وخطط ونفذ ما أسفر عنه التنازل عن السيادة العربية على شط العرب هو زعيم دولة خاضت ثورة طويلة اسطورية ضد الاحتلال والظلم، وضحت فى سبيل ذلك بمليون شهيد، أى الجزائر، ورئيسها الراحل هوارى بومدين ووزير خارجيته عبد العزيز بوتفليقة. وكان ذلك لمساعدة صدام حسين لسحق الثورة الكردية التى تطالب بحقوق قومية .

يطلب صدام حسين أثناء قمة الأوبك فى الجزائر فى مارس ١٩٧٥ من بومدين أن يتوسط بينه وبين الشاه، بهدف القضاء على القضية الكردية نهائياً وجذرياً. يقبل شاه إيران سحب كل مساعداته الحربية والإنسانية للأكراد، ويقفل الحدود أمامهم فى مقابل أن تتنازل العراق عن السيادة العراقية على كل شط العرب، وأن يكون خط ثالوك هو الحدود بين العراق وإيران – وأن توقف بغداد حملاتها الدعائية ضد طهران، وأن تكف عن مهاجمة معاهدة فكّ الاشتباك فى سيناء على مصر واسرائيل .

بمساعدة الرئيس الراحل بومدين، ووزير خارجيته بوتفليقة وسفيره فى بيروت محمد يزيد تمت الصفقة فى الجزائر فى ١٩٧٥/٣/٦ أثناء مؤتمر الأوبك. ثم أكدت عليها بمعاهدة عراقية – إيرانية فى ١٩٧٥/٦/١٣ وقعت رسمياً فى بغداد،

بحضور وزراء خارجية البلدين ووزير خارجية الجزائر عبد العزيز بوتفليقة. وفعلا أغلقت إيران كل من يمكن أن يهرب منه الكرد من قنابل صدام سواء كانوا المحاربين أو الأهالى كذلك أغلقت تركيا حدودها مقابل تزويدها ببترول بأسعار (الدول الصديقة) وأيضاً لإضعاف الكرد بسبب المشكلة الكردية فيها.

كانت نتيجة ذلك مأساة بشرية بالنسبة للآلاف، والهروب واللجوء بالنسبة لآلاف آخرين من الأكراد.

خير البرزانى وقادة الثورة بين :

١ - التسليم واللجوء إلى إيران ٢ - تسليم نفسه مع مقاتليه للسلطة فى بغداد «للاستفادة من العفو العام!» ٣ - الاستمرار فى القتال بدرون دعم من إيران وعلى العكس سيواجه بتعاون عراقى - إيرانى حسب الاتفاقية المبرمة.

انقسمت اللجنة المركزية للحزب على نفسها: قسم يرفض التسليم ويطالب باستمرار القتال حتى ولو كان عملية انتحارية وقسم يحاول أن ينقذ مايمكن إنقاذه من خلال اتفاق مع بغداد، وأخبر المكتب السياسى السلطة فى بغداد بأنه يرفض.

يحسم البرزانى القرار وكيفية مواجهة اتفاقية الجزائر بإلقاء السلاح، ويقرر فى ١٩٧٥/٣/١٨ اللجوء إلى إيران. انهارت الجبهة الكردية تماماً بعد قراره وكانت أكبر كارثة نفسية وحربية وإنسانية عرفها الشعب الكردى فى تلك اللحظة من تاريخه الحديث.

ومن المفارقات أن ثورة تحرز نجاحات عسكرية، وتنهار بسبب تحالف عدة دول بالإضافة إلى دولة عظمى: (أمريكا كما سنرى فيما بعد) ضدها، ويقف العالم متفرجاً.

يبدأ النزوح البشرى إلى إيران فى ٣/٢٢ الإداريون يحرقون ملفاتهم، المقاتلون يلقون بسلاحهم، بعضهم يقتل رئيسه الذى يطلب منه إلقاء السلاح إلى آخره من مارس.

حوالى ٣٠٠,٠٠٠ كردى، منهم ٣٥,٠٠٠ مقاتل لجئوا الى إيران. ومئات الألوف الأخرى إلى العراق مستفيدة من العفو، وفى مقدمتهم المرحوم صالح

اليوسفى ، و تقوم السلطات العراقية بترحيلهم إلى جنوب العراق عقاباً على مشاركتهم فى الثورة. وفى إيران قامت السلطات الإيرانية بتشتيت المهاجرين الى كل أنحاء إيران، مفرقة بين الزوج والزوجة والأم وأطفالها خاصة المقاتلين منهم خوفاً من التحام أكراد إيران بأكراد العراق .

الخلفيات الدولية لاتفاق الجزائر - الأكراد كبش الفداء :

١ - المعاهدة العراقية السوفيتية التى أبرمت عام ١٩٧٢/٤/٩ أقلقت شاه إيران أكبر قلق واعتبرها أنها موجهة ضد إيران .

٢ - أكتوبر ١٩٧٣ - الجيش المصرى يعبر القناة ويتضاعف سعر البترول ويدر ذلك المليارات من الدولارات على العراق وهو من أهم منتجى البترول فى العالم - وكذلك على شاه إيران .

٣ - كان كيسنجر يريد بأى ثمن أن يحصل على اتفاق فك اشتباك بين مصر واسرائيل ولكن الاتفاق تعارضه سوريا، فأراد كسينجر أن يعزلها على الساحة العربية، كانت بغداد تهاجم هذا الاتفاق. فاعتقد كيسنجر أنه إذا ساعد أنور السادات العراق على التخلص من « الشوكة» الكردية فإن بغداد ستكف عن مهاجمة سياسة السلام التى انتهجها السادات، وقد بعث الرئيس السادات السيد أشرف مروان إلى بغداد وطهران لهذا الغرض .

الجزائر كانت تخشى من أى انتصار كردى، وحصول الأكراد على حقوق داخل العراق، أن يطالب البربر فى منطقة القبائل فى الجزائر بحقوقهم الثقافية .

كيف حقق كيسنجر والشاه وبومدين وصدام أهدافهم على حساب الشعب الكردى...؟

ظهرت حقيقة المؤامرة على الشعب الكردى عندما قامت لجنة أمريكية بتحقيق عن نشاط CIA وقدمت تقريرها المعنون Pike Report وكذلك مقالات فى النيويورك تايمز عام ١٩٧٦ وفى Village Voice وقد نشر عصمت شريف وانلى مقتطفات من هذا التقرير فى كتاب الأكراد وكردستان كما أشار اليه الاستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه «حرب الخليج » .

طلب شاه إيران من ريتشارد نيكسون أن يساعده فى معاونة الأكراد فى حربهم ضد صدام، بهدف إضعاف العراق، لأن الأكراد غير قابلين مساعدة من إيران وهى عدو استراتيجى لهم بسبب وجود حوالى ٦ ملايين فى إيران (أصبحوا ٨ ملايين). ولكنهم سيقبلون مساعدة أمريكية عن طريق إيران .

فى بداية ١٩٧٢ عندما اتصل الأكراد بالأمريكان رفض نيكسون مساعدة الأكراد، ولكنه قبل، بعد تدخل كيسنجر، بطلب من إيران أن يمنح الأكراد ١٦ مليون دولار. ظلت هذه المساعدة سراً لأن الوكالة المركزية CIA هى المكلفة بتنفيذ هذه المساعدة دون علم وتدخل وزارة الخارجية الأمريكية. مما تسبب فى إنشاء لجنة التحقيق عن نشاط الوكالة. والذى أسفر عن نشر التقرير سابق الذكر .

اعتقد البرزانى وأعوانه أنها مساعدة أمريكية عن طريق إيران. أى ضمنياً أمريكا تضمن استمرار المساعدة وأن إيران لا تستطيع أن تسحبها عندما تشاء.

يقول التقرير : «كان واضحاً أن كيسنجر والشاه كانا لايهدفان بالمساعدة انتصار الأكراد وحصولهم على حقوقهم والحكم الذاتى، وهو الشىء الذى لايقبله شاه إيران بأى حال من الأحوال، فالمساعدة كان هدفها تمكين الأكراد من الاستمرار فى القتال. فقط لاستنزاف العراق وحتى ينهار الأكراد ويقبلوا بنصف الحكم الذاتى الذى عرضه عليهم صدام حسين .

زار أندريه كريتشكو وزير خارجية روسيا بغداد فى مارس ١٩٧٤، وكان يحمل مشروع اتفاق بين بغداد والحركة الكردية ولكن تحت ضغط أمريكا وإيران رفض البرزانى المشروع الروسى .

كتب كثير من الجانب الكردى، خاصة، عن هذه المرحلة، لمعرفة هل كان من الممكن رفض المساعدة عن طريق إيران؟ هل كان يجب قبول قانون الحكم الذاتى عام ١٩٧٤ . هل يمكن لثورة منتصرة إلى يوم الاتفاق أى مارس ١٩٧٥ والجيش العراقى يتقهقر أن تطلب منها قيادتها إلقاء السلاح وتهرب القيادة إلى الخارج تاركة المقاتلين والشعب تحت رحمة أربعة جيوش مفترسة ؟

هل يمكن لقيادة أن تقرر عملية انتحارية مثل هذه لأن المجزرة كانت أكيدة،

والصمت العالمى مؤكد هو الآخر. إن تحليل هذه المرحلة ليس من موضوع هذا الكتاب، خاصة، وأن أرشيفات الحركة الكردية لم تفتح بعد، ولكن إذا كان لنا رأى بسيط نقوله، هو أياً كانت الظروف الدولية والإقليمية والمحلية فإن مسئولية مصطفى البرزانى وكل أعضاء المكتب السياسى، وكل القادة الأكراد كبيرة فى هذه الكارثة. وفعلاً انتهت قصة نضال أسطورية لمناضل كان ومازال رمزاً للنضال الكردى وهو مصطفى البرزانى بهذه الكارثة وقد مات حزناً فى منفاه بامريكا عام ١٩٧٩ .

إعادةِ بناء الحركة القومية الكردية فى المنفى :

أدى انهيار الثورة الكردية بعد اتفاق الجزائر مارس ١٩٧٥، والهجرة والتشتت إلى فراغ كبير فى الميدان السياسى الكردى. فلم يعرف المقاتلون والشعب إلى أى اتجاه يتجهون بعد تحلل «البارتى» وغياب القادة، فالحزب كان تجميعا لمختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية، وقد دخلت تحت رايته جميع الطبقات والفئات واليأس بلغ ذروته وساعد فى ذلك أن كان راديو بغداد يطنطن بأقوال الرئيس حسن البكر وهو يؤكد : «الثورة الكردية انتهت إلى الأبد» .

ولكن سرعان مابدأ الاكراد فى تنظيم صفوفهم مرة أخرى وظهرت عدة تيارات أدت فى النهاية إلى ظهور وبروز عدة أحزاب جديدة، فقد كان من المستحيل الاستمرار تحت قيادة واحدة تقليدية، لاتتناسب مع تحديات المرحلة بعد الكارثة، وهو تطور طبيعى وصحى لكل حركة تحررية، فهى تمر من الطفولة الى المراهقة ثم الى سن الرشد.

فى ١ يونيو ١٩٧٥ تكون الاتحاد الوطنى الكردستانى الذى يترأسه للآن جلال الطلبانى والذى كان لمدة طويلة أهم معاونى مصطفى البرزانى قبل حدوث الانشقاق الكردى عام ١٩٦٤ ثم وصل خلافهم الى حد القتال المسلح ١٩٦٦ وقد عرقل هذا الخلاف التاريخى مسيرة الحركة الكردية. أعلن الطلبانى فى دمشق فى ١ يونيو ١٩٧٥ تأسيس حزبه وكان هذا بمثابة رد على قرار البرزانى بإلقاء السلاح بعد اتفاقية الجزائر، يؤكد برنامجه على «ضرورة التعايش بين التيارات

الديمقراطية – التقدمية» وأنشأ الاتحاد قوة عسكرية خاصة به تسمى «فصائل الأنصار الوطنية» تعمل لتحقيق الحكم الذاتى والديمقراطية فى العراق .

القيادة المؤقتة للحزب الديمقراطى الكردستانى :

اتخذ مصطفى البرزانى الذى كان موجوداً فى إيران، موقفاً سلبياً من مبادرة تشكيل الاتحاد الوطنى وبدأ يلم صفوف الحزب الديمقراطى الكردستانى «البارتى» .

وبعد تنظيمه يشكل قيادة مؤقتة. تألفت هذه من نجليه إدريس البرزانى . ومسعود البرزانى. بالإضافة إلى سامى عبد الرحمن، العضو السابق فى المكتب السياسى إضافة إلى عدد من الكوادر الشابة .

وبالرغم من لجوء البرزانى فى ١٩٧٦ إلى أمريكا، فإنه ظل رئيساً للقيادة المؤقتة للحزب، وإن كان بشكل رمزى. وقد سير سامى عبد الرحمن، الذى كان سكرتيرا للقيادة المؤقتة، نشاط الحزب التنظيمى والعسكرى إلى شهر مارس ١٩٧٩ ، أى إلى وفاة مصطفى البرزانى فى منفاه بأمريكا ، بجانب إدريس ومسعود البرزانى .

اجتمعت القيادة المؤقتة بعد أشهر من وفاة مصطفى البرزانى. وقبل انعقاد المؤتمر التاسع للحزب، وقررت تنصيب مسعود البرزانى رئيساً جديداً للحزب. بقى سامى عبد الرحمن سكرتيراً للحزب لحين عقد المؤتمر التاسع فى أواخر ١٩٧٩. حيث انشق سامى عبد الرحمن مع مجموعة من العناصر الشابة من القيادة المؤقتة وشكل لاحقاً (عام ١٩٨١) حزباً جديداً وهو حزب «الشعب الديمقراطى الكردستانى» .

كرس المؤتمر التاسع رئاسة مسعود البرزانى والذى يرأسه لليوم. انتخب على عبد الله سكرتيراً جديداً للحزب .

أصبح لكل من حزب «الاتحاد الوطنى» والبارتى، أنصاره وأتباعه وتنظيمه العسكرى. وأعلن الحزبان اختلافهما حول أسباب انهيار الثورة الكردية. حيث كان «الاتحاد» الذى رأسه ويرأسه للآن «جلال الطالبانى» يضع مسئولية انهيار

الثورة وعدم استمرار الكفاح المسلح والرضوخ لاتفاقية الجزائر على عاتق قيادة البرزانى فى حين كانت القيادة المؤقتة للبارتى تدافع عن قرار إلقاء السلاح لوجود تآمر دولى قوى، وعدم إمكانية مواجهة اتفاقية الجزائر .

رغم أن القيادة المؤقتة للبارتى، قد تأقلمت وسايرت الاتجاه وتبنت المنهج التحليلى، إلا أن هيمنة البرزانيين على «البارتى» أوقفت طموح بعض الشباب المتطلعين نحو التغيير الشامل باتجاه تقدمى، ديمقراطى. وربما كان ذلك الموقف أحد أسباب انشقاق سامى عبد الرحمن بغض النظر عن التفاصيل والتعقيدات التى رافقت النضال الكردى فى هذه الفترة الحساسة جداً. والتى شهدت تعمقاً فى الخلافات والصراعات بين الأطراف الكردية.

أما العلاقات بين «الاتحاد الوطنى» و «القيادة المؤقتة» فقد تراوحت بين مد وجزر، وصلت أحياناً إلى اقتتال بين مقاتليهما، برغم المحاولات الكثيرة للاتفاق والتفاهم. وفى مارس ١٩٧٧ وقعا اتفاقية لتنظيم العلاقة بينهما .

ظهور أحزاب واتجاهات جديدة :

أفرز انهيار الثورة ومافجرته من صراعات وخلافات داخل الحركة الكردية عدداً من الاتجاهات المهمة التى أسفرت عن تكوين أحزاب جديدة .

أ - **الاتجاه الاشتراكى** والذى تزعمه صالح يوسفى الذى سبق أن ذكرناه، أنشئت «الحركة الاشتراكية الكردستانية» تحت قيادة صالح يوسفى وعلى عسكرى، وعمر دبابة .

انضمت فى لحظة الى «الاتحاد الوطنى» ولكنها انفصلت عنه بعد استشهاد اثنين من أبرز قادتها (على عسكرى - ود. خالد) فى اقتتال داخلى بين مقاتلى «البارتى» و «الاتحاد». ظهر اتجاه اشتراكى آخر بقيادة الدكتور محمود عثمان، الذى احتل المركز الثانى فى البارتى برئاسة مصطفى البرزانى بعد انشقاق طالبانى عنه .

شكّل هذا الاتجاه ماسمى بـ «اللجنة التحضيرية للحزب الديمقراطى الكردستانى» مع عدنان مفتى الذى مثل الثورة الكردية فترة فى بيروت (لبنان) - وشمس الدين المفتى (الذى مثل البرزانى فى طهران) .

فى وقت لاحق انضمت «الحركة الاشتراكية الكردستانية» مع «اللجنة التحضيرية للحزب الديمقراطى الكردستانى» ليكونا «الحزب الاشتراكى الكردستانى » وانتخب صالح اليوسفى سكرتيراً عاماً لهذا الحزب. ولكن السلطات العراقية، اغتالت هذا الإنسان الذى كان يرمز وينادى بالحوار العربى - الكردى، وبتعاون الشعبين .

بعد انتخابات مايو ١٩٩٢ فى إقليم كردستان، لم يفز هذا الحزب بأى مقعد ، كثير من أعضائه انضموا إلى أكثر من حزب .

ب - التيار الإسلامى :

تبلور التيار الإسلامى، وظهور اتجاه يمثله الإخوان المسلمون واتجاه آخر برئاسة إدريس البرزانى .

كون الاتجاهان حزباً باسم «الحركة الإسلامية الكردستانية» ويتزعمها الآن الشيخ عثمان وشقيقه الشيخ على وهما من أهالى حلبجة .

ولهذا الحزب علاقات مع العربية السعودية، ومع إيران وهو الآخر لم يفز بمقاعد فى البرلمان المنتخب فى مايو ١٩٩٢.

الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ ودور الحركة الكردية :

١ - فى ١ مايو ١٩٧٦ استؤنف العمل العسكرى ضد السلطة فى العراق، ولكن بسبب التعريب والتهجير والقتل الجماعى، تضاءل هذا العمل، ومع ذلك كانت هناك مناطق «محررة» صغيرة بعد أن كانت القوات العراقية قد أحكمت سيطرتها على مناطق واسعة وشددت الخناق على المقاتلين الجدد، ودمرت أكثر من ١٥٠٠ قرية وهجرت سكانها خلال عامى ٧٦ - ٧٧ بهدف عزل النشاط الكردى عن أى عمق فى كردستان تركيا، ، وإيران، وسوريا، وتسهيل عملية مطاردة الثوار .

٢ - أتاحت الحرب التى شنتها العراق على إيران فى ١٩٨٠/٩/٢٢ (كما ثبت ذلك وثبت أن إيران كانت قد بدأت بالمناوشات) أهم فرصة لأكراد العراق

وأكراد إيران للحصول على بعض مطالبهم من الحكومتين اللتين كانتا فى وضع ضعيف.

٣ - ففى العراق كان حزب البعث عام ١٩٧٩، وحسب تصريحات المسئولين، يقابل أكبر تحدٍ داخلياً. وقد فشلت محاولتان للانقلاب استهدفتا صدام حسين عام ١٩٧٩. مما أسفر عن إعدام أكثر من ٢١ قيادياً تحت الإشراف المباشر لصدام حسين، بينهم من كانوا أقرب المقربين إليه مثل عدنان حسين الحمدانى زوج أخته، الذى كان نائباً لرئيس الوزراء، وكذلك غانم عبد الجليل، الذى كان لفترة مدير مكتبه الخاص وحمد عايش، وعبد الخالق السامرائى وآخرين كلهم من قيادة حزب البعث. فى الوقت نفسه أزاح صدام حسين، أحمد حسن البكر، ونصب نفسه مكانه رئيساً للجمهورية، وقائداً عاماً للقوات المسلحة بعد أن منح نفسه رتبة فريق ركن أول، بصفة مهيب «مشير» مع العلم أنه لم يدخل الكلية العسكرية، ولم يخدم مطلقاً فى الجيش العراقى لا عن طريق التجنيد التطوعى ولا الإجبارى.

هذا داخلياً. أما خارجياً، فقد كان يواجه تهديدات الثورة الإيرانية، والمناوشات الدائرة على الحدود، وكذلك انعكاسات هذه الثورة داخل المجتمع العراقى بسبب وجود قسم كبير من الشيعة كان جزء ولو ضئيل منهم متعاطفاً مع الثورة الخمينية.

أما إيران من جهتها فكانت تمر بظروف فوضى كبيرة، انهار الهيكل العسكرى الذى بناه الشاه، بمليارات الدولارات بعد تضاعف سعر النفط نتيجة للعبور المصرى عام ١٩٧٣. وهرب خبراؤه وكثير من قادته الى الولايات المتحدة وأعدم عدد كبير منهم بتهمة «الفساد بالأرض» وكان إنتاج النفط تدهور ولم يصل إلى ١/٣ ماكان عليه من قبل.

ولكن تشتت الحركة الكردية فى العراق بعد انهيار الثورة فى ١٩٧٥، والذى أسفر عن انشقاقات حادة جداً بين صفوف الحركة الكردية فى العراق، ثم بين الحركة الكردية فى إيران وشقيقتها فى العراق. كل ذلك بالإضافة إلى دور القوى الإقليمية والدولية التى كانت وراء هذه الحرب والتى غذتها لمدة ٨ سنوات حال

دون أن يحقق الأكراد أى مكسب، لأن أكراد إيران كانوا يساندون حكومة بغداد لأنهم كانوا فى حرب مع إيران وأكراد العراق كانوا يساندون السلطة الخمينية لأنهم كانوا فى حرب مع بغداد .

أكثر من ذلك،أدت هذه الخلافات الكردية إلى نقل مسرح المعارك على الأرض الكردية فى العراق وإيران فقد محيت المدينة الكردية، قصر شيرين، منذ الأيام الأولى من الحرب. كما أن معارك ضارية قامت فى حاج عمران - مهران - بنجوين - حلبجة - مندلى - شهرزور.

نستطيع أيضا أن نقول، من ناحية أخرى إن الحكومتين فى بغداد وفى طهران كان فى استطاعتهما، وفى مقابل بعض الحقوق، التى عاجلاً أم آجلاً ستعطى أو بالأحرى ستؤخذ أن توقف نزيفا مستمراً لشعبيهما ولاقتصادهما وأن تضما قسماً كبيراً من هذا الشعب بجانبها. ولكن فى نفس الوقت نتساءل هل من الممكن لأنظمة لاتعير أى اهتمام ولا احترام لشعوبها، هل يمكنها أن تفكر فى مصلحة الشعوب الأخرى؟ وهل يمكن اختصار التاريخ ؟ لا أعتقد ذلك . فالأحداث تأخذ مجراها محملة بكل ثقل الماضى .

ولكن أيضاً لا أعتقد أنه يمكن للتاريخ أن يرجع الى الوراء مهما كان ثقل الماضى.

فى إيران كان القتال مستمراً بطريقة أو بأخرى بين السلطة والأكراد .

كان هناك رأى يتزعمه سكرتير الحزب الديمقراطى الكردستانى فى إيران، د.عبد الرحمن قاسملّو، وكذلك الأحزاب الكردية الأخرى وكذلك كثير من أكراد العراق، بأن ينضم قاسملّو، بقواته إلى جانب الحكومة الإيرانية، ويقاتل معها ضد العراق مقابل الاعتراف بحقوق الأكراد فى إيران. وقامت فعلاً مفاوضات سرية وعلنية، لم تسفر عن شىء لعدم استعداد الحكومة الإيرانية، فى التنازل عن أى حق للأكراد، فتوترت العلاقات .

فى العراق فى ١٩٨١ حاولت الحركة الكردية إقامة تحالفات مع قوى المعارضة العراقية، وعقدت على هذا الطريق سلسلة اجتماعات ومؤتمرات. فى دمشق،

وطرابلس (ليبيا) والمناطق المحررة من كردستان، لكنها لم تستطع إقامة جبهة موحدة، تضم كل الأطراف، لمواجهة صدام حسين، وهذا بسبب الاختلافات، بين أطرافها، خاصة العناصر العلمانية والتقدمية والحركة الإسلامية .

وقد تأثرت الجهود، نحو تحقيق هذا الهدف سلبياً بشكل أكثر بعد المفاوضات التى أجراها الاتحاد الوطنى الكردستانى مع الحكومة العراقية عام ١٩٤٨ .

تلك المفاوضات التى فشلت لأسباب كثيرة منها، التدخل التركى لدى بغداد لوقفها.

بدأ مسار الحرب يتجه باتجاه معاكس لطموحات الشعب الكردى، حيث انتقلت المعارك بين النظامين، إلى أرض كردستان العراق وكردستان إيران لتضييق الخناق على نشاطات الحركة الكردية فى البلدين .

ففى يونيه ١٩٨٣ عندما احتلت حاج عمران بمساعدة من البرزانيين والبارتى، مع ذلك منعت عليهم إقامة قواعد حزبية ثابتة هناك، وهم الذين كانوا يأملون فى تحرير حاج عمران وجعلها منطقة ومركزاً لهم فى كردستان العراق .

وربما كان انتقال المعارك الى كردستان من المواقف الإيرانية من الأسباب المهمة التى دفعت قيادة الاتحاد الوطنى الكردستانى للتفاوض مع الحكومة العراقية، بعدما حوصر مقاتلو هذا الحزب، جنباً إلى جنب، مع مقاتلى الحزب الديمقراطى الكردستانى الإيرانى، فى مواجهة التحدى الإيرانى الجديد .

بدأ الحوار بين السلطة العراقية وطلبانى. وفعلاً أعلن العراق فى ١٩٨٤ وقف إطلاق النار وإنهاء المواجهة العسكرية مع «الاتحاد الوطنى الكردستانى». فى أثناء هذه المفاوضات وأمام قلق الغرب لاحتمال انهيار الجبهة العراقية، بدأت الأسلحة تنهال بكميات هائلة على بغداد من أمريكا وروسيا وفرنسا .

فأصيب النظام العراقى بغرور، واعتقد انه ليس بحاجة لاتفاق وخاصة. كما ذكرنا أن الجانب التركى، قد أعلن رسمياً اعتراضه على المفاوضات وكانت تركيا تواجه ضغطا من مقاتلى حزب العمال الكردستانى الذى أعلن هو الآخر ثورة على الأتراك .

وبدلاً من أن يتفق صدام مع الأكراد، جدد مع أنقرة التعاون الأمنى بين البلدين الذى يسمح للطائرات التركية، بالدخول إلى أرض كردستان العراق. ومطاردة أكراد تركيا .

من جهة أخرى استعملت تركيا ورقة البترول للضغط على العراق، إذ هددت إذا تم اتفاق بين الحكومة العراقية وجلال الطلبانى، فإنها ستقفل أنابيب البترول الذى ينقل البترول العراقى عبر أراضيها. وكان هذا هو المنفذ الوحيد لتصدير البترول العراقى، أثناء الحرب العراقية الإيرانية .

وهكذا فشلت المفاوضات، واستؤنفت الأعمال العسكرية فى ١٩٨٥/١/١٥.

بعد فشل المفاوضات نجح أكثر من ١٠,٠٠٠ (عشرة آلاف) بيشمركة (مقاتل) من أعوان طلبانى أن يعيدوا السيطرة فى فبراير ١٩٨٥ على الطرق والقرى بين كركوك والسليمانية إلى الحدود الإيرانية ، حيث كانت قوات قاسملو تسيطر على هورمان. فى حين كان البرازنيون وحلفاؤهم من الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى يسيطرون على منطقة تمتد من الحدود السورية إلى رواندوز .

كان فى هذه الفترة يوجد التنسيق بين أكراد العراق وأكراد تركيا الذين قدموا مساعدات كبيرة ومهمة لأشقائهم عبر الحدود التركية السورية .

كان واحد من الجيوش الأربعة العراقية جنباً إلى جنب مع الآلاف من الأكراد العراقيين «الجحوش» (*) الموالين لبغداد، منهمكين بعيداً عن الجبهة الإيرانية، فى صد الهجمات الكردية فى الشمال .

قبيل نهاية الحرب العراقية - الإيرانية كانت الصفوف الكردية قد بدأت تتوحد بعد شتات وخلافات أضرت كثيراً بمسيرة الحركة الكردية وأضاعت عليها فرصاً تاريخية .

فى يوليو ١٩٨٧ أقيمت جبهة كردية من «البارتى» و «الاتحاد الوطنى الاشتراكى الكردستانى» وحزب الشعب «وحزب ياسوكة» .

(*) الجحوش - هكذا يسمى الأكراد الذين يتعاملون مع النظام العراقى الذى كان قد جند منهم الآلاف. وما إنفجرت الثورة مارس ١٩٩١ حتى انضم الأغلبية العظمى منهم الى جانب الثوار بأسلحتهم التى كان قد زودهم بها النظام .

بعد التصالح والتقارب بين الأحزاب الكردية، فى ١٩٨٧. كثفت الجبهة الكردية نشاطها ضد النظام، وحققت انتصارات مهمة. مثل تحرير بعض المدن الصغيرة.

فى مارس ١٩٨٨ حررت القوات الكردية مدينة حلبجة فدخلتها القوات الإيرانية بعد يومين من تحريرها. مما استفز إلى أقصى الحدود النظام العراقى. وكانت المنطقة تشهد فى تلك الأثناء معارك شرسة، ضد المقرات الرئيسية للاتحاد الوطنى، منذ ذلك الوقت كثفت الحكومة العراقية استعمال الأسلحة الكيماوية بشكل مأساوى للغاية، مما أدى إلى حرق مدينة حلبجة بسكانها فى ١٩٨٨/٣/١٦. فى الوقت نفسه نادت الجبهة الكردية بإقامة جبهة عراقية تضم كل أحزاب المعارضة للإطاحة بنظام صدام، ولإنهاء الحرب العراقية الإيرانية، التى تسببت فى خسائر لا حدود لها للجانبين، على أساس احترام سيادة البلدين على حدودهما الدولية - حقوق وطنية للأكراد - حكم ديمقراطى قائم على اتحاد اختيارى حر بين الشعبين العربى والكردى والأقليات الأخرى .

استعمال السلاح الكيماوي واستمرار الإبادة المنظمة - حلبجة :

أمام الانتصارات الكردية، صعدت بغداد من سياسة التهجير والتعريب إلى أن أصبحت حرب إبادة منظمة باستعمال كل أنواع الأسلحة وبالذات الأسلحة الكيماوية. كل المناطق التى كانت لازالت تحت السيطرة العراقية فرغت من سكانها وهدمت منازلها، حتى لا يحتمى بها المقاتلون ليلاً. أعلنت مناطق كثيرة كمناطق مسموح للسلطة العراقية أن تفتح النار على كل مايتحرك فيها من بشر أو حيوان .

فى هذه الفترة مسحت أكثر من ٤٠٠٠ قرية من على الأرض. أكثر من نصف مليون كردى هجروا إلى جنوب العراق فى الصحراء. آلاف آخرون هُجروا إلى إيران، وإذا رجعوا إلى قراهم كانوا يقتلون، رجالاً كانوا أم نساء، أطفالا أم شيوخاً .

فى كركوك آلاف من الأكراد والتركمان هجروا واستولت على منازلهم عائلات من جنوب العراق. بهذا طمست الهوية الكردية لكركوك .

عندما أحرزت القوات الكردية التابعة للاتحاد الوطنى فى السليمانية فى إبريل ١٩٨٧ انتصاراً، أحرقت القرى الكردية بالسلاح الكيماوى. لم يتحرك ضمير العالم. حتى عندما جاءت لجنة من الأمم المتحدة تحقق فى استعمال العراق للسلاح الكيماوى فى الحرب ضد إيران، أكدوا ذلك بالنسبة للإيرانيين أما بالنسبة للأكراد فقالوا. «إنها مسألة داخلية» كل ذلك قد أعد لمأساة جلبجة، فلماذا يتوقف صدام إذا كان الغرب مستمراً فى تزويده بالسلاح الكيماوى مقابل البترودولار.

حلبجـــة :

فى ١٩٨٨/٣/١٦ احتلت القوات الكردية مدينة حلبجة التى دخلها الإيرانيون بعد يومين والتى تقع على بعد بضع كيلو مترات من الحدود الإيرانية أيقنت بغداد أن الخطر جسيم. وكان رد الفعل رهيبا وسريعا أسقطت طائراتها أطناناً من الكيماوى على هذه المدينة الحدودية وفى ثوان كان أكثر من ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) شخص متجمدين وكأنهم التماثيل فى متحف الرعب. أم تحمى طفلها، أب يحمى عائلته. إن هناك ألافا من الصور وأشرطة الفيديو والوثائق عن جلبجة ومن السهل الحصول عليها، والآن أصبح ممكناً زيارتها فلا داع لنا هنا أن نتوسع فى وصف مالا يوصف.

بعد أن نشرت الصحف العالمية الصور والأخبار، لم يمنع أحد النظام العراقى من الاستمرار فى استعمال الكيماوى ضد المدنيين والعسكريين طيلة شهرى مايو وإبريل ١٩٨٨ ومن الجدير بالذكر، أن قصف المدينة لم يستهدف إلاّ الأبرياء من النساء والأطفال ولم يصب أحدا من القوات الإيرانية ولا المقاتلين الأكراد. وشككت الأنظمة العربية قاطبة فيما كانت تنشره الصحافة العالمية ووجدوا كل التبريرات لأعمال صدام. قليل من المثقفين العرب، يعدون على الأصابع، ندد وشجب. أخرون كان فى غير إمكانهم التبرير وكذلك السكوت فروجوا الإشاعات على أن الأكراد كانوا ينوون تفجير السدود فى كردستان لإغراق بغداد.

فى يوليو ١٩٨٨ تترك القوات الإيرانية جلبجة وحاج عمران التى كانت أهم قواعد لهم فى العراق. إيران تعلن قبولها قرار ٥٩٨ لمجلس الأمن، وأعلن وقف

إطلاق النار وطبق فى ١٩٨٨/٨/٢٠، وانتهت بذلك الحرب العراقية الإيرانية التى دامت ٨ سنوات .

استمرارحرب الإبادة ضد الأكراد: عمليات «الأنفال» .

خمسة أيام بعد وقف إطلاق النار أى فى ١٩٨٨/٨/٢٥ أرسلت بغداد ٦٠,٠٠٠ من الجنود المسرحين من الجبهة الإيرانية إلى كردستان معززين بالسلاح الجوى، لتحطيم كل ما تبقى من القرى الكردية. كان هدف بغداد واضحاً وهو تحطيم القوة القتالية للأكراد بتفريغ كردستان من سكانها، بالإبادة والتهجير. كان الجيش العراقى دائماً يجد صعوبة فى السيطرة على القرى التى تحميها الجبال والتى كانت بدورها تحمى المقاتلين وتزودهم باحتياجاتهم ومحو هذه القرى بأهلها يعنى «موت السمك بعد أن يجف حوله الماء» .

عمليات «الأنفال» الثلاث .

بعد أن استنفدت السلطة فى بغداد كل وسائل الإبادة، لجأت إلى القرآن الكريم تستلهم منه الوحى. وكان صدام قد تقمص صورة المتدين لينافس الخمينى، الذى كان يعبىء جنوده باسم الإسلام .

لقد استعمل صورة الانفال وفسرها بأن الجيش العراقى والشعب العراقى يمكن لهم أن يستبيحوا دم الأكراد فهم غير مسلمين وغير موحدين بالله، وبالتالى قتلهم حلال. وكان قبل كل بيان عسكرى خاص بعمليات الأنفال، تقرأ آيات من سورة الأنفال. وأناط شرف تطبيق هذه العمليات إلى على حسن المجيد الذى تفانى فى تطبيقها وقد أغدقت عليه النياشين لنجاحه الباهر. هناك ثلاث عمليات.

الأولى : بدأت فى ربيع ١٩٨٧ فى المنطقة السليمانية وبعض مناطق ديالى. شمال خانقين وبالذات على مقرات «الاتحاد الوطنى» الذى يرأسه جلال الطلبانى.

الثانية : فى ١٩٨٨/٨/٢٥ أى بعد حلبجة فى منطقة السليمانية أيضاً.

الثالثة : استهدفت منطقتى دهوك وزاخو. لقد قتل أكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف كردى فى عمليات الانفال فقط. وكان القتل إما بالدفن أحياء فى مقابر جماعية وكان أغلبهم أطفال ونساء. أو القتل ثم الدفن .

من الغريب أن الرأى العام العربى لم يسمع عن الانفال مع أن وسائل الإعلام العراقية كانت تتحدث عنها .

بعد حرب الخليج وأثناء انتفاضة الشعب الكردى. وتحرير كل كردستان، استولت الثورة الكردية على كل ملفات المخابرات العراقية فى الشمال واستولت على كل ما يخص عمليات «الانفال» التى كانت السلطات العراقية عرضت تصويرها فى كاسيت فيديو، أصبحت تباع فى اسواق كردستان. وقد جمع كل ذلك مثقف عراقى شيعى هو عدنان مكية (*) وأنتج سلسلة من الأفلام الوثائقية، التى عرضت أولا فى تليفزيونات بريطانيا ثم باقى العالم .

وقد صدر أخيرا فى لندن كتاب لعدنان مكية عن هذا الموضوع، كما صدر عدد خاص من «ميدل إيست ووتش» عن الأنفال، كل ذلك فى سبيل الإعداد لمحاكمة صدام حسين كمجرم حرب .

اجتياح الكويت فى٢/٨/١٩٩٠ : دور الأكراد .

هذا الاجتياح وضع الأكراد فى حيرة لا حد لها (ومَنْ من قادة العالم لم يكن فى حيرة؟) .

هل يقفون مع صدام حسين بعد كل ماحدث منه رفضت ذلك الأغلبية الكردية إذن الانحياز بجانب الحلفاء، ولكن أمريكا وأوروبا تتفادى القادة الأكراد خوفاً من إغضاب تركيا وإيران، وبالذات تركيا ولا يخفى على أحد، أهميتها فى حرب الخليج والدور الرئيسى الذى لعبه الرئيس الراحل تورجت أوزال .

جلال طلبانى يذهب إلى أمريكا. لاأحد يقبل أن يستقبله، الشىء نفسه فى باريس ولندن. ولكن مع ذلك كانت الجبهة الكردستانية تزود الحلفاء بالمعلومات عن التحركات العراقية. اجتياح الكويت اضطر العراق إلى سحب جيوشه من كردستان. واستطاع الأكراد السيطرة ثانية على عدة مناطق خاصة منطقة دهوك القريبة من تركيا. القادة الأكراد بدأوا استعداداتهم لكل الاحتمالات، سقوط صدام أو هجوم منه على كردستان والتنسيق مع قادة الأكراد فى تركيا وإيران .

(*) اسمه المستعار : اسماعيل الخليل .

على الصعيد الدبلوماسى، أكد القادة الأكراد فى العواصم الأوروبية. خاصة، باريس على تصميمهم على عدم تقسيم العراق، بأى حال من الأحوال، وعدم نيتهم فى إقامة دولة كردية مستقلة فى العراق، على الصعيد العراقى، أقام الأكراد مفاوضات مع المعارضة العراقية لإيجاد خيار آخر لنظام صدام .

فى دمشق فى ١٩٩٠/١٢/٢٧ تم اتفاق بين ١٧ مجموعة وحزب عراقى على ضرورة الإطاحة بصدام حسين، وإقامة دولة ديمقراطية - واحترام حقوق الإنسان وقد أجمع الحاضرون على ضرورة اعطاء الحكم الذاتى لأكراد العراق .

الحلفاء لم يعيروا كل ذلك أى اهتمام كان كل هم الولايات المتحدة وجورج بوش هو تحرير الكويت. هناك سبب آخر وهو جهل الأمريكان وخوفهم من كل ماهو «شيعى» والخلط الرهيب بين شيعة لبنان وشيعة إيران. وقد كان كل ذلك نتيجة لمشكلة الرهائن الأمريكان فى طهران، مما جعل الحلفاء ضد أى عمل فى الجنوب أو فى الشمال ضد نظام صدام .

وقد عرض الأكراد تحرير المدن الكردية، لم يوافق الحلفاء خوفاً من «تقسيم العراق» وخوفا من «طموحات الشيعة» أدت هذه السياسة إلى تقوية النظام العراقى وبقائه ، وإلى تحطيم العراقيين عرباً وأكراداً، سنة وشيعة، مسلمين ومسيحيين. إذ يستمر الحصار الاقتصادى الرهيب للآن على هذا الشعب، فى حين أن صدام وأعوانه تتوفر لهم كل أسباب الرخاء. وبالتالى فلا زالت وسائل الإعلام فى بغداد تتحدث عن الكويت، كالمحافظة التاسعة عشرة .

الانتفاضـــــة

بعد هزيمة العراق فى حرب الخليج، وصل الهاربون الشيعة العراقيون إلى الجنوب، أحدث وصولهم، وما وصفوه عن هذ الحرب الفريدة من نوعها فى بشاعتها وفى تغطيتها الصحفية التى احتكرتها وسائل الإعلام الأمريكية، انتفض الشعب فى الجنوب واستمرت الانتفاضة لمدة أسبوعين. وبدت بغداد وكأنها غير قادرة على عمل شىء .

القادة الأكراد كانوا ينظرون بتحفظ الى ما يحدث فى الجنوب. وكانت الجبهة غير مهيأة. وبسرعة بدأت التنظيمات والأحزاب فى الاستعداد لأى طارىء، ولكن فى ٤ مارس ١٩٩١ قامت انتفاضة عفوية فى مدينة رانية القريبة من الحدود الإيرانية. ولكن سرعان ما انتشرت الانتفاضات فى كل أنحاء كردستان كسريان النار فى الهشيم، خاصة وأنها كانت تعرف بوجود المقاتلين فى الجبال القريبة. وفعلاً وبسرعة التحق القادة والمقاتلون بالشعب ونظمت الانتفاضة، حتى الجحوش اشتركوا فى الحركة .

الجيش فى معسكرات رانية استسلم بسهولة ماعدا بعض الجيوب التابعة للاستخبارات العسكرية والأمن العام. عشرات المدن تقع تحت سيطرة الأكراد، آلاف من الجنود العراقيين يقعون أسرى، منهم من اشترك فى القتال بجانب الأكراد. السليمانية، أربيل، دهوك بعد المدن الصغيرة تتحرر. كثير من الأسرى خيروا فى الرجوع وعوملوا معاملة حسنة. يعترف الأكراد أنهم قتلوا كثيراً من العراقيين الذين وقعوا أسرى ولكنهم يؤكدون أن هؤلاء كانوا رجال مخابرات والذين طبقوا «الانفال» والقتل الجماعى إلى آخره ويؤكدون وجود وثائق بذلك.

بعد وقف إطلاق النار مع الحلفاء، وعدم تعرضهم لنظام صدام، القابع فى قلعته البغدادية، شعر النظام العراقى بأنه طليق اليدين داخليا، فبدأ مباشرة فى

سحق الانتفاضة فى الجنوب بوحشية منقطعة النظير، ثم إتجهت جيوشه وطائراته الى الشمال، حيث كان ٨٥٪ من كردستان قد تحرر من السلطة العراقية، وخاصة مدينة كركوك .

فى ١٩٩١/٣/٢٨ بدأت الطائرات تقذف المنطقة واندلعت المعارك فى كل مدينة وقرية وشارع بين قوات الجيش العراقى المهزوم فى الكويت أو ماتبقى منه والقوات الكردية التى لم تكن تملك إلا أسلحة خفيفة مثل الكلاشنكوف .

بعد أن استعاد صدام كركوك توجه الى أربيل والسليمانية مما خلق ذعراً رهيباً، بين السكان. وخرج الأهالى الذين لم ينسوا ماأصابهم على يد جنود صدام نزل الأهالى بطريقة دراماتيكية مأساوية، وهذا يحدث لأول مرة فى التاريخ أن يترك ٩٥٪ من السكان أى حوالى ١,٥ مليون منازلهم تاركين كل مايملكون من ثروات وذكريات ليتوجهوا إلى المجهول، عبر جبال شاهقة مثلجة .

كان الشىء الإيجابى الوحيد فى وجود عشرات من مراسلى الصحف لتغطية حرب الخليج، ثم الانتفاضة، ثم الحرب ضد الأكراد وهروبهم المأساوى .

لقد انتشر الخبر والصورة على شاشات التليفزيون التى ملأت العالم. ولأول مرة يهتز ضمير العالم للمأساة الكردية .

ممرات انسانية :

فى ٣ إبريل ١٩٩١، مئات الألوف من اللاجئين على الحدود التركية، فى شتاء قارس بلغت درجة الحرارة ١٥° تحت الصفر وثلوج بلغ ارتفاعها فى بعض المناطق ٦٠ سم، الأتراك منعوهم من الدخول الى تركيا - بلغ مجموع الأكراد اللاجئين ٢,٥ مليون .

فى ٤/٥ أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٦٨٨ - يطلب من العراق وقف الحرب ضد الأكراد وكردستان .

٤/٨ - جون ميجور طلب إنشاء منطقة آمنة ممرات إنسانية باقتراح من أوزال لكى يرفع الضغط عن تركيا - كانت خائفة من وصول ملايين الأكراد ، أن يلتحموا مع أكراد تركيا (١٥ مليونا) أياً كانت حقيقة نوايا الرئيس الراحل تورجت أوزال فإن الأكراد لاينسون له هذا الموقف.

١٧/ ابريل الحلفاء دخلوا شمال العراق (كردستان لإنشاء مخيمات) .

٤/١٩ قبلت العراق – مراكز إنسانية فى العراق، اعتقد العراقيون أن الحلفاء سيمكثون فى كردستان مدة قصيرة .

٤/٢٧ أول أفواج اللاجئين عاد إلى كردستان. فى يونيو رجع كل من كان فى تركيا وانتظر الباقى نتائج المفاوضات مع بغداد .

المفاوضات :

فى شهر مارس ١٩٩١، عندما كان الأكراد يحتلون كركوك، وقبل نزوح ملايين الأكراد إلى الجبال، جرى أول اتصال بين الحكومة العراقية والقادة الأكراد، كما أكد لى كثير من القادة والمسئولين من الأكراد .

لم تسفر هذه الاتصالات عن نتيجة لعدة أسباب: إن القيادة الكردية كانت، بسبب وضع المرحلة، حرب وانتفاضة وهروب، لم تكن مجمعة فى مكان واحد يمكنها بسهولة دراسة الاقتراح العراقى والإجابة عليه بسرعة .

من جهة أخرى كانت القيادة الكردية تعتقد أن النظام العراقى يحتضر وماهى إلا مسألة أيام وينهار. كل ذلك أدى إلى فشل المحاولات لإلقاء المفاوضات السرية.

بعد ذلك تطورت الأحداث بسرعة على الساحة الإقليمية والدولية: وهروب الأكراد، مجلس الأمن يصدر القرار ٦٨٨ الخاص بالحماية، صمود المقاتلين الأكراد على مشارف السليمانية ومشارف أربيل، كل ذلك دفع النظام العراقى من جهة لطلب المفاوضات، ومن جهة أخرى وأمام مأساة استمرت خلال أربعة أشهر التى دارت خلالها جولتان من المفاوضات والاتصالات، اضطرت بغداد الى سحب قواتها العسكرية من المدن الرئيسية : السليمانية – اربيل – دهوك والتى أصبحت تحت السيطرة الكردية، لتتمركز وراء خط ٣٦° فهذه القوات لم تستطع أن تواجه المقاتلين الأكراد والشعب، بدون غطاء، بسبب الحماية الدولية، وفعلا قامت معارك بين الجيش العراقى والمقاتلين الأكراد فى مناطق السليمانية وأربيل .

بالنسبة للمفاوضات، فقد كانت أول مرة منذ ١٩٧٥ أن يتفاوض الأكراد فى داخل جبهة موحدة، تمثل جميع اتجاهات الشعب الكردى .

ففى ١٩٧٧ ، فاوض الاتحاد الوطنى مع بغداد بمفرده، ثم فى ١٩٧٩ ذهب الحزب الاشتراكى بمفرده ليقابل صدام بعد تنصيبه رئيساً للجمهورية وليتفاوض بمفرده، رغم معارضة الاتجاهات الأخرى .

بعد ذلك فى ١٩٨١ حاول «البارتى» أن يفاوض بمفرده مع بغداد بعد ذلك كما رأينا فى ١٩٨٤ أقام «الاتحاد الوطنى» مفاوضات مع بغداد دامت شهراً وقد فشلت جميع هذه المفاوضات. النازحون العائدون بدون مأوى، كل ذلك شجع القادة الأكراد لدخول مفاوضات مع النظام، آملين بل شبه متأكدين من أن صدام حسين قد استفاد من دروس التجربة التى مر بها، خاصة، وأن ماأرسله من خطابات للقادة الأكراد، كان يدل على ذلك، إذا أكد لهم، حسب رأى أحد هؤلاء القادة، أن كل شىء قابل للمناقشة إلا الانفصال .

فى نصف شهر ابريل ١٩٩١. ذهب وفد الى بغداد برئاسة جلال الطلبانى، عن الاتحاد الوطنى، ونيشروان إدريس البرزانى عن «البارتى» وكذلك سامى عبد الرحمن ورسوله مامند.

قابلهم صدام حسين بحرارة شديدة، وعانقهم «بالاكراه » وأكد لهم استعداده الكلى للوصول إلى اتفاق .

اجتمعت الجبهة بعد ذلك وتقرر ارسال وفد كردى، برئاسة مسعود البرزانى، مع مشروع كامل حول الحكم الذاتى وفق التصور الكردى، ومستندا إلى حد كبير على اتفاق اذار ١٩٧٠، مع إضافة المسائل المستجدة (الغاء القوانين الاستثنائية حول التعريب - رجوع المهجرين - رجوع المفقودين، وخاصة الـ ٨٠٠٠ مفقود من عشيرة البرزانى - تحديد حدود كردستان بما فيها مدينة كركوك وخانقين) .

ظل الوفد فى بغداد أربعين يوماً. فى الوقت نفسه كانت القضية الكردية تمر من جانبها، وعلى المسرح الدولى بتطورات سريعة. فقوات التحالف كانت تتخذ مواقعها فى القواعد العسكرية خاصة فى تركيا (انشرليك) وتوفر حماية على المنطقة المنحصرة ضمن الخط ٣٦ والتى تشمل دهوك - الموصل - أربيل - إلى أطراف السليمانية. ومنعت القوات العراقية من الدخول فى هذه المنطقة .

كذلك بدأ آلاف النازحين إلى تركيا وإيران فى الرجوع إلى منازلهم، وبدأت الحياة تدب من جديد ببطء شديد وصعوبة جمة .

فى الوقت نفسه اكتشف المفاوضون الأكراد، أنه لا يوجد أى تغير فى العقلية العراقية بخصوص الحقوق القومية. وفوجئوا بأن النظام مستمر فى التأكيد على انتصاراته الهائلة ضد ٣٠ دولة، ودليل الانتصار الباهر هو بقاء النظام فى الحكم. ويقول عدنان مفتى. عضو المكتب السياسى لحزب «اللجنة التحضيرية»: ماسمعته ذكرنى بموقف البعث فى سوريا بعد هزيمة ١٩٦٧، عندما احتلت إسرائيل الجولان والقنيطرة وكانت على مشارف دمشق، ولكن الإعلام البعثى كان يؤكد فشل الإمبريالية ضد النظام الثورى فى سوريا الذى استمر فى الحكم» .

رجع الوفد بقيادة مسعود البرزانى إلى كردستان. واهم عثرة قابلت المفاوضات هى الممارسة الديمقراطية فى المستقبل، والتى رفضها تماماً ممثلو صدام الذين أصروا على عودة المخابرات والأجهزة الأمنية إلى مقراتها فى كردستان .

حصلت لقاءات بعد ذلك فى أربيل بحضور عزت ابراهيم – وطارق عزيز وحسين كامل والجبهة الكردستانية للتمهيد لجولة أخرى من المفاوضات .

الجولة الثانية من المفاوضات بدأت فى بغداد فى أوائل يوليو ١٩٩١ .

وكان الوفد الكردى برئاسة مسعود البرزانى، ويضم د. محمود عثمان – سامى عبد الرحمن – د. فؤاد معصوم (الذى أصبح أول رئيس للوزارة لإقليم كردستان). وجوهر نامق (رئيس البرلمان الكردى الحالى) – وعدنان مفتى .

من جانب الحكومة: عزت إبراهيم – طارق عزيز – على حسن المجيد (وزير الدفاع الحالى ومنفذ عمليات الأنفال) – وحسين كامل (كان وزير الدفاع – وصهر صدام حسين)، وصابر الدورى، مدير المخابرات العامة .

دامت هذه الجولة ٤٢ يوماً، دون إحراز أى تقدم كالجولة السابقة .

انقسمت الجبهة الكردستانية على نفسها «البارتى» بقيادة مسعود البرزانى، يؤيد استمرار المفاوضات لعدم وضوح الرؤية على الصعيد العالمى، ولشدة المأساة اللاقتصادية الإنسانية التى يعيشها الشعب الكردى .

و «الاحتلال الوطنى» برئاسة جلال الطلبانى ومعه الأحزاب الأخرى تطالب بقطع المفاوضات، التى لايستفيد منها إلا صدام حسين، وتمنع تجمع جبهة المعارضة العراقية .

اشتدت الخلافات، ولكن صدام حسين حسم الوضع بجرة قلم. فقد قرر فصل إقليم كردستان إدارياً عن باقى العراق، وسحب جميع الإدارات من مدن أربيل - السليمانية - دهوك، وتوقف عن دفع رواتب الموظفين الأكراد (حوالى ١٥٠,٠٠٠) وإعلان حصار اقتصادى على كل المناطق الكردية، التى كانت تعيش أيضاً الحصار الاقتصادى ضد العراق ككل .

العجيب أن الأنظمة العربية والإعلام العربى، الذى لا يكف عن اتهام الأكراد بنية «الانفصال» لا يطالبون النظام العراقى بإعادة ربط الإقليم الكردى إدارياً واقتصاديا بباقى العراق. وسنرى أنه لم يتوقف هنا. بل ألغى العملة العراقية من فئة ٢٥ ديناراً، ومنع الأكراد من استبدالها، كباقى العراقيين. كل هذا فى الواقع، هو عملية انفصال طبقتها السلطة المركزية فى بغداد .

الوضع فى إقليم كردستان :

أدت الأحداث التى تلاحقت منذ اجتياح الكويت فى ١٩٩٠/٨/٢، إلى إصدار قرار مجلس الأمن ٦٨٨، والذى ذكرناه إلى ايجاد مايطلق عليه، إقليم كردستان العراق، والذى يضم ٦٥٪ من مساحة كردستان الجنوبية (العراق) إذ امتدت الحماية الدولية إلى خط ٣٦° وكردستان، حسب المصادر الكردية تمتد الى الدرجة ٣٤° .

هذا الكيان لم يعترف به دولياً بطريقة رسمية، لكن يتعامل معه قادة ومسئولون كثيرون من الدول، وبالذات أمريكا وأوروبا ككيان شبه مستقل. حتى الدول المجاورة والتى تتقاسم بقية كردستان، والمعادية لهذا الكيان، تتعامل معه على المستوى الرسمى. فتركيا مثلا فتحت مكاتب للحزبين الكرديين الرئيسيين «البارتى» و «الاتحاد الوطنى» وهذا فى حد ذاته قفزة هائلة. بالنسبة للسياسة الرسمية التركية، التى لاتعترف بوجود أكراد، لا داخل تركيا ولا خارجها وزار

وفد رسمى تركى كردستانى فى مايو ١٩٩٣. كذلك زار وفد رسمى إيرانى، كردستانى فى يوليو ١٩٩٣. أما فى سوريا فاستقبل الرئيس الأسد أخيرا القادة الأكراد.

تمتد فترة حماية القوات الدولية امتداداً شبة أتوماتيكى، رغم ضرورة موافقة البرلمان التركى فى كل مرة، كل ستة أشهر منذ ذلك الوقت إلى الآن.

لقد تكون هذا الكيان تدريجياً منفصلاً عن العراق لملء الفراغ الإدارى والاقتصادى والتشريعى والصحى والتعليمى الذى وجد بعد أن سحبت حكومة بغداد إدارتها، وأوقفت رواتب الموظفين وألغت فئات من الدينار نفسه.

فقد أقيمت فى مايو ١٩٩٢، انتخابات تشريعية تحت مراقبة دولية، تقاسم فيها «البارتى» و«الاتحاد» المقاعد. بعد تكوين البرلمان. الذى يرأسه جوهر نامق، وهو من البارتى وتكونت الحكومة برئاسة د. فؤاد معصوم، وهو من حزب «الاتحاد الوطنى».

وقد تقاسم الحزبان الرئيسيان كل المناصب المهمة والتمثيل فى الخارج. وأمام الانتقاد الشديد لأكراد الداخل والخارج، بدأ الحزبان يفتحان المجال قليلاً أمام عناصر مستقلة.

وكان دفاع القادة عن هذا الموقف، هو أن الفترة حرجة، والكيان الكردستانى مستهدف داخلياً وخارجياً. الجدير بالذكر هنا أن فى كردستان، حرية رأى شبه تامة. وهناك أكثر من تليفزيون تملكه الأحزاب، وأفراد وصحف ومجلات. وهناك تمثيليات تنتقد المسئولين بجرأة.

وقد خطت الحكومة الكردية فى توحيد مقاتلى «البشمركة» وفى تكوين الجيش، وأيضاً قوات أمن (شرطة)، خطوات مهمة، وسحبت من كثير منهم الأسلحة، ومنعوا من التجوال بها فى الشوارع، إلا بأمر من المسئولين.

مازال دخل هذا الإقليم مقتصراً على رسوم الجمارك، وعلى البضائع التى تمر عن طريق الحدود التركية، وهى القسم الأكبر، وعلى الحدود الإيرانية. كذلك هناك بعض الخدمات، كالكهرباء والماء إلخ.. وهذا يساعد على دفع قسم من رواتب الموظفين.

إن هذا الكيان، الذى يعيش محصوراً بين ثلاث دول معادية خوفاً على «أكرادهم» وفى إطار حصار دولى، غاية فى القسوة على كل فئات الشعب العراقى، وحصار «صدام» على كردستان بدأ يستقر إدارياً وسياسياً . وتشريعياً، إلا أنه اقتصادياً فى وضع سىء جداً. فبالإضافة إلى ماسبق ذكره، فإن هناك مواقف من الأمم المتحدة لايمكن فهمها: فمثلاً تدفع القليل الذى يتبقى، من مساعداتها للشعب الكردى بالدينار، بعد أن تحوله من الدولار، بالسعر الرسمى!! أى الدينار = دولارين ونصف. فى حين أن الدولار فى السوق السوداء فى بغداد أو فى كردستان، يبذل بحوالى ٨٠ ديناراً. وهذا مايطلق عليه الأكراد بالحصار «الثالث» هناك مفارقة أخرى: استطاع الزراع الأكراد، رغم التهديد والألغام، زرع كميات وفيرة من القمح ولكن، الحكومة ليس لديها ماتشترى به من الزراع والمساعدات الدولية هى الأخرى تتجاهل هذا الشىء وصدام يبعث من يسطو على المحاصيل .

الشعب العراقى بأجمعه، والشعب الكردى ينتظر تطور الأحداث، وهما متأكدان أن لا أمريكا ولا أوروبا ولا العالم العربى لديه مشروع واضح تجاه العراق ونظامه .

المصـــــادر :

- د. كمال مظهر احمد : « دور الشعب الكردى فى ثورة العشرين العراقية» بغداد ١٩٧٨
- د. كمال مظهر أحمد « : «الحركة التحررية فى كردستان العراق من ١٩١٨ – ١٩٥٨» موسكو .
- جلال الطلبانى : «كردستان والحركة القومية الكردية» بيروت ١٩٧١ .
- عبد الرزاق الحسنى «الثورة العراقية الكبرى» صيدا – ١٩٧٢ .
- رياض رشيد الحيدرى : «الأثوريون فى العراق» القاهرة ١٩٧٣ .
- عبد الرحمن قاسملو : «كردستان والأكراد سياسة واقتصاد» – بيروت.
- نجدة فتحى صفوت : «العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» .
- محمود الدرة : «القضية الكردية» .
- أحمد فوزى : «قاسم والأكراد» .
- أمين سامى الغمراوى : «قصة الأكراد فى شمال العراق» – القاهرة .
- محمد حسنين هيكل : «الحل والحرب» – بيروت ١٩٨٤ .
- رينيه موريس : «كردستان أو الموت» – ترجمه الى العربية : جرجيس فتح الله – كردولوجيا – لندن – ١٩٨٦
- رفيق حلمى :
(مذكرات) – بغداد ١٩٧٥ .
- هنرى فوستر : «تكوين العراق الحدّيث» – بغداد ١٩٤٥ .
- أشيريان، ش.ج : «الحركة الوطنية الديمقراطية فى كردستان العراق من ١٩٦١ – ١٩٦٨» بيروت ١٩٧٨ .
- يوسف ملك : «فواجع الانتداب» – بيروت .
- محمود الدرة : «القضية الكردية والقومية العربية فى معركة العراق» – القاهرة .
- أدمون غريب : «الحركة القومية الكردية» – بيروت ١٩٧٣ .
- د. فاضل البراك : «مصطفى البرزانى : الأسطورة والخيال » – بغداد ١٩٨٩.
- «الثورة الكردية من ١١ أيلول ١٩٦١ الى ٦ أزار ١٩٧٥» – على سنجارى – منشورات الاتحاد الديمقراطى الكردستانى – بغداد ١٩٧٧ .
- عباس البدرى : «يوميات الانتفاضة» – اربيل ١٩٩٢ .
- محمد عزيز الهماوندى – «الحكم الذاتى لكردستان العراق» – القاهرة ١٩٨٦ .
- بيانات مختلف الأحزاب الكردية .
- برقيات وكالات الأنباء .
- الصحافة الفرنسية والإنجليزية والعربية خاصة العراقية .

Mcdowall, david : "The kurds - Anation Denied" London 1992..

- Arafa, Hassan, : "The kurds, An Hitorical and political study" London 1966...
- Jawad, Said : "Iraq and The Kurdish Question 1958. - 1970 " London 1981..
- Middle east watch: Human Right in Iraq - 1990..
- Makiya, Kenan (Samir al khalil) : "Cruelty and silence" - London 1993..
- Kutschera, Chris : " Le mouvement National Kurde - Paris 1979..

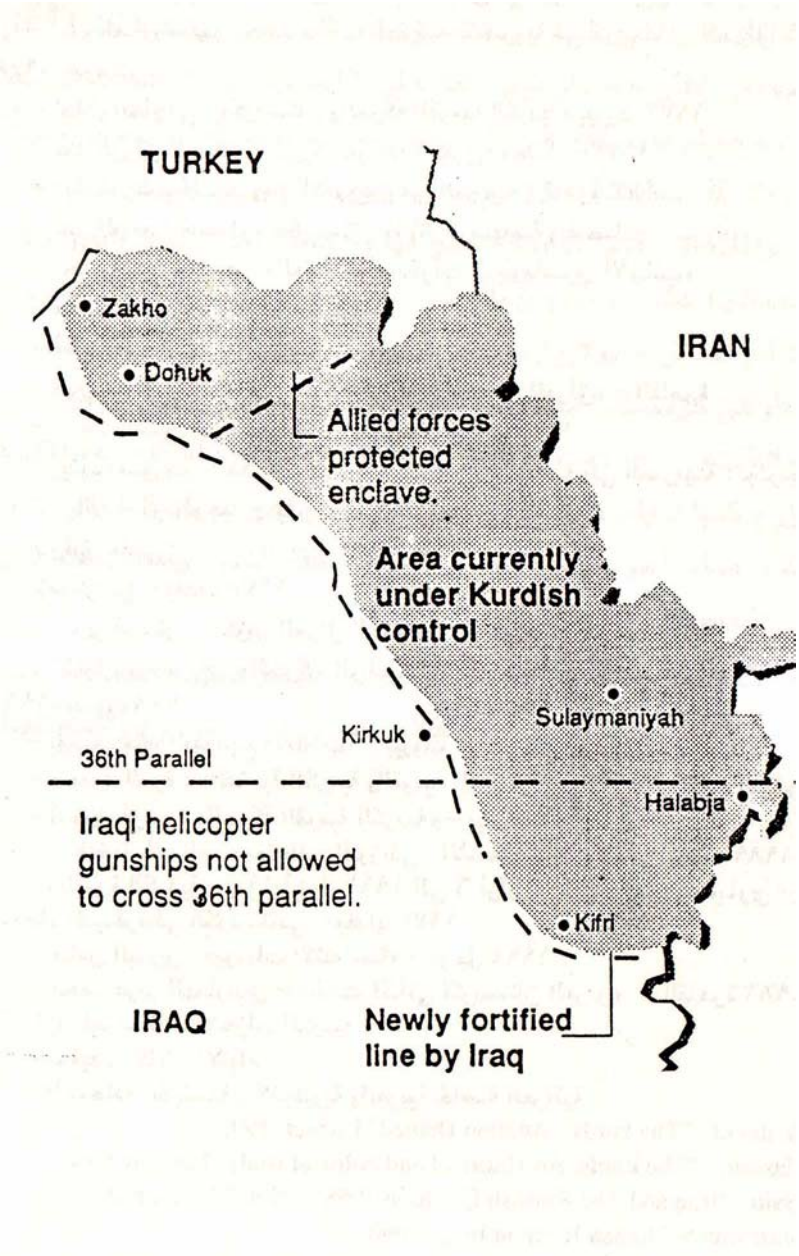
TURKEY
Zakho
Dohuk
IRAN
Allied forces protected enclave.
Area currently under Kurdish control
Sulaymaniyah
Kirkuk
36th Parallel
Halabja
Iraqi helicopter gunships not allowed to cross 36th parallel.
Kifri
IRAQ
Newly fortified line by Iraq

الباب السادس

وضع الأكراد فى تركيا

أ - نبذة تاريخية عن ولادة الحركة القومية الكردية:

المسألة الكردية تشهد منذ حرب الخليج تطوراً سريعاً، وجذرياً وخاصة منذ بداية ١٩٩٣ سيكون له نتائج مهمة على وضع تركيا فى هذه المنطقة. لكى نفهم ما يحدث اليوم فلابد من رجوع، ولو سريع إلى الماضى لوضع هذه الأحداث فى إطارها التاريخى.

لقد رأينا فى فصل «انهيار الامبراطورية العثمانية» والأسباب التى أدت إلى الانهيار. ورأينا كيف أن القوميات غير التركية التى كانت تخضع للباب العالى العثمانى، مثل العرب والكرد والأرمن، كانت قد بدأت هى الأخرى بالمطالبة بحقوقها القومية، مثل دول البلقان.

رأينا كيف أن ديكتاتورية السلطان، والتفكك والفساد والقهر أدوّا إلى بروز حركات قومية تركية، بالاشتراك وبمساندة القوميات الأخرى، أخذت تعمل فى الخفاء بهدف إسقاط الخلافة واسترجاع السيادة الوطنية بعد أن أصبحت الامبراطورية، أو ما تبقى منها تحت السيطرة الأجنبية، وفعلا أعلنت الجمهورية فى ١٩٢٣ وألغيت الخلافة فى عام ١٩٢٤.

ب - ولادة الشعور القومى الكردى.

١ - «الأطروحة التركية في التاريخ، أو الايديولوجية الكمالية.

من أهم الأسباب التى حالت دون تعايش سلمى بين الشعبين التركى والكردى. فى تركيا هى بدون أدنى شك الأيديولوجية الكمالية التى ترجمت إلى السياسة التى تنفذها الدولة إلى اليوم.

هنا نرى أنه لزم علينا، أن نذكر الركائز الأساسية لهذه الأيديولوجية.

إن تركيا الحديثة منذ نشأتها عام ١٩٢٣، وإلى الآن تجابه مشكلة شائكة، وهى المشكلة الكردية. والحكومات المتعاقبة، تعاملت وتتعامل مع هذه المشكلة بأسلوب سيريالى، أقل ما يمكن القول عنه، هو إنه لا ينطبق مع الصورة التى نجحت تركيا فى إعطائها للخارج، صورة الدولة العصرية، المتجانسة المتماسكة

والتى اقتربت إلى النموذج الأوروبى، تاركة وراءها نموذج الدولة الآسيوية، الشرقية الإسلامية .

وقد فوجىء قسم كبير من الرأى العام العربى، خاصة، بالموقف الحالى المتفجر فى تركيا، والذى يهدد بحرب أهلية. فقد اكتشف فجأة أن الصورة التى لديه لا تتطابق مع الواقع السياسى الداخلى وأن وسائل الإعلام العربية لاتتناول، إلا نادراً، موضوع تركيا تحليلياً، وموضوعياً، ولا ماذا يدور فى الأعماق التركية، وتكتفى بأخبار متناثرة، من الصعب على القارىء العربى أن يكون من خلالها فكرة مكتملة وصحيحة .

فيما يخص الموضوع الذى نحن بصدده، وجدنا أنه من المفيد التذكير ولو باختصار، بالنظريتين الأساسيتين التى تستند عليهما الأيديولوجية الكمالية، فمن الصعب فهم تعامل السلطات التركية مع كثير من المشاكل الداخلية ومع المشكلة الكردية بالذات، وحتى مع السياسة الخارجية أى الاتجاه الأوروبى والآسيوى إلخ.. إلا بعد فهم هذه الأيديولوجية. لقد جعل انهيار الإمبراطورية العثمانية، واقتسامها بين الحلفاء، الشباب التركى يشعر بإهانة عميقة، بالإضافة إلى أن العنصر التركى فى الإمبراطورية العثمانية، كان يعد عنصراً من الدرجة الثانية، ليس له «أبهة» وعظمة «العثمانلى » حتى أن كثيراً من الأتراك كان يخفى أصله التركى .

أراد منظرو الكمالية، أن يحولوا هذا الشعور بالإهانة إلى شعور بالفخر. فجاءت الأيديولوجية شوفينية، فتحول هذا الشعور الى غطرسة، وتعالٍ، وكثير من العدوانية، خاصة بالنسبة للقوميات غير التركية .

تتخلص النظريات فيما يلى :

الأولى – ويطلق عليها اسم «الاطروحة التركية فى التاريخ» وملخصها أن العنصر التركى يشكل المصدر الأصلى فى كل حضارات العالم .

الثانية – ويطلق عليها : «نظرية الشمس» أى أن اللغة التركية هى أم لغات العالم .

نجح كتاب الكمالية، ووسائل الإعلام منذ بداية الحقبة الكمالية إلى تحويل هذه «النظرة الفلسفية» التى كانت قد وجدت بذورها قبل الكمالية، عند أعضاء «تركيا الفتاة» و «الاتحاد والترقى» الذين عرفوا بالاتحاديين، إلى نظرية تطبق كما هى. ودرجت وسائل الإعلام على تقديم أدلة قاطعة ونهائية إثباتا أن الحضارة الإنسانية كلها (الصين - مصر - اليونان - الهند - بلاد الرافدين - إيران) من أصل تركى !!!

كان من الصعب فرض هذه النظريات على الأوساط الفكرية التركية. ولكن السلطة نجحت بالقمع فى منع محاولة نقدها وتفنيدها، وسجن كل من انتقدها، ولم يقدم اعتذار رسمى علنى. وأشهر سجين رأى فى تركيا هو الكاتب «إسماعيل بيشكش» الذى فند هذه النظريات وأثبت «هشاشتها» وتأثيرها على سير السياسة التركية وخاصة، على المشكلة الكردية. وقد سجن من عام ١٩٧٧ - تاريخ صدور كتابه هذا إلى عام ١٩٨٩ - والذى اقتبسنا منه هذا التحليل. تطرح الكمالية طريقين، لكل من هو غير تركى: إما الاندماج والتركية أو إلغاء كل انتماء آخر ودفن الذاكرة، وفصل الشعوب عن تاريخها، لأن التاريخ هو تركيا حسب أتاتورك. أو إلغاء كل ماهو غير تركى وحصر تركيا على الأتراك الأصليين «ذوى الدم النقى» فقط الهدف الأساسى من الكمالية كان بعث أمة تركية، كانت همشت تحت الإمبراطورية العثمانية. هذه المهمة أعطت للدولة أو بالأحرى للمؤسسة العسكرية عملية «الخلق» أو «البعث» هذه كانت ضرورية لكى يتمكن «الأتراك الجدد من توصيل العالم إلى الحضارة» حسب التصور الكمالى .

من الواضح، وكما أثبتت ذلك عدة دراسات، أن تأثير الفكر الجرمانى، وتأثير بعض الفلاسفة الغربيين، والفكر الموسيلينى والستالينى كبير على الفكر الكمالى. ومن ناحية أخرى، كما ظهر من عدة دراسات أن للفكر الكمالى ومحتوياته تأثيراً كبيراً على تكوين فكر «البعث» العربى ومفكريه، ساطع الحصرى وميشيل عفلق .

ولهشاشة النظرية أصبح من الضرورى إقامة دولة قوية تجمع بين الحزب والدولة، وتلزم القادة الخضوع التام للخط السياسى المرسوم .

من هنا سنرى أن الرد العسكرى العنيف هو ماتقدمه للآن الدولة كحل للقضية الكردية .

واضح جداً أن الحل العنيف لم ولن ينجح للأسباب التالية

فمنذ أدخل تعدد الأحزاب، فى نهاية الأربعينيات، أصبح من غير الممكن إدارة المسألة الكردية من طرف «الجيش - الدولة» فقط، لسبب عملى جداً هو حاجة الأحزاب إلى أصوات خارج «النخبة» أى الأكراد، الاتجاه الإسلامى، الأقليات غير التركية إلخ .

فرغم انقلابات عسكرية قام بها الجيش فى عام ١٩٦٠، ١٩٧١ ، ١٩٨٠، لم تنجح المؤسسة العسكرية - الدولة فى العودة إلى السياسة الكمالية بخطها الأرثوذكسى وأصبح واضحاً أن تركيا لم تعد موجودة . كالدولة - الأمة، أو على الأقل حسب الأرثوذوكسية الكمالية .

من جهة أخرى، فما زال الإرث الفكرى، والسياسى الكمالى، يعرقل صياغة تصور وابتكار حديث وعصرى، وحتى ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، ليحل سلمياً تناقضات الدولة الكمالية .

أما بالنسبة للقضية الكردية، ليس هناك إلا اختياران، حسب الخط الكمالى، والاثنان يؤديان إلى طريق مسدود .

الخيار الأول : «التركنة» أو « التتريك» لم تنجح تركيا على مدى ٧٠ سنة فى «تركنة» الأكراد، رغم أنها تقوم، بإجراءات تعسفية ظالمة، ضاربة عرض الحائط بكل مبادىء حقوق الإنسان. فما إن أعلنت الجمهورية عام ١٩٢٣، حتى أصدرت قانوناً يمنع استخدام اللغة الكردية، والتى كانت تستعمل بحرية إلى ذلك التاريخ، فى التخاطب والنشر ووسائل الإعلام، ولم يلغ هذا القانون إلا فى ١٩٩١ أى بعد حرب الخليج كما أنها «تّركت» كل أسماء العشائر والعائلات الكردية، وكذلك أسماء ٢٣ ألف قرية كردية، تلك الأسماء التاريخية التى احتفظت بها منذ آلاف السنين، هذا بالإضافة الى التهجير (كما ذكرنا فى مكان آخر نصف أكراد تركيا، يعيشون اليوم على أرض غير كردية).. إلخ.. من وسائل مسح الهوية .

الخيـــار الثانى : هو القضاء على الشعب الكردى وهذا أيضاً لم ينجح .

كان لكردستان وضع خاص فى الإمبراطورية العثمانية، وترجع هذه العلاقة الخاصة إلى القرن السادس عشر عندما وقفوا مع العثمانيين السنة، ضد الفرس الشيعة فانتصرت الامبراطورية العثمانية فى معركة تشالدران (١٥١٤) بعد هذا الانتصار الذى قسم لأول مرة فى التاريخ كردستان إلى قسمين، الثلث فى إيران، وبقيت كما هى للآن. والثلثان الآخران فى الامبراطورية العثمانية. والتى انتزعت منها ولاية الموصل أى كردستان الجنوبية لتلحق بالعراق، وقسم منها بسوريا .

أدى هذا الانتصار إلى ابرام معاهدات بين السلطان العثمانى والأمراء الأكراد، نتج عنها استقلال ١٧ إمارة، وخمسين إقطاعية سنجق وظلت هذه الإمارات طيلة القرون ١٦، ١٧، ١٨، وقسم من القرن ١٩ مستقلة لها كل الحقوق إلا حق تغيير الحدود أو إلغائها بين إمارتين أو أكثر .

لقد كان الغرض واضحاً، وهو منع الأكراد من تكوين دولتهم، بضم هذه الإمارات وكانت كل إمارة لها جيشها، وعملتها التى تسك عليها صورة أميرها، كما كانت هذه الإمارات لا تقدم الولاء للسلطان ولا تدفع الضرائب وكانت خطبة الجمعة تقرأ باسم الأمير لا باسم الخليفة. لكل هذه الامتيازات يقابلها واجب واحد، وهو حماية حدود الامبراطورية مترامية الأطراف ضد الأعداء .

ولقد ازدهرت الثقافة وبرزت شخصيات أدبية ودينية ووطنية كردية مرموقة داخل كل إمارة وأصبحت كثير من المدن الكردية مثل بتيليس، حكارى، الجزيرة، مراكز إشعاع ثقافى. وكان بلاط أمراء الأكراد يضاهى فى الأبهة والعز البلاط العثمانى، ولكن كانت هذه الإمارات مقفلة عل نفسها .

وربما يتساء ل البعض ، لماذا لم يفكر أو يغتنم هؤلاء القادة الأكراد فرصة توحيد كردستان، ونرى أن من ضمن الأسباب التى أدت إلى ذلك حسب، من عكفوا على دراسة الموضوع، هو أن الباب العالى كان دائماً يشجع روح التنافس بين الإمارات، وبث الغيرة ويعمق الخلافات بسبب ماكان يغدقه من أموال على بعضهم، وحول معظمهم إلى إقطاعيين. وهناك العامل الدينى وهو مهم جداً ، فقد

كان الخليفة ظل الله على الأرض، فكان ولاء الأمراء، ورؤساء العشائر للخليفة أقوى من ولائهم للشعور القومى، وهناك التكوين الاجتماعى، والاقتصادى لهذه الإمارات حيث كان فى داخل كل إمارة يعتمد الفرد اقتصادياً على رئيس القبيلة ومع بدء (التنظيمات)(*) التى تعنى التقسيم الإدارى الحديث فى النصف الأول للقرن التاسع عشر، قرر السلاطين العثمانيون بتأثير وبضغوط من الحكومات الأوروبية والاضطرابات الداخلية فى مصر واليونان إدخال نظام إدارى أكثر مركزية وفعالية فى امبراطوريتهم. ويمكن السيطرة عليه بسهولة بمعنى آخر. تحجيم السلطة شبه المطلقة للشريحة العليا فى الهرم الاجتماعى للجماعات القومية ومن بينها الأكراد .

واللافت للنظر أن - حسب كثير من المؤرخين - أن فكرة الأمة المتجانسة ودمج العناصر غير التركية، بدأت تتبلور منذ ذلك الحين، وقد كانت تناقش بكثافة بين مجموعة تركيا الفتاة فى المنفى والتى أفرزت الكماليين .

الثورات الكردية فى القرن التاسع عشر :

لقد قامت عدة انتفاضات وثورات كردية طيلة القرن التاسع عشر، (حوالى ٥٠٠) حركة وتمرد وانتفاضة. كثير من هذه الحركات محلية، عشائرية لم تهدف لإقامة دولة كردية أو المطالبة بحقوق قومية .

ولكن بداية «التنظيمات» فى ١٨٣٨، وتقليص سلطات الإمارات، ومع تردى الوضع الاقتصادى فى الإمبراطورية وزيادة حاجة الباب العالى إلى المال، والرجال، والبحث عنهم فى هذه الإمارات، تصاعد الغضب ضد السلطة المركزية، خاصة، وأن المنطقة الكردية، كانت حقلاً لعشرات الحروب بين الإمبراطورية العثمانية، وروسيا القيصرية، وضد إيران والتى دمرت اقتصاد المنطقة، وثرواتها الطبيعية والبشرية .

(*) التنظيمات : كلمة كردية، بالتأكيد لها أصول عربية، تعنى الإصلاحات الإدارية الكبيرة التى عرفتها الإمبراطورية من ١٨٣٨ إلى ١٨٧٩ .

وكذلك نجاح محمد على الكبير فى مصر واستقلاليته عن الباب العالى. كل ذلك أيقظ الشـــعور القومى عند الأكراد. وقد ساعدهم فعلاً محمد على الكبير فى إنشاء صناعة أسلحة فى رواندوز (كردستان العراق حالياً)، بعد ذلك عرض أحد أمراء ســوران الأمير كورا، على إبراهيم باشـــا ، توقيع اتفـــاق ضد الباب العالى .

لقد كانت هذه الثورات محلية عشائرية، وقامت بهدف استرجاع امتيازات تلغى، أو لرفض دفع ضرائب إلخ.. ولكن النصف الثانى من القرن التاسع عشر، شاهد ثورات ذات نظرة قومية تتعدى المصلحة العشائرية وتطالب بإقامة دولة كردية. ومن الملاحظ أن هذه الثورات اندلعت من الإمارات شبه المستقلة مثل سوران وبهدينان وحكارى .

فمثلاً ثورة الشيخ عبيد الله الشمزيتى الملقب بالنهرى، فهو قبل أن يطلق ثورته فى ١٨٨٠ عمل على توحيد رؤساء العشائر، وخلق أكبر إجماع كردى ممكن. كما لم يحصر حركته فى الكردستان العثمانى، بل تجاوزها إلى كردستان إيران. ففى رسالة الى الممثل البريطانى فى نشخال (تركيا اليوم) والتى يعتبرها المؤرخ ولسن . ن. هاول : «أول وثيقة قومية فى التاريخ الكردى» .

يقـول الشـيخ عبـيـد الله: «إن الأمـة الكـــردية، أمـة قـائمـة بذاتهـا وزعـمـاء كـردســـتـان سـواء الخـاضـعين للأتراك أو الفـرس ، وســـكان كـردســتـان مسيحيون ومسلمون متحدون ومتفقون على عدم قبول استمرار الأمور على شكلها الحالى. مع الحكومتين التركية والفارسية، إننا نريد أن نحكم أنفسنا بأنفســنا » .

إذن كان بعض من هذه الثورات يهدف إلى إقامة دولة كردية مستقلة، ولكن عدم وجود خبرة سياسية، وعدم وجود استراتيجية لجبهة كردية موحدة، بسبب الانقسامات وأخيراً وليس آخراً، عدم وجود أية مساعدة خارجية أدى إلى فشل هذه الثورات، رغم ملاحم من الشجاعة والقتال الباسل ومن أهم هذه الثورات

نـذكـــــر:

عام ١٠٨٦ – ثورة البابان بقيادة عبد الرحمن باشا بابان. عام ١٨٣٣ – ثورة سوران، بقيادة مير محمد من سلالة صلاح الدين الأيوبى. أراد أن يقلد محمد على الكبير فى مصر فأقام جيشاً من عشرة آلاف فارس (وعشرين ألفا) من المشاة، وأقام مصانع أسلحة فى رواندوز بمساعدة مصر واحتل كردستان إيران، بالإضافة إلى أذربيجان الجنوبية. فأسرعت إيران بطلب مساعدة روسيا فلم يستطع مير محمد مواجهة تركيا وإيران وروسيا فى آن واحد، وأخمدت الثورة. عام ١٨٤٠ – ثورة بدرخان أمير بوتان – كان للعائلة البدرخانية مير محمد ضد الباب العالى. ١٨٨٠ – ثورة الشيخ عبيد الله الشمزيتى الملقب بالنهرى، والذى سبق وأن تحدثنا عنه .

بعد أن كثرت الثورات الكردية بدأ السلطان سياسة جديدة، مرتكزة على إحدى أهم نقط ضعف الأكراد فى ذلك الوقت، الإخلاص أولاً للأخوة فى الإسلام. فقرب إليه أبناء العشائر والأمراء الأكراد (كما كان يفعل مع العرب) فأعطاهم مراكز فى الباب العالى وأرسلهم فى بعثات إلى أوروبا (كثير منهم استمر فى النضال فى أوروبا ضد الباب العالى مثل عائلة بدرخان) وأقام لأبناء الأكراد والعرب المدارس الخاصة .

بعد ذلك أنشأ السلطان عبد الحميد ماسمى بالفرقة «الحميدية» من أبناء الأكراد وكان يستخدمهم فى إخماد الثورات الكردية (لقد أنشأت الحكومات التركية الحالية مأطلقت عليه «حراس المدن» وهم أكراد يقاومون الحركة الكردية). ولكن لأسباب عدة لم تنجح السياسة الحميدية لمدة طويلة .

الثورات الكردية من ١٩٢٥ إلي ١٩٣٩ :

من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٣٩ كانت كردستان مسرحاً لعدة ثورات وانتفاضات دامية، انهكت اقتصاد وإمكانيات الدولة الكمالية الحديثة والتى أخمدتها السلطات التركية بوحشية. منقطعة النظير، حسب رأى كثير من الأتراك، والتى كتب عنها الزعيم الهندى «نهرو» قائلاً: «استغرب كيف أن الأتراك

الذين ناضلوا من أجل حريتهم، يقمعون بهذه الوحشية الأكراد الذين يناضلون من أجل الهدف نفسه أى الحرية. كم هو غريب أن تتحول قومية، أعلنت احترامها لحقوق الإنسان قومية عدوانية بهذا الشكل، وأن نضالها من أجل الحرية يتحول إلى نضال من أجل استعباد الآخرين » .

أهم هذه الثورات فى نظر المؤرخين الأكراد، كانت ثورة الشيخ سعيد التى اندلعت عام ١٩٢٥، والتى ترمز إلى الثورة الشعبية التى شملت عدة مناطق كردية.

ففى عام ١٩٢٣، أى أيام بعد إعلان الجمهورية التركية، كونت شخصيات كردية: «لجنة الاستقلال الكردى » .

من ناحية أخرى، كان الشيخ سعيد، وهو من قرية «بيران» يجوب القرى فى حملة توعية للفلاحين لإقناعهم بضرورة إقامة دولة كردية، وتحريرها من الظلم التركى.

فسارعت الحكومة التركية بعمليات استفزازية لتمنع «لجنة الاستقلال الكردى» والشيخ سعيد من إكمال استعداداتهم فاقتحمت قواتها قرية «بيران» وأوقفت عدداً من أعوان الشيخ سعيد، فقتل أهل القرية الجنود الأتراك ونجحت استفزازات الحكومة. ولم يستطع الشيخ سعيد منع التصادم الى حين الانتهاء من الاستعداد لثورة شاملة فقد ثار الأكراد فى جميع أنحاء كردستان. وفى عام ١٩٢٤ أعلنت قيادة الثورة إنشاء حكومة كردية مؤقتة وفى عام ١٩٢٥ احتل الثوار الأكراد مدينة خريوط المهمة (وتسمى الآن الأزبج بالتركية) وبعد ذلك تقدمت القوات الكردية حتى وصلت مدينة ديار بكر، وبالتالى سيطرت على أكثر من ثلث كردستان .

أمام هذا الزحف السريع، أرسلت تركيا أكثر من ثمانين جنديا وبمساعدة الحكومة الفرنسية التى كانت سوريا تحت حمايتها، استطاع الجنود الأتراك عبور شمال سوريا وإيران .

فى سبتمبر ١٩٢٥ أعدم الشيخ سعيد و ٥٢ من أعوانه فى ديار بكر .

ولم تكن الوحشية المنقطعة النظير التى أخمدت بها هذه الثورة ضد الأكراد فقط، فقد استغلت الحكومة التركية الفرصة ونكلت بالمعارضة التركية الناشئة ، أشد تنكيلا وقد أصدرت الحكومة التركية منذ ذلك الوقت أهم قوانين الطوارىء التى تطبق فى المنطقة الكردية إلى الآن.

ثورة أرارات : فى ١٩٢٥ - ١٩٢٨

ابتدت تركيا فى تطبيق أول بند فى القضاء على الشعب الكردى إلا وهو «التهجير». فمن ١٩٢٥ إلى ١٩٢٨ هجر حوالى مليون كردى خارج المنطقة الكردية، وقد مات منهم الآلاف قبل وصولهم إلى الأماكن المخصصة لهم .

بدأ الأكراد الذين لجأوا بعد ثورة الشيخ سعيد، إلى إيران والعراق يتجمعون فى منطقة جبل أرارات بتوجيه من جمعية «خويبون» الذى أسسها مثقفون أكراد عام ١٩٢٧ فى مدينة بحمدون فى لبنان .

كان وفد يمثل الحركة الأرمينية قد حضر مؤتمر جمعية «خويبون» وأعلن تضامنه مع الأكراد. واقترحوا منطقة أرارات الأرمينية (فى الاتحاد السوفيتى) للتجمع الكردى تحت قيادة إحسان نورى باشا .

وقعت أنقرة مع طهران اتفاقاً، قطع بموجبه الشاه مساعداته عن الأكراد وسمح للجيش التركى بالمرور فى أراضيه لتحويط المقاتلين الأكراد فى منطقة أرارات، قدمت تركيا مقابل ذلك لإيران تنازلات عند تخطيط الحدود بين البلدين .

أخمدت الثورة فى صيف ١٩٣٠. ويقول من كتبوا عن هذه الثورة: «ألقت السلطات التركية بأكثر من ١٠٠ كردى وضعوا فى أكياس مقفلة وألقى بهم فى بحيرة «وان» (تركيا) وماتوا غرقاً. » (ر. رامبو) .

تصاعد القهر والتنكيل. وفى ١٩٣١ صدر قانون رقم ١٨٥٠ بأن أية جريمة تقوم بها السلطة أو من يساندها ضد الأكراد سوف لا يعاقب، وسوف لاتعتبر جريمة. للآن هناك كثير من الجرائم، تقوم بها أجهزة الدولة ولا تعاقب. واستمرت حملة التهجير من عشرات من المناطق الكردية، وخاصة منطقة درسيم .

ثورة درسيم : ١٩٣٦ - ١٩٣٩

كانت درسيم آخر جيب مقاومة للأكراد وكانت دائماً فى حالة تمرد ضد السلطة. حاصرها الجيش التركى بداية من عام ١٩٣٦ وطلب القائد العسكرى من الأهالى، تسليم أسلحتهم وطالبهم بتسليم (مائتى ألف) بندقية .

كانت أنباء التهجير والتنكيل التى لحقت بالأكراد الآخرين، قد وصلت إلي أسماعهم. فقرروا المقاومة. واتبعوا حرب «العصابات» أى الحرب الجبلية باختلاف المرات السابقة .

عبأت الحكومة ضد ذلك ثلاث فرق بالإضافة إلى الطيران، طيلة صيف١٩٣٨ .

لم تتسلم المقاومة أية مساعدة منذ اندلاع الثورة فى ١٩٣٦ وبعد حصار دام ثلاث سنوات. كانت قد استنفدت كل ذخيرتها .

أخمدت الثورة بوحشية خاصة، وأن الجيش كان قد تكبد خسائر كبيرة بشرية ومادية. يصف د. الدرسيمى فى كتابه، أن النساء والأطفال كانوا يحبسون فى الكهوف ويشعل فيهم النار. كذلك كانت الغابات التى كانوا يختبئون بها يشعل فيها النيران لتمنعهم من الهرب .

شوهد كثير من الانتحارات الجماعية خاصة بين النساء والفتيات، وكن يلقين بأنفسهن فى بحيرة مونزور، حسب الدكتور الدرسيمى .

حسب تقرير للحزب الشيوعى التركى، أكثر من مليون ونصف كردى، بين قتيل وجريح ومهجر، كانوا ضحية أتاتورك خلال ١٤ سنة من حكمه .

ومنعت زيارة أى أجنبى إلى المنطقة الكردية منذ ذلك الوقت إلى عام ١٩٦٥ منعاً باتاً .

الحركة الكردية بعد الحرب العالمية الثانية :

بعد هذه الحرب التى لم تشترك فيها تركيا، اضطرت حكومة عصمت إينونو أن تعطى بعض الحريات إلى الشعب التركى عامة، وبعد هزيمة ألمانيا الهتلرية لكى تتقرب من الغرب، نتيجة لذلك، منذ ١٩٤٦ ظهرت عدة أحزاب سياسية، ولأول

مرة فى تاريخ تركيا الحديثة أقيمت عام ١٩٥٠ أول انتخابات تشريعية. كان الشعب قد ضج من الديكتاتورية الكمالية. فنجح عدنان منذريس باسم الحزب الديمقراطى فى الوصول إلى السلطة ومعه انتصرت البرجوازية التركية وأصبحت من القوة بحيث استطاعت أو اعتقدت انها قد تحررت من العسكر، وقد استفاد الأكراد نوعاً ما من هذا المناخ الجديد تحت نظام برلمانى، ودخل النفوذ الأمريكى عن طريق مساعدات خطة مارشال التى تلت الحرب، والتى كان ثمناً لتركيا لإدخالها فى حلف الناتو، وربطها نهائياً بالاستراتيجية الغربية، وبالذات الأمريكية .

مع ذلك انهارت حكومة عدنان منذريس تحت وطأة الديون الطائلة، فلم يكن لدى البرجوازية التركية، التكنولوجيا الكافية لإرساء نظام اقتصادى منتج، وقد اضطرت تركيا والتى كانت تحت السيطرة الأمريكية التامة إلى إرسال جنود (كثير- منهم من الأكراد) إلى حرب كوريا، ومن ثم عضويتها فى الحلف الأطلسى .

وقد أنشأت فى تركيا، وخاصة، فى المنطقة الكردية عام ١٩٥٤ قواعد عسكرية أمريكية، وفى عام١٩٥٥، وبتشجيع من أمريكا وقعت أنقرة وبغداد وطهران على حلف بغداد الذى حل محل معاهدة سعد آباد (التى عقدت عام ١٩٣٧) ولم يكن هذا الحلف موجهاً فقط ضد العرب، ولكنه كان فى الأصل ضد الأكراد .

بعد ثورة العراق ١٤ يوليو ١٩٥٨ انسحب العراق من حلف بغداد، فانضمت تركيا إلى حلف السانتو مع إيران، وباكستان والذى بموجبه تدخل تركيا بجانب إيران لقمع الانتفاضة الكردية فى إيران، أما فى العراق فقد ساعد الجو الديمقراطى والاعتراف فى الدستور المؤقت يوليو ١٩٥٨ بأن العراق وطن العرب للأكراد وولادة الكثير من الصحف والأحزاب الكردية، كل ذلك أعاد الأمل مرة أخرى إلى أكراد تركيا وبدأت الشعلة الصغيرة المختبئة تحت الرماد تطفو على السطح .

فى عام ١٩٦٠ سيطر الجيش التركى على الحكم فى تركيا، أمام فشل عدنان

مندريس اقتصادياً، وتحولت تركيا إلى دولة عسكرية بوليسية. فقد صدرت عشرات القوانين سواء عسكرية أو قوانين طوارىء .

ومن هنا كانت البداية للحركة الوطنية الكردية الحديثة فى تركيا، والتى تختلف تماماً عن الحركات السابقة، إذ انبثقت من القاعدة العمالية، وارتكزت على القاعدة الشعبية .

ومنذ ١٩٦١ اشترك الأكراد مع الأتراك التقدميين فى إنشاء أحزاب مشتركة وقاوموا معاً الحكم العسكرى، من أجل إرساء ديمقراطية تؤدى إلى نظام فيدرالى، فى تركيا يجمع بين الأتراك والأكراد .

فى ١٩٦٠ تكون الحزب الديمقراطى الكردى فى تركيا، على نهج أشقائه فى إيران والعراق وسوريا. وكان هذا هو تأييد ضمنى للثورات التى كان يقودها فى ذلك الوقت الملا مصطفى البرزانى على رأس الحزب الديمقراطى الكردستانى .

فى حين أنه لم تطالب الأحزاب الأخرى إلاّ بحكم ذاتى، كان الحزب الديمقراطى الكردستانى بتركيا ينادى بالانفصال، وقد تعاطف قليل من التقدميين الأتراك مع القضية الكردية «وفتح حزب العمال التركى» أبوابه للاكراد من عمال ومثقفين، وأنشأ له فروعاً فى كردستان. وقد نجح بعض الأكراد، ولكن ليس بهويتهم الكردية فى الوصول إلى مقاعد البرلمان (لا يستطيع الأكراد إلى اليوم أن يكونوا حزباً باسم الأكراد كشعب وكقومية، حتى المعهد الكردى الذى أنشىء فى عام ١٩٩١ فى استامبول لم يفتتح إلا بعد أن غير اسمه باسم بوزمتاميا لأن الحكومة تمانع أن توضع يافطة باسم المعهد الكردى .

فى إبريل ١٩٧٩ حكم على وزير من أصل كردى بالسجن سنتين، مع الأشغال الشاقة لأنه قال: «إن فى تركيا أكراداً وأنا واحد منهم » .

أدى الحكم القهرى المتزايد لحكومة سليمان ديميريل، رغم أنه لم يكن عسكرياً (منع كل الجرائد التركية الكردية والأحزاب وحبس المسئولين) إلى قيام الطلبة والعمال ولأول مرة منذ ثلاثين عاماً بمظاهرات شعبية ضخمة. ففى ٣ أغسطس ١٩٦٧ قامت فى (سلفان - كرستان) مظاهرة تضم أكثر من ١٠.٠٠٠ شخص

وفى الوقت نفسه فى ديار بكر مظاهرة أخرى تضم أكثر من ٢٥٠٠٠ كردى .

لكن سرعان ما أحكمت الحكومة قبضتها، خاصة فى بطمان وسلڤان، حيث كانت روائح النفط تتصاعد من المنطقة، وفعلاً اكتشف النفط منذ ذلك الوقت فى منطقة دياربكر .

مع بداية ١٩٧٩ بدأ شباب أكراد، أعضاء فى حزب العمال التركى يكونون منظمة خاصة بهم تحت عنوان «المنظمة الثورية الشبيبة الكردية» وينشئون مراكز ثقافية ثورية فى المدن الكردية. في الوقت نفسه تكاثرت الأحزاب اليسارية التركية، وساندها الأكراد. صعدت الدولة إرهابها وقهرها ضد العناصر الكردية. وفى عام ١٩٧٩ وضعت كل كردستان تحت الحكم العسكرى، وظل هذا القانون سارياً حتى اليوم .

فى ١٩٨٠ حدث انقلاب عسكرى آخر بعد انقلابى ١٩٦٠ و ١٩٧١. بحجة خطر الإرهاب الكردى، وتصاعد القتل والشنق، إلى درجة لم يسبق لها مثيل بجانب التأكيد على أن الأكراد أصلهم تركمان. ولكى لايستطيع المقاتلون الأكراد الفرار إلى العراق أو إيران حاولت تركيا عمل حزام أمنى على حدودها مع هذه الدول ولكن الرأى العام الغربى قد منعها من ذلك خاصة، وأنها تطمح إلى دخول السوق الأوروبية المشتركة. فلجأت إلي استعمال الطرق المتلوية فمثلاً أرغمت سكان أكثر من ٥٠ قرية كردية على تركها تحت تهديد القتل على أيدى البوليس السرى «الكونترا» .

فى عام ١٩٨٣ دخلت القوات التركية لمطاردة العراق بموافقة صدام حسين وذلك لمطاردة المقاتلين الأكراد، كل ذلك للحفاظ على أنبوب النفط العراقى الذى يمر بتركيا، ويدر عليها العملة الصعبة.

وتركيا تحلم للآن باسترجاع ولاية الموصل ونفط كركوك، وكانت دائماً تنتظر الفرص، وخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية لتقوم باحتلال هذه الولاية بمساعدة أمريكا وأوروبا .

الوضع الاجتماعي وأهمية الهجرة الكردية والحركة السياسية :

بداية من ١٩٥٠ كان هناك عنصران فى غاية الأهمية. هما الهجرة الكردية من كردستان إلى غرب تركيا، والهجرة من كردستان إلى أوروبا وأمريكا، فالهجرة الأولى قد بدأت عندما أجبرت السلطات أكثر من مليون كردى على الهجرة من الشرق الى الغرب وهناك الهجرة بواسطة القوة والهجرة لأسباب التردى الاقتصادى فى المناطق الكردية، وقد استقر هؤلاء الأكراد الذين استمرت هجراتهم فى كثير من المدن التركية، ففى استانبول وحدها يوجد اليوم حوالى ٣ ملايين كردى. وتوجد جاليات كبيرة من الأكراد فى أنقرة وأزمير ومرسين إلخ. أكد سليمان دميريل عندما كان رئيساً للوزارة أن نصف الأكراد يوجدون اليوم خارج المنطقة الكردية .

أما بالنسبة للعنصر الثانى - الهجرة إلى أوروبا، ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية، احتاجت دول أوروبية، وخاصة ألمانيا إلى سواعد شابة لإعادة ماقد خربته الحرب، فاستغلت السلطات التركية هذا، وحاولت تفريغ المناطق الكردية من شبابها، فكانت ترسلهم بالآلاف دون أخذ رأيهم فى قطارات إلى ألمانيا بالذات، ثم هاجر كثير منهم إلى السويد وأوروبا عامة، لسوء حظ تركيا يقوم هؤلاء المهاجرون وسلالتهم بأهم نشاطات ضد تركيا فى أوروبا حيث كونوا قوة ضاغطة على الحكومات الأوروبية، وعلى سبيل المثال استقال وزير الخارجية الألمانية جينشر بسبب أزمة وزارية نشأت عن إرسال أسلحة لتركيا .

أما فى المدن التركية فقد بدأوا فى تكوين المنظمات السياسية السرية، والعمل سرا فى كثير منها ويساهمون فى تصعيد مناخ عدم الاستقرار فى تركيا .

ولادة حزب العمال الكردستانى :

تطورت المنظمات التى سبق أن ذكرناها. وانشقت وتجمعت، ولكن أهم تيار ظهر وتبلور هو التيار اليسارى الماركسى اللينينى الراديكالى. والذى انبثق منه عام ١٩٨٤ حزب العمال الكردستانى، والذى همش بنضاله الأحزاب الكردية

الأخرى فى تركيا، وهو طبعاً حزب سرى وقائده (عبدالله أوجلان) يوجد فى سوريا والبقاع (لبنان) .

وبسبب التدهور الاقتصادى الذى كان نتيجة استغلال الحكومات، أو تسخير ثروات المنطقة الكردية للاقتصاد التركى، البرجوازية المتمركز، فى غرب تركيا والمدن الكبيرة، تضاعفت البطالة والهجرة فانضم الشباب إلى صفوف حزب العمل الكردستانى سواء فى داخل تركيا أو خارجها. (نسبة الأمية ٧٥٪ فى كردستان فى حين أنها ٤٠٪ فى المناطق الأخرى من تركيا) .

إن هذا الحزب رغم القهر المنقطع النظير ضده، فى المنطقة الكردية يوجد حوالى مليون جندى تركى ورغم ذلك نجح فى زعزعة تركيا .

★★★

المصـــادر :

- جليلى جليل « أكراد الامبراطورية العثمانية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر» - موسكو ١٩٧٣ .

- ن.أ خالفين «الصراع على كردستان» - موسكو ١٩٦٣

- م - س - لازاريف : «كردستان والمشكلة الكردية فى تسعينات القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٧» - موسكو ١٩٦٤ .

- لازاريف : «المسألة الكردية (١٩١٧ - ١٩٢٣) ترجمه إلى العربية د. عبدى حاجى - بيروت ١٩٩١ .

- لازاريف : «زوال السيادة التركية على المشرق العربى » - موسكو ١٩٦٤ .

- هومسبيان، نوبار - أحمد فيروز : «تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكرى» - بيروت .

- أ . ف - ميللر - «دراسة تاريخ تركيا المعاصر» - موسكو ١٩٤٨ .

- د. جعفر مجيد : «كردستان تركيا - دراسة اقتصادية اجتماعية - سياسية» - بيروت .

- د. بله شيركوه : «القصة الكردية - ماضى الكرد وحاضرهم» القاهرة ١٩٣٠ .

- جواهر لال نهرو : «لمحات من تاريخ العالم» بيروت ١٩٧٥ .

- سيامند عثمان : «نشأة الحركة القومية الكردية » - باريس

المصـادر الأجنبية :

Armstrong, H.C. : " Mustafa Edmal" - Paris 1933..

- Wilson, A.T. : "Loya lties in Mesopotamiq 1914.. - 1917 London 1930..

- Harry, N. Howard : "The king crane commission - an american Inquity in the middle east" - Beitut - 1961..

- Challiand, G., (Sous la direction) :" Les Kutdes et le kurdiston" Paris 1981..

- Dersiui, N., "Kurdiston tarihinde dersim" Alep - 1952..

- Rambout, L., "Les kutdes et le droit" Paris 1947..

- Salek, Sabahattin, "Anadolu ihtilali" Istanbut - 1963..

- Sehmidt, Dana adams: "Journey among Brave men" - Boston- 1964..

- Olson, R., : "The emergence of kurdish nationalisme. The sheish Said rebellion - 1880- 1925" Texas 1989..

- Robins, Ph. : "Turkey and the middle east" london : 1991..

- League of nations:" Question of frontier between turkey and iraq" Geneve 1927..

- Helsinki watch :"Destroying ethnic identity: The kurds in Turkey" washington 1990..

- Khoyboun Society : "The massacre of kurds in turkey" - Cairo 1928..

- Middle East journal - no 3 - 1966-"The kurdish Drive for self de-. termination"

الباب السابع

وضع الأكراد
فى إيـــران

الأكراد في إيران

نبذة تاريخية :

حتى ١٥١٤ م كان الأكراد يعيشون فى إمارات شبه مستقلة أثناء معركة تشالدران، بين الإمبراطورية العثمانية بقيادة السلطان سليم، والامبراطورية الفارسية بقيادة الشاه إسماعيل. انحاز الأكراد السنة إلى جانب العثمانيين السنة ضد الفرس الشيعة، وأدى ذلك إلى انهزام قوات الشاه اسماعيل، وكان نتيجة ذلك اقتسام كردستان بين إيران والإمبراطورية العثمانية التى ضمت الجزء الأكبر من كردستان للإمبراطورية العثمانية .

هذا الاقتسام أقر باتفاقية عقدت سنة ١٦٣٩م بين الشاه عباس والسلطان مراد الرابع، وهى أول مرة تقتسم فيها كردستان إلى جزء ين منذ ذلك الوقت، فإن حدود كردستان بين تركيا وإيران لم يطرأ عليها تغيير كبير.

بين ١٥١٤ والنصف الثانى من القرن التاسع عشر كان الإمارات الكردية شبه مستقلة فى نطاق الامبراطورية الفارسية. وقد حدث أن حكم أحد أفراد الأكراد كل إيران وهى المملكة الزاندية بقيادة كريم خان زاند فى الفترة مابين ١٧٥٢ إلى ١٧٩٥، وفضل هذا الملك - كريم خان - أن يكون ملكاً على كل إيران، على أن يعمل لاستقلال كردستان وقد ألغيت عام ١٨٦٥ آخر إمارة مستقلة، وهى إمارة أردلان، وكان من أبرز حكامها أمين الله خان وابنه خسروخان .

الثورات الكردية من القرن التاسع عشر إلى جمهورية مهاباد ١٩٤٦ :

فى ١٨٨٠ اندلعت واحدة من أهم الثورات الكردية فى إيران فى القرن التاسع عشر، لقد قاد هذه الثورة عبيد الله الذى نجح فى تحرير الأراضى الكردية المنحصرة بين بحيرة أورميا (إيران) إلى بحيرة وان (ڤان) كردستان تركيا .

كانت هذه أول حركة كردية تهدف إلى توحيد كل كردستان لذلك اشترك الجيش التركى مع الجيش الإيرانى فى سحق الثورة بدون هوادة .

فى القرن العشرين اندلعت ثورة أخرى، غاية فى الأهمية أيضاً بهدف إقامة الدولة الكردية الكبرى المستقلة. وقد استطاع البطل الكردى سيمكو (اسماعيل

أغا) أن يسيطر من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٥، على كل المنطقة الكردية غرب بحيرة أورميا .

وقد ساعد على هذا النجاح الوضع الإقليمى، فقد كانت الامبراطورية العثمانية قد انهارت، والأكراد فيها يحاربون على استقلالهم بقيادة الشيخ محمود البرزنجى، وكان لمعاهدة سفر التى أبرمت عام ١٩٢٠ والتى اعترفت بوجود الشعب الكردى صدى كبيراً، كل ذلك بالإضافة للحكومة المركزية فى طهران ساعد على نجاح ثورة سيمكو .

وقد قابل سيمكو عام ١٩٢٣ فى السليمانية كردستان العراق الشيخ محمود البرزنجى لكى ينسق معه صفوف الحركة الكردية .

هذا النجاح أخاف الإنجليز فنجحوا فى وضع الدسائس بين الإسلام والمسيحيين، وللأسف وقع سيمكو فى الفخ بسهولة وقتل مار شمعون وهو الرئيس الدينى للأشوريين لمنطقة أورميا وأضعف هذا الحركة الكردية .

جاء رضا خان (فيما بعد رضا شاه) إلى الحكم عام ١٩٢٥ بمساعدة الإنجليز وعمل على فرض سلطة طهران على كل إيران. أراد أن يتخلص من سيمكو والحركة الكردية فدعى ضباطاً من الجيش الإيرانى سيمكو بحجة التفاوض معه ويقتلونه. ولكن سرعان ماأندلعت فى ١٩٣١ ثورة أخرى فى جنوب كردستان إيران بقيادة جعفر سلطان .

حينما قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ أعلنت إيران حيادها فى الحرب الألمانية الروسية فى ١٩٤١/٧/٢٦ .

ولكن النفوذ المتزايد لألمانيا الهتلرية وبعثاتها التبشيرية أحدث قلقاً شديداً للحلفاء ولروسيا، وخاصة وأن شاه إيران، كانت له اتجاهات وتعاطف مع ألمانيا النازية، زاد فى هذا القلق نجاح انقلاب رشيد عالى الجيلانى فى العراق. وكان معروفا هو الآخر بتعاطفه مع ألمانيا .

وفى ١٩٤١/٨/٢٥ لم يتردد الحلفاء والروس فى احتلال ايران - فتحركت القوات السوفيتية الى المناطق الشمالية فى إيران. بينما تقدمت القوات البريطانية

فى الجنوب حيث انزلقت على رأس الخليج العربى ومن داخل الأراضى العراقية. كانت المنطقة الكردية خاصة مدينة مهاباد تحت النفوذ السوفيتى فى حين ان المنطقة الجنوبية خاصة كرمنشاه تحت النفوذ البريطانى. لم يقاوم الجيش الإيرانى طويلاً. ورأى الشاه أن خير وسيلة لإنقاذ بلاده والأسرة البهلوية هى أن يتنازل عن العرش لابنه محمد رضا خان الذى أصبح «شاه» لإيران فى سبتمبر ١٩٤١.

كانت الحالة الاقتصادية سيئة جدا فى كل كردستان، التى كانت دائماً مسرحاً للحروب الإيرانية ضد جيرانها. وقد أدى الغزو الروسى لشمال إيران إلى نتائج ملموسة فى مسار الحركة الوطنية الكردية خاصة بعد أن تقلص نفوذ السلطة المركزية الإيرانية فى كردستان. وكان الجنود الإيرانيون قد تركوا وحداتهم العسكرية. وقد استولى الأكراد على أسلحتهم وعلى الذخيرة .

ورجع كثير من الأكراد الذين كانوا منفيين خارج كردستان إلى مناطقهم هذا المناخ جعل الأكراد يشعرون بأن الفرصة سانحة لكى يحقق الكرد مطالبهم القومية ويحكموا أنفسهم بأنفسهم. كل ذلك مهد لقيام مهاباد، أول جمهورية كردية فى التاريخ الحديث والتى أعلنت عام ١٩٤٦ وترأسها القاضى محمد .

جمهورية مهاباد :

تشكلت عام ١٩٤٤ منظمة كردية باسم «كومة لى زيانى كرد» (أى جمعية الإحياء الكردى) والتى مهدت لإنشاء «الحزب الديمقراطى الكردستانى - إيران» عام ١٩٤٥ وكان قاضى محمد وهو شخصية سياسية دينية مرموقة فى مهاباد، من أهم مؤسسى هذا الحزب. وكان برنامج الحزب هو تحقيق الحرية فى إيران والحكم الذاتى فى كردستان داخل الدولة الإيرانية، والإخاء مع الشعب الأذربيجانى وكل الأقليات غير الفارسية .

فى ١٩٤٦/١/٢١ وفى أوسع مساجد مهاباد تم اجتماع تمهيدى لممثلى الشعب الكردى. وفى اليوم التالى أى فى ١٩٤٦/١/٢٢ أعلن القاضى محمد من على منصة فى ميدان «جوار جرا» (المشاعل الأربعة) تشكيل جمهورية كردستان

الديمقراطية ضمن الكيان الإيرانى العام، وهذا «استنادا لحق الشعوب فى تقرير المصير، وباعتبار الأكراد يمثلون شعباً قائماً بذاته يعيش فى أرضه ويشارك أمماً أخرى حق الحكم الذاتى» .

وتحدث عن مساعدات الاتحاد السوفيتى المعنوية والمادية وحب الأذربيجانيين الذين حققوا استقلالهم فى إطار الدولة الإيرانية. وكانت كل فئات الشعب الكردى حاضرة هذا الاحتفال ورفرف العلم الكردى على كردستان. وشكلت الحكومة وحلف قاضى محمد وحكومته اليمين فى ١٩٤٦/٢/١١ .

فى ١٩٤٦/٤/٢٣ عقدت معاهدة صداقة بين الحكومتين الكردية والأذربيجانية . وقد أزعجت هذه المعاهدة إيران وحلفاءها أكبر إزعاج .

كانت جمهورية مهاباد ديناميكية نشطة، ورغم قصر عمرها فقد حققت كثيراً من برامجها على الأصعدة الإدارية والثقافية والعلاقات الخارجية. وأصبحت مهاباد مركزاً ثقافياً كردياً ساهم إلى حد كبير فى نهضة ثقافية كردية فى كل كردستان. كما أن المرأة الكردية اشتركت عن طريق الجمعيات مع الرجل فى كل مؤسسات هذه الجمهورية الشابة .

وصدر دستور للجمهورية ينص على حماية العمال وتشكيل النقابات وتطورت التجارة وخاصة مع الاتحاد السوفيتى. وتغيرت الظروف الدولية وانسحب الروس من شمال إيران فى مايو ١٩٤٦. ولم يكن القاضى محمد قد نجح فى ضم باقى كردستان الإيرانية (فى الجنوب) أى سنندج وكرمنشاه إلى جمهورية مهاباد بسبب الاحتلال الانجليزى لها. حاول قاضى محمد أن يتفاوض مع حكومة طهران حول علاقة جمهورية مهاباد ذات الحكم الذاتى مع الحكومة المركزية. فشلت المفاوضات بعد أن نجحت طهران فى تحييد موسكو عن طريق معاهدة تمكن الشركات السوفيتية من استغلال النفط الإيرانى.

ودخلت القوات الإيرانية تبريز (عاصمة أذربيجان) فى ١٩٤٦/١١/١٦ ثم بدأت تتجه نحو مهاباد، فدخلتها فى ١٩٤٦/١٢/١٧. رفض القاضى محمد وأعوانه القرار. ولكن الملا مصطفى البرزانى وأعوانه وكانوا يقاتلون بجانب أكراد إيران انسحبوا من المنطقة.

يسجن القاضى محمد وكثير من أعوانه، ثم يشنقون فى نفس الساحة (جوا جوا) «المشاعل الأربعة» التى أعلنت منها منذ سنة أول جمهورية كردية فى التاريخ الحديث .

وهكذا أعادت حكومة طهران سيادتها على كل إيران. لقد كتب كثيراً جداً عن أسباب فشل جمهورية مهاباد، سنحاول تلخيص ماكتب وسنعطى كل المصادر التى اعتمدنا عليها لمن يريد التوسع فى هذه المرحلة المهمة من حياة الشعب الكردى .

أثناء احتلال السوفيت شمال إيران وكردستان نشأت العلاقات بين الساسة الأكراد وخاصة القاضى محمد والجيش السوفيتى فقد كانت موسكو تخطط سراً لضم كردستان، على الأقل شمالها، وأذربيجان إلى الجمهوريات السوفيتية .

هذه العلاقة، سواء كان القاضى على علم بنوايا موسكو أم لا، أعطت انطباعاً بأن القاضى محمد قريب للسوفيت مما أخاف رؤساء القبائل الذين كانوا يسمعون عن طريق الحلفاء أن المسلمين يعاملون أسوأ معاملة فى الاتحاد السوفيتى .

فعندما اقتحمت القوات الإيرانية مهاباد، لم يتضامن أكثرية رؤساء العشائر الآخرين مع الجمهورية كذلك لم يلاق قاضى محمد مساندة من الأحزاب الكردية فى العراق (هيوا - الأمل) (وخويبون) بالإضافة إلى سوريا، وفى عدم تضامن الأكراد، كان العنصر الخارجى مهماً جداً، فالحلفاء يساندون طهران بكل قواهم بعد أن نجحوا فى تحييد السوفيت .

ويقول أرشى روزقلت إن هذه المرحلة تكرس صورة تناقضات القومية الكردية: القتال بشجاعة يجهضه تنافس القادة الأكراد وتفرق كلمتهم .

مع سقوط جمهورية مهاباد، انهارت، مؤقتاً الحركة القومية الكردية فى إيران. ولكن منذ ١٩٤٩ بدأت مرة أخرى النشرات السرية توزع فى كل كردستان.

يعد محاولة لقتل الشاه وتصعيد الاضطهاد، جاء إلى الحكم الدكتور مصدق، فأعطى كثيراً من الحريات .

ساند الشعب الكردى مصدق. عندما أمم النفط فى ١٩٥٣/٨/٣ صوت الأكراد فى صالح تحديد صلاحيات الشاه فى ١٩٥٣/٨/١٩ وبمساعدة CIA أطيحت وزارة مصدق. مئات من التقدميين والقوميين إيرانيين وأكراد وضعوا فى السجون. ألغيت الأحزاب والمنظمات الخ.

ودخلت إيران رويداً رويداً فى الاستراتيجية الأمريكية وفى ١٩٥٣/٢/٢٣ دخلت حلف بغداد فى ١٩٥٨/٧/١٤ إطاحة النظام الملكى فى العراق، التى أصبح لها صدى هائل عند أكراد إيران (وتركيا أيضا)، تشن حكومة طهران حملة كبرى لتوقيف القادة والمثقفين الأكراد .

عندما تندلع الحرب فى العراق بين نظام عبد الكريم قاسم والحركة الكردية بقيادة الملا مصطفى البرزانى عام ١٩٦١ يتعاطف أكراد إيران مع حركة برزانى إلى أقصى حد ويقدمون لها المعونات العينية من أكل وملبس وكذلك أسلحة خفيفة وذخيرة. ونظم هذه المساعدات الحزب الديمقراطى الكردستانى لإيران. واستمرت هذه المساعدة إلى عام ١٩٦٦ وكانت غاية فى الأهمية لاستمرار الحركة الكردية فى العراق .

وهنا حدث شىء مهم أثر تأثيرا سلبيا جدا على الحركة الكردية فى العراق. يقول د. عبد الرحمن قاسملو: «نجح الشاه فى إقناع مصطفى البرزانى بتقديم معونة مباشرة له على نطاق أوسع من أموال وأسلحة، وقبل برزانى مساعدة الشاه. والتى أصبحت تتزايد بحيث تجعل استمرار الثورة الكردية معتمدة تماماً على المساعدة الإيرانية .

كان هدف الشاه هو تحييد الحركة الكردية فى إيران وسحب مساعدتها لأكراد العراق وبالتالى عدم التحامهم معهم، وهذا بموجب فكرة «تجميد الثورة الكردية فى إيران» إلى حين تحرير كردستان العراق .

ويضيف د. قاسملو إنه عندما أصبح استمرار القتال لأكراد العراق يعتمد على مساعدة طهران تماماً طلب من برزانى التعاون مع السلطات الإيرانية ضد المقاتلين الأكراد فى إيران وإيقاف نضالهم ضد الحكومة .

وفعلاً وحسب المصدر نفسه ساهمت قوات البرزانى مع القوات الإيرانية فى توقيف وحتى قتل المناضلين الأكراد الذين كانوا قد بدأوا حرب جبال ضد طهران منذ ١٩٦٧ ولمدة ١٨ شهراً انهارت بعدها بسبب حصار البرزيين والإيرانيين حولهم » .

هذه المرحلة السوداء ستؤثر وتؤثر إلى اليوم على علاقات الحركة الكردية فى إيران وشقيقتها فى العراق .

اتفاق آذار ١٩٧٠ بين بغداد والحركة الكردية أعاد إلى حد ما المياه إلى مجاريها ولو موقتاً، فدائماً عندما «تتحرر» قطعة من كردستان تصبح قبلة المناضلين والمثقفين الأكراد من الأجزاء الأخرى، (مثل مهاباد ١٩٤٦ العراق ١٩٥٨ إلخ) وهرب كثير من المقاتلين والسياسيين من إيران إلى العراق .

ولكن سرعان ماستغلت المخابرات العراقية بعضهم فى نزاعها مع إيران فساعدت بغداد الحزب الديمقراطى (إيران) بالأسلحة والمال لنشاطهم ضد الشاه، فأصبحوا تحت رحمة بغداد بالنسبة لأسلحتهم. فى الوقت نفسه كان برزانى لازال تحت رحمة الشاه إذ كان لازال يستلم مساعدة من الشاه. وكان برزانى يمنع أعضاء الحزب الكردستانى الإيرانى من شن عمليات ضد إيران. مع ذلك عندما ساءت العلاقات فى ١٩٧٤ بين برزانى وبغداد، رفض الحزب الكردستانى – ايران أن يهاجم برزانى بطلب من بغداد فقطعت بغداد المساعدة عنهم وطردتهم إلى إيران. وهناك أوقفوا عملياتهم فى إيران أو جمدوها لكى يستمر الشاه فى مساعدة برزانى ولكن بعد اتفاق الجزائر فى مارس ١٩٧٥ بين شاه ايران وصدام حسين بمساعدة الجزائر (أنظر الأكراد فى العراق) وسحب الشاه مساعدته للأكراد، أغلقت الحدود الإيرانية والتركية أمام المقاتلين الأكراد وانهارت الثورة الكردية وهرب الآلاف من الأكراد إلى إيران، أعاد الحزب الكردستانى – إيران نشاطه برئاسة د. عبد الرحمن قاسملو الذى رأسه فى ١٩٧٣ حتى اغتياله فى ١٩٨٩ وهو مثقف تقدمى كردى درس فى فرنسا فى جامعة السربون وعاش فى تشيكوسلوفاكيا (كان صديقاً شخصياً لمدام دانيال

ميتران حتى قبل أن تصبح السيدة الأولى فى فرنسا وهو الذى شرح لها القضية الكردية وجعلها تتبناها) .

وللحزب قاعدة شعبية حقيقية من فلاحين وعمال ومثقفين. ركزوا ويركزون نضالهم داخل إيران مع القوى القومية الأخرى التى تسعى إلى إرساء نظام ديمقراطى فى إيران.

وبرنامجه وأهدافه تحقيق حق المصير للشعب الكردى - وحق الأقليات الأخرى فى إيران ٥٠٪ فقط من السكان من أصل فارسى والنصف الآخر مكون من أقليات أخرى أهمها الأزيرى يليها الأكراد ثم البلوجى والعرب .

الفرص الضائعة :

كان سقوط الشاه فى يناير ١٩٧٩ وتفكك الدولة كانت فرصة للأكراد لتحقيق حكمهم الذاتى ويرى كثير من الخبراء أن هذه الفرصة كانت أحسن بكثير من تلك التى سادت إيران فى ١٩٤٦ والتى أدت إلى إنشاء جمهورية مهاباد، حيث لم يكن يوجد أجنبى ولا جيوش أجنبية على أرض إيران. استولى الأكراد على أسلحة وذخيرة من الشرطة والجيش الإيرانى. ولكن رؤساء بعض العشائر الكردية التى كان يغدق عليهم الشاه المال ويشركهم فى السلطة مقابل إخماد الثورات الكردية، كانوا ضد الثورة الإسلامية ولم يتضامنوا مع الحزب الديمقراطى الكردستانى الإيرانى .

ونشأ خلاف شديد بين الحزب الديمقراطى ورؤساء العشائر الكردية أى بين الاقطاع وتمسكه بمصالحه وامتيازاته وأعضاء الحزب وقاعدته الشعبية.

وطبعاً، بعد مدة قصيرة من المهادنة، رفضت الثورة الإسلامية تماما . مطالب الأكراد القومية والحكم الذاتى باسم الإسلام أليسوا - أعضاء فى الامة الإسلامية، لماذا حقوق قومية؟ هذا أدى إلى انقسام آخر بين الأكراد السنة وهم الأغلبية والشيعة. ساند الأكراد الشيعة، ورئيسهم الشيخ عز الدين الحسينى الإمام الخمينى .

وقد رفض الأكراد السنة «ديكتاتورية الخميني» الذى نجح فى نشرها باسم الإسلام. ورأوا أن نظام خميني ليس نظاماً إسلامياً .

استمرت مناوشات بين الأكراد والسلطة وبين الأكراد أنفسهم .

فى يوليو ١٩٧٩، وبعد أن احتل الأكراد مدينة بافة بعد أن كانوا احتلوا مهاباد وزرادشت، وبعد أن أرسل الخميني الجيش يسانده الطائرات المروحية والمقاتلات الفانتوم والدبابات واحتلوا بافة وسنندج وساكيز، ثم استرجعوا مهاباد وزرادشت ظهر جلياً للكرد أن الجيش الإيرانى مازال قوياً، تم محاكمة وشنق ٧٠ كردياً، أكد أن النظام الخميني لاينوى مطلقاً إعطاء أية حقوق للأكراد ولا الأقليات الأخرى .

بعد أن خسر الأكراد مراكزهم فى المدن، انسحبوا إلى الجبال. وقرر قاسملو استمرار القتال. إذ كان لازال بحوزة الحزب كثير من الأسلحة. واستمرت حرب العصابات .

هذا الوضع ظل يقلق السلطات الإيرانية – وحاولوا التفاوض. رفض قاسلمو مقترحات طهران التى كانت تعتبر الأكراد أقلية دينية (سنة) لا أقلية قومية. فخميني لايعترف بالقوميات (إلا الفارسية المهيمنة طبعا) من هذا المنطلق كانت طهران لا تعتبر كرمنشاه كردية لأن أكرادها شيعة وعادت الحرب مرة أخرى .

فى فبراير ١٩٨٠ عين بنى صدر رئيسا للجمهورية، قدم له قاسملو اقتراحاً لحكم ذاتى كردى – اشترط بنى صدر أن يلقى الأكراد السلاح قبل المفاوضات. رفض قاسملو هذا الشرط، ووعد بأن يلقى الأكراد سلاحهم بعد تحقيق مطالبهم. واستؤنف القتال فى المدن فى حين كان الأكراد مسيطرين على القرى والجبال. (حوالى ١٢٠,٠٠٠ كم٢ فى أيدى الأكراد) . وكانت حرب العصابات ستستمر إلى مالا نهاية .

الأكراد والحرب العراقية الإيرانية :

فى سبتمبر ١٩٨٠ هجمت العراق على إيران (أصبح هذا ثابتاً – كذلك ثبت أن إيران كانت قد قامت بعمليات استفزازية ضد العراق) بعد أن ألغت إتفاقية

الجزائر ١٩٧٥ التى فقدت فيها السيادة العربية على شط العرب .

وظهرت فرصة ذهبية فريدة للكرد أن يحققوا مطالبهم القومية والاستفادة من حرب عملاقين يقتسمانهم. الفترة من سبتمبر ١٩٨٠ إلى يوليو ١٩٨٢ والتى عرفت الانتصارات العراقية داخل إيران بسبب تفكك الدولة وضعفها نتيجة الثورة والفوضى التى تلتها . ومع ذلك لم تستطع العراق أن تهزم إيران وتحتل مدناً حدودية .

فى هذه المدة نجحت طهران فى أن تستعمل الخلافات بين الحزبين الكرديين الإيرانى والعراقى، خصوصاً بعد أن نبش أعضاء الحزب الديمقراطى الكردستانى الإيرانى قبر مصطفى البرزانى فى أوشناقيا .

بعد ١٩٨٢ كانت طهران قد استردت نفسها وشنت هجمات عنيفة شرسة على العراق واحتلت الفاو، وكانت على وشك احتلال البصرة لولا تدفق السلاح من جميع أنحاء العالم على العراق لمنع هزيمة شنعاء للعراق .

فى ١٩٨٤ استطاع الجيش الإيرانى أن يستعيد سيطرته على المنطقة التى كان الأكراد يسيطرون عليها فى معارك ذهب ضحيتها آلاف من القتلى الأكراد .

استمر الحزب مع منظمة كومة لى فى حرب عصابات، واستنزاف بعمليات محددة ضد نقاط الجيش والشرطة .

قدمت العراق مساعدات متواضعة للحزب، وكومة لى حتى إعلان وقف إطلاق النار بين بغداد وطهران فى أغسطس ١٩٨٨، بعد ذلك حاول قاسملو أن يصل إلى اتفاق مع طهران، بعد أن تأكد أنه من الصعب أن يحقق انتصارات عسكرية ضد جيش قوامه ٢٠٠,٠٠٠ جندى.

بسبب ذلك انقسم الحزب وأنشىء حزب آخر باسم الحزب الديمقراطى الكردستانى – القيادة الثورية وبدأت المفاوضات فى السر منذ آخر ١٩٨٨ وكانت ستستأنف فى يولو ١٩٨٥ فى فيينا . ولكن المفاوضين الإيرانيين قتلوا قاسملو حين جاء ليتفاوض على السلام كما ثبت من التحقيقات. وقد قتل فى سبتمبر ١٩٩٢ وبنفس الطريق من خلف قاسملو على رأس الحزب الذى كان جاء ليتفاوض

سراً فى برلين مع ممثلى الحكومة الإيرانية .

واضح جداً لأسباب لا يوجد مكان هنا لتحليلها، إن الأحزاب والجمعيات والقادة والأكراد فشلوا تماماً فى استغلال ظروف الحرب العراقية الإيرانية، وأهم أسباب هذا الفشل التاريخى هو انقساماتها التى كانت بلغت الذروة فى هذه المرحلة .

فقد كانت منقسمة بين بلد وبلد، فالأحزاب الكردية الإيرانية تساند حكومة بغداد والأحزاب الكردية العراقية تساند حكومة طهران وبالتالى دخلوا فى حروب الواحدة ضد الأخرى لمصلحة أعداء الشعب الكردى اللدودين .

أكثر من ذلك فإن هذا الوضع أسفر لمرحلة طويلة إلى أن تكون الحرب العراقية الإيرانية على أرض كردية وأسفر ذلك إلى مآس للشعب الكردى تطرقنا لها فى الجزء الخاص بالعراق .

★★☆

المصـــــادر :

- Ghassemlou, A.R., "les kuroles et le kurdistan" Paris 1981..

- Eagleton, W, "The mahabad Republic" - London - 1966..

-Roosevelt, Archie, Jr, : "Kurdis republic of mahabad"

" The Middle east journal, Vol 1,3..

Washington, July 1947..

- Fereshteh koohi - kamali: "A contemporar overviewe" London 1992...

★★★

الباب الثامن

« وضع الأكراد في سوريا »

كانت سوريا تسمى ببلاد الشام (سوريا الحالية – لبنان – الأردن – فلسطين) تحت حكم العباسيين، وكانت إقليمياً مثل مصر، والعراق الذى كان ينحصر فى ذلك الوقت على العراق العربى (ولايتى البصرة وبغداد) وكان العرب فى ذلك الزمان يطلقون على كردستان وبالذات كردستان الجنوبية أى ولاية الموصل بلاد الأكراد .

إن أراضى الجمهورية السورية اليوم، لا تطابق ماكان يطلقون عليه الشام تحت حكم العباسيين. الشام كانت تضم كل الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وعمقه، من كيليكيا وماراش إلى الصحراء العربية والعقبة على البحر الأحمر .

فى الشرق كان الفرات الأوسط يحيط بالشام، بما فى ذلك باطير فى الصحراء السورية، ويبدأ إقليم آخر، من وراء الفرات الأوسط يسمى بالجزيرة أو الفرات الأعلى. ولم يكن فى يوم من الأيام داخل بلاد الشام تحت الحكم العثمانى، كانت سوريا مقسمة إلى أربع ولايات: دمشق بما فيها فلسطين والأردن وحلب وطرابلس وصيدا .

فى مؤتمر سان ريمو الذى عقد من ١٩ – ٢٦ إبريل ١٩٢٠ . وتطبيقاً للاتفاق السرى الفرنسى الانجليزى، سايكس بيكو، الذى كان قد تم عام ١٩١٦، قسم الحلفاء أى فرنسا وإنجلترا بلاد الشام كالآتى: انتزعت فلسطين والأردن من ولاية دمشق ووضعت تحت الانتداب الإنجليزى. ووضعت بقية بلاد الشام تحت الانتداب الفرنسى. فى العام نفسه، أى ١٩٢٠ فصلت فرنسا لبنان أى (طرابلس إلى صيدا) من ماتبقى من الشام .

فى عام عام ١٩٣٩ اقتطعت فرنسا من الشام، سنجق اسكندرونة(*) ذات الغالبية العربية وكانت تتمتع بحكم ذاتى تابع لدولة حلب وألحقتها بتركيا الكمالية. وفى الوقت نفسه، اقتطعت من كردستان الشمالية (كردستان التركية الآن) قسماً كبيراً من إقليم الجزيرة الكردى وأضافته إلى سوريا التى حصلت

(*) سنجق تعنى ولاية .

على استقلالها ١٩٤٦. لم تكن منطقة الجزيرة الكردية فى يوم من الأيام من بين مطالب القوميين العرب. لا فى مراسلات حسين مكماهون، ولا خلال العهد الفيصلى فى سوريا، ولا حتى من قبل القوميين العرب تحت الانتداب الفرنسى. وضمت منطقة الجزيرة إلى سوريا ١٩٢١ .

وبالنسبة للحدود التركية السورية فقد حددتها المعاهدة الفرنسية التركية التى أبرمت فى لندن فى ٩-٣-١٩٢١، والتى عدلت مرتين: الأولى بمعاهدة أنقرة فى أكتوبر، فى السنة نفسها. ثم بمعاهدة جوفنال عام ١٩٢٦، خط الحدود لا يحترم لا التاريخ ولا الجغرافيا ولا الاثنولوجيا. بعد أن أعطى لتركيا مناطق ذات أغلبية سكانية عربية - سنجق واسكندرونة أعطى لسوريا ثلاث مناطق كردية مسكونة بالأكراد أو بأغلبية كردية وهذه المناطق هى: كرد داغ عربت بجبل الأكراد (أو عين العرب) عرب بيتار - والجزيرة (هذه المناطق داخل سوريا ليست متصلة الواحدة بالأخرى، ولكنها تكون امتداداً متواصلاً مع كردستان تركيا، وهذا طبيعى لأنها اقتطعت منها. على أية حال، بما أن العرب والأكراد كانوا تحت حكم أجنبى (عثمانى) لعدة قرون فإن خطوط الحدود لم تكن واضحة، وحتى فى منطقة الجزيرة فإن العرب والأكراد عاشوا جنباً إلى جنب من قبل دخول الإسلام وبعده (هناك دراسة للأستاذ عصمت شريف وانلى) تثبت وجود عدد من القادة الأكراد الذين شاركوا فى الحروب الإسلامية تمركزوا داخل سوريا (الشام) أى فى مناطق عربية خاصة فى جبال العلويين وجبال شمال لبنان وفى مدينة حمص وضواحيها (إن الحصن القديم الذى يطلق عليه حصن الأكراد الذى يقع فى الجبال العلوية بين حمص وطرطوس، كان قد شيدّ من قبل الأكراد ليحتموا به قبل أن يحتله الصليبيون ويطلقون عليه اسم (كراك الفرسان)، وكلمة كراك ليس لها أى معنى فرنسى وهو كما ثبت ذلك، تحريف لكلمة أكراد بالعربية (تكون حى الأكراد فى دمشق العاصمة منذ عهد الدولة الأيوبية ودفن فيه كثيـر من الأمراء الأكـراد الأيوبيين (تحت حكم الدولة الأيوبية كانت الطبقة الحاكمة معظمها من

الأكراد) أما بالنسبة لمنطقة الجزيرة فقد نشر الكاتب الدانماركى كارستن نيوبوهر عام ١٧٦٤ خريطة لشرح رحلة قام بها فى هذه المنطقة وأكد على وجود خمس قبائل كردية هى (دكورى - كيكى - شيشانى - مللى - آشتى) وقبيلة عربية هى الطائى. وكذلك الرحالة الفرنسى ڤولنى الذى من خلال رحلاته من مصر إلى سوريا عند وصوله إلى سوريا نزل فى منطقة جبل الأكراد وتكلم عن الأكراد مطولاً فى كتابه الذى أصدره عام ١٨٧٠ .

مما سبق وخاصة من هذه الخريطة يتضح أن الأكراد موجودون منذ قرون فى هذه المناطق وليسوا مجرد مهاجرين، زحفوا من تركيا بعد تخطيط الحدود كما تزعم الحكومات السورية. نفس القبائل الكردية السابق ذكرها لازالت تعيش فى الجزيرة ومعظم هذه القبائل تمركزت وأصبح أفرادها مزارعين وفلاحين، وتجاراً.

للآن لا يعترف أكراد سوريا، على الأقل نفسياً وعاطفيا بوجود حدود مصطنعة تفصلهم عن عائلاتهم فى تركيا. فهم يستخدمون للآن تعبير «حضر من فوق الخط» عندما يزورهم قريب أو صديق لهم من الجهة الأخرى من الحدود أى من كردستان تركيا. والخط يقصد به الخط الحديدى الذى أنشىء من قبل الألمان فى هذه المنطقة. أكراد فوق الخط (أكراد تركيا) أكراد تحت الخط (أكراد سوريا) .

وضع الأكراد فى سوريا منذ الاستقلال :

الأكراد يشكلون اليوم ثانى مجموعة قومية، بعد العرب، فى سوريا. معظم الأكراد فى سوريا يسكنون على أرض كردية، وإن كان لا يوجد أى تعداد رسمى لنفوس الأكراد، إذ إن القانون السورى لايعترف بوجود أكراد فى سوريا، خاصة بعد أن أصبح اسمها، «الجمهورية العربية السورية». نتيجة لذلك ليس للأكراد فى سوريا أى حق قومى أو ثقافى،وهذا لايمنع أن عليهم كل واجبات المواطن تجاه الدولة: دفع الضرائب والخدمة العسكرية الخ...

حتى الأقلية الأرمينية التى لاتزيد على ١٠٠,٠٠٠ نسمة والتى تعيش أغلبيتها فى حلب ودمشق، لها حق إنشاء المنظمات والجمعيات وفتح المدارس الأرمينية، هذا الحق لايتمتع به الأكراد حتى فى المنطقة الكردية .

يقدر عدد الأكراد فى سوريا اليوم بين مليون ومليون ونصف نسمة. رغم وضعهم المتردى، لم يكتب عنهم إلا القليل، يرى عصمت وانلى أن هذا التعتيم الإعلامى عن أكراد سوريا يرجع، ربما لقلة عددهم بالنسبة لأكراد تركيا، إيران، العراق. أو ربما لأنهم يعيشون فى السهول تحت أقدام الجبال الشاهقة ولأن هذه الأماكن بعيدة عن أهم شرايين الاتصال ولا يزورها إلا القليل من الأجانب والصحفيين.

فى إقليم الجزيرة ومركزه الحسكة يشكل الأكراد فى هذه المنطقة التى ترويها مياه الأمطار بغزارة، وكذلك نهر الخابور وفروعه، توجد بها ٧٠٠ قرية كردية وحوالى خمس مدن كردية. من الشرق إلى الغرب هذه المدن هى ديرك - القامشلى (وهى أكبر مدينة كردية بها حوالى ١٥٠ ألف نسمة) - عامودا - درباسية - رأس العين وينبع النفط فى هذه المنطقة الكردية فى حقول قارشوك، ورميلان. لقد جعل المزارعون الأكراد من منطقة الجزيرة صومعة قمح لسوريا. وتزعم السلطات السورية أن أغلب الأكراد فى سوريا هم مهاجرون من تركيا. ويقول المؤرخ الفرنسى «فيليب روندو» إن حوالى ١٠٪ من سكان الجزيرة هم فعلاً من أكراد تركيا الذين هاجروا إلى الجزيرة عام ١٩٢٥ بعد ثورة الأكراد بقيادة الشيخ سعيد فى تركيا والمذبحة التى تلتها. ويقول هذا المؤرخ إن الانتداب الفرنسى رحب بهؤلاء المهاجرين. لمهارتهم فى الزراعة وأعطاهم الجنسية السورية كان (فيليب روندو) ضابطاً فرنسياً فى ١٩٢٦ كتب عن الجزيرة «أنها أرض حدودية تفصل بين عالمين» (وهو لا يزال على قيد الحياة) والجدير بالذكر أن ٩٠٪ من أكراد سوريا لايستعملون إلا اللغة الكردية فى تعاملهم. فى مدينة دمشق يوجد حوالى ١٠٠,٠٠٠ كردى أكثر من نصفهم فى حى الأكراد. وكثير منهم انصهر تماماً فى حياة المدن منذ أجيال.

لأول مرة فى التاريخ ألغت سوريا اسم (حى الأكراد) التاريخى وأعطت له اسماً عربياً (ركن الدين) فى دمشق وحلب توجد جالية كردية تقدر بـ ٤٠٠ ألف كردى.

الوضع السياسى للأكراد فى سوريا :

كان الفرنسيون طيلة الانتداب الفرنسى على سوريا، قد منعوا أى نشاط كردى ضد تركيا من سوريا، خصوصاً من قبل الأكراد الذين هاجروا من كردستان تركيا بعد فشل ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥ ..

وبالرغم من هذا استطاع الأكراد إنشاء جمعية «خويبون» فى عام ١٩٢٧ وعقد مؤتمرها العام فى بحمدون، فى لبنان، وتطورت هذه الحركة السياسية والثقافية فى الجزيرة وحتى فى دمشق بفضل النشاط المكثف لعدد من الأكراد خاصة من عائلة الأمير بدرخان الذين هاجروا إلى سوريا ثم مصر بعد الثورات التى قاموا بها فى كردستان تركيا. لقد أصدر الأمير جلادت بدرخان منذ عام ١٩٣٢ أول جريدة «هاوار» وتعنى النداء باللغة الكردية وباللهجة الكرمانجية وبالحروف اللاتينية. وقد أسس أول مطبعة كردية المؤرخ الكردى حسين موكريانى فى حلب عام ١٩١٥ وقام بطبع الكردى بالحروف العربية بعد أن طور المطبعة لكى تطبع كل الحروف الكردية، ثم أصدرت هذه المطبعة كتباً عن قواعد اللغة الكردية مما ساعد المثقفين الأكراد على تطوير اللغة والكتابة بها، فظهر شعراء وكتاب مثل جكرخوين وقدرى جان وعثمان صبرى ونور الدين ظاظا ثم أصدر (شقيق الأمير جلادت) وهو الأمير كامران بدرخان جريدة كردية فرنسية «روجانو» تعنى اليوم الجديد بالكردية فى بيروت ثم سافر باريس حيث أصبح ممثلاً للثورة الكردية إلى أن توفى عام ١٩٧٩. أما الأخوة الآخرون وباقى عائلة بدرخان فهاجروا إلى مصر.

لقد شارك كثير من الأكراد جنباً إلى جنب مع العرب فى نضالهم ضد الفرنسيين ومن أشهر هؤلاء ابراهيم هنانو (١٩٢٥ - ١٩٤٥) .

ظهور أول حزب كردي

فى عام ١٩٥٧ قامت مجموعة من المثقفين الأكراد مثل نور الدين ظاظا، وعثمان صبرى بتشكيل حزب كردى «الحزب الديمقراطى الكردستانى السورى» على غرار الحزب الديمقراطى الكردستانى العراقى والحزب الديمقراطى

الكردستانى الإيرانى. من أهداف هذا الحزب المطالبة بالحقوق الثقافية واللغوية، والتطور الاقتصادى والمطالبة بالديمقراطية فى الحياة السياسية فى سوريا. لم تعترف الحكومة بهذا الحزب، وظل سرياً إلى أن أوقف عشرون من أعضائه البارزين فى عام ١٩٦٠ بتهمة «الانفصال» وأودعوا السجن وعذبوا. وفى نفس العام أحرق ٢٥٠ طالباً كردياً فى مدينة عامودا، داخل دار للسينما - هذا الحادث لازال عالقا فى مخيلة جميع الأكراد .

بعد انفصال مصر وسوريا وبعد فشل الوحدة أعلنت الحكومة السورية الدستور المؤقت ولأول مرة أعلنت «الجمهورية العربية السورية» وأصبح كلّ فرد يعيش فى سوريا هو عربى. وفى ١٩٦٢ أصدرت الحكومة قانوناً خاصاً رقم (٩٣) لعمل تعداد سكانى فى منطقة الجزيرة فقط، ونتيجة لهذا التعداد سحبت هوية ١٢٠,٠٠٠ كردى من الجزيرة ولم ترد إليهم وهم الآن بدون هوية .

فى مارس من السنة نفسها فى هذه الأثناء كانت رائحة النفط تفوح من منطقتى قرة شوك ورميلان فى الجزيرة .

وصل حزب البعث العراقى إلى الحكم فى فبراير ١٩٦٣ وفى يونيو أعلنت الحكومة البعثية الحرب على الأكراد فى العراق واشترك الطيران السورى وفرقة مدرعة سورية مكونة من ٦٠٠٠ جندى بقيادة العقيد فهد الشاعر ضد الأكراد فى شمال العراق. دخلت هذه الفرقة شمال العراق من الجزيرة (سوريا) إلى زاخو (العراق) واشتبكت مع المقاتلين الأكراد. وقد تكبد الجانب السورى خسائر كبيرة وانسحب فى يناير ١٩٦٤ .

القهر السياسى والاقتصادى :

فى عام ١٩٦٣ كلفت الحكومة السورية البعثية تحت حكم الرئيس السابق أمين الحافظ الملازم الأول محمد طالب هلال الذى كان رئيساً للشعبة السياسية بالحسكة أن يقوم بدراسة عن محافظة الجزيرة فى النواحى القومية والاجتماعية والسياسية لغرض التغلب على الحركات الكردية التى تطالب بحقوقها القومية. صدرت هذه الدراسة فى ديسمبر ١٩٦٣ .

إننى أنصح كل من يبحث الآن عن الأسباب التى أدت إلى تدهور الوضع فى العالم العربى أن يقرأ هذا البحث الذى هو عبارة عن نموذج لعقلية الشوفينية التى أصيب بها عدد من العرب. وقد حصل على هذه الدراسة، أكراد فى أوروبا ونشروها باللغات العربية والفرنسية والانجليزية. لم يستطع رغم كل محاولاته الإنشائية أن يلغى الشعب الكردى وأن ينكر أنه يعيش فى الجزيرة على أرض كردية. ويقول إنه من المؤلم أن يظهر البترول فيها ويقول أيضاً فى مقدمة بحثه «إن روائح البترول قد أخذت تفوح منها وفى حقولها (رميلان - كارشوك) مما يزيد من تعقيد المشكلة» .

وهو يعرف المشكلة الكردية بالشكل التالى :

«ليست المشكلة الكردية الآن، وقد أخذت فى تنظيم نفسها، إلا انتفاخ ورمى خبيث نشأ أو أنشىء من ناحية فى جسم هذه الأمة العربية وليس له أى علاج سوى بتره» .

الملازم طالب هلال يشن هجوماً عنيفاً على جمال عبد الناصر والصحفى والكاتب محمد حسنين هيكل لأنهما طالبا العراق بحل المشكلة الكردية سلمياً مؤكدين وقائلين «لاحاجة لسفك دماء المسلمين» ويقول طالب هلال مستغرباً: «وكأن البرزانى وطغمته إسلام» .

أوحى هذا الملازم بخطة لإفناء الشعب الكردى فى سوريا، تبدأ، بالتجهيل ثم التهجير والتجويع ولتنفيذ ذلك بدأ بعمل «الحزام الأمنى العربى» .

وقد تبنت الحكومة السورية عام ١٩٦٥ توصيات طالب هلال وأقامت حزاماً عربياً أمنياً فى الجزيرة طوله ٣٠٠ كم. وعرضه ١٠كم من الحدود العراقية فى الشرق إلى نقطة وراء رأس العين فى الغرب ثم ترحيل أكثر من ١٤٠,٠٠٠ مزارع كردى بعائلاتهم الذين كانوا يعيشون فى ٣٣٢ قرية، هجروا واستولى مزارعون عرب على أراضيهم وقراهم وهم يعيشون فيها الآن. وبدأت حملة تعريب لأسماء القرى والمدن، تمت هذه الأحداث تحت حكم الرئيس أمين الحافظ إلى عام ١٩٦٩ .

بعد حكم أمين الحافظ وبمجيء حافظ الأسد تبدل الوضع نوعاً ما بالنسبة للأكراد وأصبحت هناك أوجه إيجابية وأخرى سلبية فمن الإيجابيات: وربما بسبب الخلاف بين البعث السورى برئاسة الأسد والبعث العراقى برئاسة صدام حسين فقد قدمت السلطات السورية مساعدات للأحزاب الكردية فى العراق وسمحت لهم بفتح مكاتب والسكنى فى سوريا ولم تمارس عليهم عمليات الاغتيال التى يمارسها صدام بسهولة منقطعة النظير لقد كانت هذه المساعدات على الرغم من صغرها مهمة جداً للأحزاب الكردية العراقية فى وقت أقفلت أمامهم الدول الأخرى المجاورة لتركيا وإيران جميع الأبواب وبالنسبة لتركيا وبسبب الخلاف المهم جداً على مياه دجلة والفرات وبسبب احتلال المدن العربية كالأسكندرونة من قبل تركيا، احتضنت سوريا حزب العمال الكردستانى التركى الذى يشن هجماته على تركيا من الأراضى السورية والبقاع. ونذكر أن إنشاء الاتحاد الوطنى الكردستانى أعلن من دمشق عام ١٩٧٥ .

وهكذا وبمساعدة الأكراد خارج سوريا وخاصة فى تركيا، «يصدر» الرئيس الأسد المشكلة الكردية السورية خارج سوريا، فى نفس الوقت يستعملهم كورقة ضغط على تركيا فى مشكلة المياه .

ويقول بعض المثقفين الأكراد إن وضع الأكراد فى سوريا قد تغير نتيجة لانعكاس التغيير الذى حدث فى المنطقة، تدعى بعض الصحف التركية أن هناك «تحالفاً استراتيجياً كردياً سورياً» .

سمحت السلطات السورية لحزب العمال الكردستانى التركى، بالعمل، وإنشاء قواعد فى (جبل الأكراد) وحلب، وأدى هذا الإجراء إلى التحاق العديد من الشباب الأكراد فى سوريا ولبنان بصفوف الحزب الكردستانى على حساب الأحزاب الكردية الأخرى، فى سوريا وفى الانتخابات التشريعية السورية التى جرت فى مايو ١٩٩٠ رشح ستة أكراد وفازوا وهم الآن أعضاء فى البرلمان السورى. ومن بين ١٥٠ عضواً فى البرلمان السورى هناك ٣٨ عضواً كردياً ومنهم ٢١ يناضلون باسم الاكراد. مثل عبد الحميد درويش (سكرتير الحزب الديمقراطى الكردستانى). فى سوريا، وكمال أحمد .

وبالنسبة للسلبيات :

الحزام العربى: أوقف توسيع هذا الحزام ولم يشمل المدن كما كان متوقعاً. ولكن لم ترد القرى لأصحابها لحد الآن ومازالوا فى تعداد المهجرين. ولم ترد الهويات التى سحبت من حوالى ١٤٠,٠٠٠ كردى عام ١٩٦٢ .

لقد نشر الأستاذ وانلى دراسة قام بها فى الجزيرة عام ١٩٨٩ تدل على أن تطبيق خطة طالب هلال على أكراد الجزيرة أدت إلى افقارهم اقتصاديا. وأصبح معظمهم عمال مضطرين إلى العمل عند العرب. بعد أن كانوا من أحسن المزارعين الذين جعلوا من الجزيرة صومعة حبوب لسوريا وبالنسبة للحريات السياسية والثقافية فإنها لازالت محدودة جداً، فاللغة الكردية والزى الكردى ممنوعان حتى فى (نوروز) العيد القومى للأكراد .

وحق تكوين الجمعيات والنقابات غير موجود. فالأكراد يطالبون بجرائد ومدارس كردية وجمعيات كردية .

وبحسب تحليل بعض الأكراد، أن الرئيس الأسد يعلم بأن مصير أكراد سوريا مرتبط تماماً بمصير أكراد تركيا وأنه إذا حصل أكراد تركيا على حقوقهم فسينعكس هذا حتماً على وضع أكراد سوريا. ويؤكد هؤلاء أن الرئيس الأسد يعلم أنه ربما اضطرت سوريا أن توافق على إعطاء الحقوق للأكراد فى سوريا.

وهو معروف أيضا أن مقابل ذلك ستجنى مكاسب استراتيجية واقتصادية مهمة خاصة أن تركيا قد أنشأت السدود الكافية للتحكم فى مياه دجلة والفرات اللذين ينبعان من كردستان تركيا ويرويان سوريا والعراق، ولكنه. يعرف أيضاً أن الوضع السياسى فى سوريا ليس مهيئاً لهذه التنازلات الآن .

★★★

المصـــادر :

- پيرى شاليار : «كردستان الغربية – كردستان سوريا بين مطرقة الإرهاب السياسى وسندان الشوفينية» – لندن – ١٩٩٢ .

(مطبوعات لجنة حقوق الإنسان الكردى – لندن) .

- Thomas, Bois: "Connaissance des kurdes" Beyrouth - 1960..

- Rondot, Ph., :" Les kurdes de syrie" Paris 1939..

– Rondot, Ph. :"Les tribus montagnards de lasi Antérieure" - Damas 1937..

- Volney, Constantin :"Voyage en egypte et en Syrie" - Paris 1788-1789..

- Dussaud, R., :"Topographie Historique de la syrie antique et medievale" Paris - 1927..

- Minorsky, V., :"Notes on the kurds under the ayyubis" - London 1953..

الباب التاسع

وضع الأكراد
فى الاتحاد السوفيتى
و
لبنـــــان

أكراد فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) :

كانت بعض المناطق الكردية قد أصبحت جزءاً من روسيا، عام ١٨١٣ عقب معاهدة كلستان بين إيران وروسيا. وكان الأكراد يعيشون فى ولاية «اليزابيث بول». بعد ذلك ضم قسم من الأكراد إلى ولاية «يريڤان» (عاصمة أرمينيا) وفقاً لاتفاقية تركمانشاى بين روسيا وتركيا عام ١٩٠٨. ثم ضم أكراد قارص وأردهان إلى روسيا (وهى مناطق كردية).

بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧، ووفقاً للمعاهدة التى أبرمت فى مارس ١٩٢١ بين الاتحاد السوفيتى وتركيا أعيدت قارص وأردهان إلى تركيا ولم يبق فى الاتحاد السوفيتى سوى آلاف من الأكراد الذين يعيش أغلبهم فى أرمينيا السوفيتية (سابقا) وفى مدينتى تالين وألاكوز.

وتحت حكم لينين كان لهم منطقة يتمتعون فيها بالحكم الذاتى، فى الاتحاد السوفيتى وقد ألغاها ستالين. توجد نتؤات كردية بين جمهوريتى أرمينيا - وأذربيجان ومن أهم هذه النتوءات منطقة لاتشين وهى منطقة حرب الآن بين أرمينيا وأذربيجان. تشجعهم الان الجمهورية الأرمينية بإقامة كيان مستقل فى الجانب الأذربيجانى، حسب علمنا، لا يحبذ أكراد أرمينيا هذه الصيغة فى الوقت الحاضر على الأقل.

يوجد إذن جماعات من الأكراد فى أرمينيا وفى جورجيا وفى مدينة تفليس يوجد حى بأكمله وأغلبهم من الأكراد اليزيديين.

كما يوجد مجموعات من الأكراد فى أذربيجان «لاتشين» أرض كردية بين أذربيجان وأرمينيا - كما توجد مجموعات مهمة فى تركمانستان قرغيزيا وكازاخستان.

أكراد الاتحاد السوفيتى .

الأسباب التاريخية لوجود جاليات فى هذه الجمهوريات السوفيتية سابقا والمستقلة حالياً :

الأكراد معروفون بالشجاعة الجسدية وإتقان فن الحرب والإخلاص للصديق.

فكان الحكام، ولليوم يعتمدون عليهم فى حراسة الحدود وحراستهم شخصيا .

فى القرن السادس عشر أرسلهم الشاه فى الإمبراطورية الفارسية إلى الحدود القوقازية لحراستها. وقد هاجرت مجموعات أخرى من الأكراد إلى الحدود القوقازية فى القرن التاسع عشر فى عام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ هجر أكراد إلى قرغيزيا وكازاخستان.

احتفظ الأكراد فى هذه الأماكن بتقاليدهم وهويتهم الثقافية وكان ومازال شعورهم القومى قوياً وشعورهم بالانتماء إلى الشعب الكردى فى كردستان قوياً.

لهم صحافتهم وإذاعاتهم. «وإذاعة يريڤان» بالكردية فى أرمينيا مسموعة فى جميع أجزاء كردستان. كما أن هناك معاهد لتدريس اللغة الكردية .

وتوجد جريدة «ياتازية» (الطريق الجديد) تصدر منذ ١٩٣٠، ولم تتوقف .

إن أقصى ماواجهه الأكراد فى الاتحاد السوفيتى، كان على يد ستالين شأنهم شأن الشعوب الأخرى، وقد هجر عدد كبير منهم، من مناطق سكناهم، كما أنه ألغى معظم الحقوق الثقافية التى كانوا يتمتعون بها بسبب شعورهم ونضالهم القومى. وعدم انصهارهم فى بوتقة الفكر الستالينى .

ولم يبق لهم غير بضع مدارس هنا وهناك، وبعض الحقوق الثقافية البسيطة وإذاعة يريڤان .

رغم كل ذلك بقى الاتحاد السوفيتى لفترة طويلة مركزاً مهماً يشع منه النشاط الثقافى الكردى، ويتخرج من جامعاته العديد من الأكراد، من أكراد العراق وأكراد سوريا خاصة، وأغلبيتهم تخصصوا فى اللغة والتاريخ والأدب الكردى. نذكر هنا بعض الأسماء المعروفة مثل «كرديف» من مواليد الاتحاد السوفيتى. معروف الخازندار، وعبدالله بيشاور .

كما كان فى موسكو، وفى جامعات أخرى سوفيتية، مراكز للدراسات الكردية. بل إن متخصصين سوفيت قد اشتهروا فى هذا المجال، مازالوا يعيشون للآن فى موسكو مثل لازاريف، وهسرتيان. وقد أنارا القضية الكردية، سائرين على طريق مينووسكى، ونيكتين ومار .

وضع الأكراد فى لبنان :

منذ العهد الإسلامى وفى القرون الوسطى، كانت هناك مستعمرات كردية عسكرية فى الجبل اللبنانى بين العلويين فى عطار بالقرب من طرابلس وفى الشوف، جنوب شرق بيروت، وقد تعرب هؤلاء الأكراد منذ قرون ولكنهم احتفظوا بذكرى أصلهم الكردى. وأشهر مثل لذلك هى عائلة جمبلاط وهو تحريف للاسم الكردى (چان پولاد) أى (الجسم الفلاذى) الذى شارك فى الحروب الصليبية. ففى ١٦٠٧ شارك الأمير سعيد چان بولاد فى كيليس ضد حكم العثمانيين واحتل فعلا حلب لفترة، وعندما أخرج منها عام ١٦٣٠ هاجر مع عائلته الى بيروت، حيث استقبله الأمير فخر الدين الذى منحه الشوف، فيما بعد أصبح ابنه رباح چان بولاد رئيسا للدروز .

لقد حرص، كمال جنبلاط على زيارة الملا مصطفى البرزانى عام ١٩٧١ فى جلالة بكردستان العراق.

أغلب أفراد الجالية الكردية الحالية فى لبنان من الأكراد الذين هاجروا من ماردين وبوتان (كردستان تركيا) بعد فشل الثورات الكردية وبالذات ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥، وتمركزوا فى بيروت منذ العشرينيات والثلاثينيات .

بعضهم هاجر من الجزيرة (فى سوريا، أغلبهم احتفظ بعلاقات عائلية مع أكراد تركيا وسوريا) .

قدر فى ١٩٨٣ تعداد الأكراد فى لبنان بحوالى ٩٠,٠٠٠ أغلبهم فى بيروت بعضهم فى طرابلس والبقاع .

أكراد لبنان سنة وأغلبهم يتكلمون اللغة الكردية .

بالنسبة للتعداد، فكما هو معروف فليس هناك تعداد سكانى فى لبنان منذ ١٩٣٢.

أكثر من ذلك حوالى ٧٠٪ من الأكراد فى لبنان بدون جنسية، ولا يحملون إلا ورقة هوية تجدد كل سنة !

أكثرهم فقراء تجار صغار يشغلون وظائف متواضعة حتى لو كانوا حاصلين على مؤهلات عالية .

ولا يسمح لهم بدخول النقابات، إلا نقابة بائعى الخضر والفواكه، لأن أغلب أعضائها من الأكراد .

السنة فى لبنان يعتبرون الأكراد السنة أكراداً، والمسيحيون يعتبرونهم مسلمين، وبذلك يفقدون أية مكاسب يتمتع بها العرب السنة أو المسيحيون. مع ذلك ليس هناك أى توتر أو أية مشاكل من قبل الأقلية الكردية تجاه الآخرين والعكس صحيح .

بدأ كثير منهم ينخرط فى تنظيمات ويعتبرون أنفسهم امتداداً للتنظيمات السياسية فى كردستان خاصة فى تركيا والعراق .

★★★

المصـــادر :

معظم المعلومات عن هاتين الجاليتين مأخوذة من شخصيات كردية لبنانية وسوفيتية (سابقا) .

ومن منشورات الجاليات الكردية فى أوروبا خاصة المعاهد الكردية فى باريس، لندن،بروكسل الخ...

كذلك من كتابات المحامى الكردى، د. عصمت شريف وانلى. خاصة فى كتابين.

- "Les kurdes et le kurdistan"

تحت إشراف ج – شاليان – باريس ١٩٨١.

- "The Kurds:

- A Contemprory Overviewe" - London - 1992..

الباب العاشر

العلاقات العربية الكردية

علاقة العالم العربى بالحركات الكردية :

فى الفصول السابقة، تعرفنا على الشعب الكردى، وعلى علاقاته مع العرب قبل وبعد الإسلام، وعدم وجود علاقات «صدامية» بين الشعبين العربى والكردى، إلاّ بعد تقسيم المنطقة على يد القوى العظمى بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، حسب مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، بوضعها حدوداً اصطناعية لا تتبع بأى حال من الأحوال الحدود العرقية والدينية التى كانت تعيش داخلها هذه الشعوب منذ زمن طويل، مما أدى إلى وضع بذور الحروب والتقلبات العديدة التى تعرفها وستعرفها المنطقة .

رأينا كيف نشأت الدولة العراقية بضم قوميتين فى إطار دولة واحدة، دون الأخذ فى الاعتبار طموحات الشعبين وإرادتهما ودون أخذ رأيهما مثل تكوين الدولة التى سيعيشان فيها .

فالعرب لم يطالبوا مطلقاً بضم قسم من كردستان إلى دولتهم، كما تشهد على ذلك مراسلات فيصل – ماكمهون. كان العرب يناضلون من أجل إقامة دولة عربية موحدة، فوجدوا أنفسهم مجزئين إلى عشرين دولة، وكردستان قسمت إلى خمسة أجزاء ألحقت بخمس دول مختلفة .

منذ ذلك الحين تطورت العلاقات العربية – الكردية من صدام مسلح (داخل العراق) وتوتر ومصادمات (داخل سوريا) وعدم وجود علاقة بمعنى الكلمة مع باقى الدول العربية والجامعة العربية رغم أن حوالى ٦ ملايين كردى يعيشون داخل الحدود السياسية للعالم العربى – كثير منهم يتكلم العربية، وساهم فى تطور هذه اللغة وظهر منهم كتاب وشعراء لا نذكر منهم هنا إلا أمير الشعراء أحمد شوقى .

قد تكلمنا عن الوضع فى العراق وسوريا، وكذلك لبنان حيث توجد جالية كردية مهاجرة .

وفى هذا الباب سنلقى نظرة عامة، على علاقة الحركة الكردية، مع الأنظمة العربية الأخرى، إن وجدت مثل هذه العلاقة .

يمكن تلخيص هذه العلاقة كما يلى :

ليس هناك علاقة بين الحركة الكردية، فى العراق وسوريا، مع أغلبية الأنظمة العربية وجامعة الدول العربية، وإن وجدت فهى عادة تكون عن طريق «الأجهزة» أى المخابرات لكى تحافظ على سريتها التامة، ولا تأخذ أى طابع رسمى. وهناك استثناء ضئيل جدا : فقد قابل بعض القادة الأكراد رؤساء دول، مثل جمال عبد الناصر عندما قابل الملا مصطفى البرزانى فى أواخر ١٩٥٨ كما قابل جلال الطلبانى فى ١٩٦٣. أما الرئيس الأسد الذى قابله، عدة مرات من قبل وأخيرا جلال الطلبانى ومسعود البرزانى وقادة أكراد آخرون كما قابل الرئيس معمر القذافى أغلبية رؤساء الأحزاب الكردية وخاصة الطلبانى ومسعود البرزانى. ولكن هذه المقابلات التى تمت. أما بالنسبة للمنظمات الشعبية ولأن معظمها تحت سيطرة الأنظمة، فليس لها أية علاقة مع المنظمات الشعبية الكردية، حتى الثقافية منها .

لهذا الوضع الغريب عدة أسباب نلخصها كما يلى :

١ - التعتيم الإعلامى المتعمد: إذا كانت الأنظمة العربية لا تتفق كثيراً، فيما بينها على كثير من المسائل، فإنها تتفق على أن تتحاشى كل منها التطرق إلى مشاكل، ما يطلق عليه «بالأقليات» فكل نظام عنده مشكلته الخاصة به .

ومع أن الكرد فى العراق وفى الدول الأخرى التى تتقاسم كردستان، لا يعتبرون «أقلية» بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة، فلا ينطبق عليهم ماحدث للبربر فى الجزائر (وشمال أفريقيا عامة) وجنوب السودان و لا ينطبق عليهم أيضاً صفة «الأقلية الدينية» فالبربر أسلموا كسائر سكان الجزائر ولكنهم لم يتعربوا مثلهم وجنوب السودان، لم يسلم ولم يتعرب .

بالنسبة للأكراد، لم يدخلوا الحدود السياسية للعالم العربى من الخليج إلى المحيط إلا بعد عام ١٩٢٠ .

أما بالنسبة لمنظور «الأقلية» من الناحية الدينية. فأغلب الكرد مسلمون سنة مثل أغلبية سكان العالم العربى. مع ذلك تضعهم الأنظمة، وكذلك المثقفين

والمفكرين العرب الذين كتبوا عن مشكلة الأقليات، ضمن هذه الأقليات .

نتيجة لهذا التعتيم الكثيف من قبل كل الأنظمة العربية، بدون استثناء، وبما أنه لا توجد ديمقراطية ولا حرية صحافة، فإن رجل الشارع ليس لديه وسيلة لمعرفة الكثير أو القليل عن الشعب الكردى ونضاله .

٢ – نظرة المثقف العربى للكرد :

أما المثقفون العرب، فلا نجد أى مبرر لصمتهم حول كل ماحدث للشعب الكردى فى العراق .

وجدنا فى كتاب «صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج» لإبراهيم محمود تحليلاً معقولاً يقول فيه :

«حتى أكثر المثقفين تقدمية وانفتاحاً يعتبرون الأكراد أقلية عرقية، وفى أقصى الحالات انفتاحاً يعتبر الأكراد ذوى وجود تاريخى فى المنطقة. ولكن لا ينظر إليهم كشعب خضع للشتات السياسى، والتفتيت الجغرافى فى المنطقة. التى تشهد على وجود، كردستان حيث يشار إليهم من خلال الدول التى تضمهم إليها .

ولعل تصوراً من هذا النوع يجعل مسألة فهم الآخر قومياً، والوضع التاريخى له. فهى تحصرهم فى إطار نظرة الدول التى تضمهم إليها – كما قلنا سابقاً – وهذا يعنى أن الأكراد كموضوع لا يخرجون عن إطار نظرة المثقف العربى بكل انتماءاته الفكرية والقومى منه بشكل خاص، إلى مفهوم القومية العربية، وتجسيدها العملى أى الأمة العربية، أو من خلال شعارها المنشود: الوحدة العربية .

ومن هنا توصف كل محاولة كردية قومية الهدف، تطالب بمساواتها بأية قومية أخرى، لها كيانها السياسى الخاص، توصف بالخيانة والتآمر على الأمة العربية والعمل على تفتيتها من الداخل .

سوف لا نسترسل فى تحليل مكونات العقلية العربية التى أدت إلى هذه النظرة السلبية لقومية مضطهدة، عرفت بجانبهم فترات طويلة من الاضطهاد والظلم والتنكيل .

سوف لا نذكر هنا إلا اسمين، يعتبران من أعلام القومية العربية ولقد أثرت كتاباتهم تأثيراً كبيراً فى ملايين العقول العربية، ومن المصادفة أن الاثنين من أصل سورى، ولكن أكبر تأثير لهما كان فى العراق. وهل هى مصادفة أيضاً، أن أفكارهما طبقت فى البلدين العربيتين اللذين بهما قسم من كردستان أى العراق وسوريا .

أقصد ساطع الحصري والرفيق ميشيل عفلق .

ساطع الحصرى الذى هيمن على مقادير العراق الثقافية لمدة ٢٠ سنة (من ١٩٢١ إلى ١٩٤٠) وكان من أقرب المقربين إلى الملك فيصل الأول ملك العراق – وكان مديرا عاماً للتربية والتعليم حاول أن يمحو كل ماهو هوية كردية فى الكتب المدرسية فى العراق. وقد أكد أكثر من مرة أن الوطن العربى يبتدىء من جبال زاجروس (كردستان تركيا) إلى المحيط (أى ضم كردستان تركيا وإيران والعراق وسوريا) .

وقد طرد من العراق لميوله النازية، واشتراكه فى انقلاب رشيد عالى الكيلانى.

أما الرفيق ميشيل عفلق منظر البعث الجناح العراقى. فقد أكد أكثرمن مرة أن الأكراد من أصل عربى ولكن الاستعمار جعلهم ينسون لغتهم. وأكد أيضاً أن الوطن العربى من زاجروس إلى المحيط ولكن يسكنه عدة أقليات، كثير من الأقليات ومن الممكن تهجيرهم الى خارج الحدود إذا خلقوا مشاكل للأمة العربية. وإن كان قد تراجع عن هذا الرأى وقبل بالواقع الكردى وبحقوقه القومية، بعد عام ١٩٦٣ إلى أن وصل إلى الاعتراف بحقهم فى الحكم الذاتى بعد صدور بيان آذار ١٩٧٠ .

لايمكننا هنا الآن أن نذكر الشبه الكبير بين النظرة الشوفينية لهذه النظريات، والفلسفة الكمالية، كما شرحناها فى باب تركيا، والتى ترتكز على أن الأمة التركية لها مهمة كونية، وهى قيادة الإنسانية نحو الحضارة، فالأمة العربية «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» كما يقول شعار حزب البعث، والركيزة الثانية هى «تجانس» الأمة، ولتحقيق ذلك فالإبادة والصهر والتذويب والتهجير هى وسائل

مشروعة وهو مايحدث بالنسبة للأكراد فى تركيا والعراق وسوريا منذ أكثر من نصف قرن .

هذا فيما يخص المثقفين الأكثر انفتاحاً، بل إن المسئولين العراقيين ومعهم بعض من المثقفين العرب والصحفيين، ذهب إلى نعت الحركة الكردية بإسرائيل ثانية، ولنذكر هنا مرة أخرى بعض الحقائق التاريخية .

إن الذى ضم ولاية الموصل الكردية إلى العراق عام ١٩٢٠، هو نفسه الذى انتزع من العالم العربى فلسطين. التى جاءها الملايين من اليهود الصهاينة من سكان أوروبا وبقوا فى فلسطين منذ الثلاثينيات، وطردوا منها سكانها الأصليين واحتلوها .

إن مثل هذه المواقف الشوفينية لبعض العرب، تنزع المصداقية منهم عندما يطالبون بحقوق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى وطنه .

٣ - العلاقات الكردية مع إسرائيل :

لقد أدخلنا هذه الفقرة فى هذا الباب للسبب التالى: كل من سألتهم من العرب، عن الأسباب وراء موقف الأنظمة، والمثقفين، والصحافة السلبى بل والعدوانى، تجاه القضية الكردية، اسمع الجواب نفسه، وقد سمعته من سنوات ومازلت اسمعه، رغم كل ماحدث من تطورات على الساحة العربية - الإسرائيلية. هذا الجواب هو أن الأكراد تعاملوا مع إسرائيل، وهذا مالاتغفره الأمة العربية.

لاينفى أى مسئول كردى أنه فعلا فى فترة الستينيات كانت هناك بعض المساعدات من أسلحة وخبراء تدريب على الأسلحة، كما كانت هناك مساعدات طبية، وقد زار مصطفى البرزانى إسرائيل فى الستينيات للعلاج كما زارتها وفود كردية كما جاء فى كتاب د. فاضل البراك والذى ينشر كل مانشر فى الجرائد الإسرائيلية عن هذا التعاون .

إننا لانبرر هذه العلاقات بأى حال من الأحوال، ولا ننوى الدفاع بأى حال من الأحوال عن الموقف الكردى. ولكن لمستقبل العلاقة بين الشعبين العربى والكردى فإنه من الواجب وضع هذه «التهم» فى حجمها الطبيعى حتى لا تكون هذه بمثابة

«الشجرة التى تخفى الغابة» حسب المثل الفرنسى. طبقا لما نشر عن هذا الموضوع خاصة فى الجرائد الإسرائيلية والغربية متواضعاً - حسب ما نشر كان حجم المساعدات الإسرائيلية صغيرا جداً، هذا الاتصال بهدف الدفاع عن النفس، أمام عدو يشترى أحدث الأسلحة بمليارات البترو دولار، ولقد دارت كل الحروب على أرض كردية، لم يهاجم الأكراد أية رقعة عربية .

واضح جداً من وضع «طيلة فترة التعاون» حسب المصادر الإسرائيلية من الستينيات الى ١٩٧٥ أنهم لم يستفيدوا من مساعدة دولة قوية مثل إسرائيل لتحقيق أى من حقوقهم القومية، أكثر من ذلك ثبت بالأدلة. كما ذكرنا فى أبواب سابقة أن إسرائيل والأمريكى الصهيونى هنرى كيسنجر بمعاونة من شاه إيران هم الذين تعاونوا على القضاء على الثورة الكردية فى ١٩٧٥، بعد اتفاق الجزائر.

فى رأينا، أن العرب الذين يتفاوضون مع إسرائيل من سنوات، ليس لهم الحق فى «اتهام» الأكراد بالتعاون مع إسرائيل الذين كانوا دائماً فى حالة الدفاع عن النفس، وخاصة أنهم أى الأكراد - لم يصلهم أى صوت عربى إلا نادراً جداً، وهم يحرقون بالأسلحة الكيماوية من قبل نظام عربى، ولم يحاول أى نظام عربى آخر، إيقاف هذه المأساة والنزيف المستمر منذ ثلاثين سنة بين شعبى العراق .

فى نظرى، أن الشعب الكردى هو الوحيد الذى يملك الحق فى محاسبة قادته، عما إذا كان من مصلحة هذه الثورة، التعاون مع شعب عدو للشعب العربى الذى يعيش معهم .

الجامعة العربية - والقضية الكردية .

ليس هناك أية علاقة بين الجامعة العربية والحركة الكردية وهذا لسبب واضح، هو أن الجامعة تمثل الدول العربية أى الأنظمة العربية التى سبق أن تكلمنا عن موقفها العدائى أو السلبى .

على سبيل المثال ، قدمت منغوليا طلباً للأمم المتحدة بإدراج القضية الكردية على جدول الأعمال وذلك منذ سنوات، ولكن الكتلة العربية فى المنظمة الدولية حالت دون إدراجه .

إن أول رئيس للجامعة العربية وهو المرحوم عبد الرحمن عزام كان الأول والأخير من رؤساء الجامعة العربية الذى انصف الأكراد، وكانت له نظرة استراتيجية بالنسبة لقضيتهم. فقد صرح فى حديث له عام ١٩٤٣م. لمجلة الهلال قائلاً: - «يجب علينا بذل مزيد من الاهتمام بالإخوان ، أكراد العراق. إن حبى وتقديرى لأكراد العراق فى مستوى حبى وتقديرى لشعبى، وعليهم، ألاّ يتصوروا أن الوحدة العربية، تلحق الأذى بمصالحهم .

إن مستقبل وتقدم العراق، له صلة وثيقة بحل المشكلة الكردية .

يجب على الأمة العربية أن توفر لهم . إمكانية تقرير مصيرهم بحرية ويجب ألاّ تترك المشكلة الكردية فى العراق دون حل » .

الجـــــزائر :

أكد لي السيد جلال الطلباني ، بأنه فى فبراير ١٩٦٣ زار الجزائر وفد عراقى ضم وفداً كردياً وكان ضمنه الشخصية الكردية المعروفة فؤاد عارف. وقد قابلهم الزعيم أحمد بن بلله رئيس الجزائر فى ذلك الوقت. وسمع من الوفد العراقى والكردى عن الوضع فى العراق. فقال للطرفين وخاصة الوفد العراقى: «يجب أن تسرعوا بالموافقة على الحكم الذاتى للأكراد، ولاتضيعوا الوقت والجهد » .

بعد خروجه من السجن، كما أكد لى جلال الطلبانى فإن بلله أرسل للحركة الكردية رسالة يؤيد نضال الشعب الكردى، وحقه فى تقرير المصير، ويشجب فيها بشدة اتفاقية الجزائر ١٩٧٥.

وقد كان الوحيد من الزعماء العرب الذى أصدر بياناً يشجب فيه الحرب الكيماوية على «حلبجة» وقد نشر فى جريدة السفير/ حسب طلبانى.

- بعد ذلك لم يحدث أى موقف جزائرى يذكر فى صالح القضية الكردية، وقد حدث ما حدث فى مارس ١٩٧٥ حول اتفاقية الجزائر التى لعب فيها الرئيس بومدين ووزير خارجيته دورا رئيسياً أدى إلى انهيار الثورة الكردية .

العلاقات الليبية - الكردية .

إن الرئيس معمر القذافى هو رئيس الدولة العربى الوحيد الذى طالب رسمياً، بإقامة دولة كردية مستقلة فى كل أجزاء كردستان، فى العراق - تركيا - إيران - سوريا .

ففى خطابه فى ١٩٨٥/٣/٣ فى طرابلس وقد نشر فى كل الجرائد الليبية والكردية، أكد القذافى على «وجود الأمة الكردية، وحقها فى تكوين الدولة الكردية، إلى جانب الدولة العربية الواحدة» .

وفى ١٩٨٥/٣/٢١ فى مقابلة مع جريدة السفير اللبنانية، قال القذافى : «الأكراد يجب أن يكونوا أمة كردستانية فى تلك المنطقة، وتكون هذه الأمة، شقيقة للأمة العربية، والأمة التركية والأمة الفارسية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم» .

أكد لى عدنان مفتى - الذى كان لمدة طويلة مسئول العلاقات الخارجية للحزب الاشتراكى الكردستانى (كان بزعامة د. محمود عثمان) والذى مثل هذا الحزب فى سوريا، ولبنان، من ١٩٧٧ - ١٩٩٠. «بدأت العلاقات بين الثورة الكردية والنظام الليبى فى بداية ١٩٧٦ وزار جلال الطلبانى ليبيا. وحصل على تأييد ليبيا ومساعدات استمرت إلى أوائل ١٩٨٠» .

وأضاف : «تطور الموقف الليبى وصرح العقيد القذافى بضرورة إقامة دولة كردية، وشبه الأمة الكردية المجزءة بالأمة العربية فى ١٩٨٠ زار وفد كردى من الاتحاد الوطنى الكردستانى ليبيا، ضمن وفد الجبهة الوطنية العراقية (جبهة معارضة) وحصل على دعم مادى وعسكرى كبير للاتحاد الوطنى، وتكررت الزيارات لجلال الطلبانى، كذلك لمسعود البرزانى وللدكتور محمود عثمان رئيس الحزب الاشتراكى ولكن أغلب المساعدات كانت للاتحاد الوطنى» حسب عدنان مفتى «كثير من الأسلحة التى أرسلتها ليبيا إلى الأكراد كانت تحتجز إما فى سوريا، وإما فى إيران، وهما الطريقان الوحيدان اللذان يمكن أن تصل للأكراد منهما مساعدة خاصة من ليبيا» .

يقول المصدر نفسه إنه طرأ تغيير فى الموقف الليبى بعد العدوان الأمريكى على ليبيا وكذلك بعد تغيير مسار الحرب العراقية الإيرانية بعد احتلال إيران لجزيرة الفاو، تبدل الموقف الليبى تدريجيا وأصبح مدافعاً عن العراق .

حتى إن الموقف الرسمى الليبى «شكك فى أن النظام العراقى استعمل السلاح الكيماوى فى مارس ١٩٨٨ فى حلبجة» وقال إنها «مؤامرة صهيونية تستهدف صمود العراق» .

وقد هاجم كثير من الأكراد موقف القذافى .

العلاقات الفلسطينية - الكردية :

كانت توجد فى الماضى علاقات، بين قادة الثورة الفلسطينية والثورة الكردية. فكانت هناك علاقات بين مصطفى البرزانى وياسر عرفات، وكان للبرزانى ممثل عنه فى بيروت وهو الشيخ عزيز شمزينى. كما أن لجلال طلبانى أيضاً، علاقات طيبة مع جورج حبش ونايف حواتمة.

فقد كانت الثورة الفلسطينية تريد أن تستفيد من خبرة المقاتلين الأكراد الطويلة. وقد انخرط آلاف من الشباب الأكراد، سواء من العراق أو من سوريا أو لبنان، فى صفوف المقاومة الفلسطينية، ومات منهم الكثير خاصة فى لبنان .

حسب عدة مصادر كردية، فإن ياسر عرفات حاول عدة مرات، خاصة فى ١٩٧٤ التوسط بين الحركة الكردية وبغداد. ولكن بدون جدوى، فقد كانت بغداد لا تستجيب.

كانت علاقة الاتحاد الوطنى الكردستانى مع الجبهة الديمقراطية (حواتمة) والجبهة الشعبية (حبش) وكان الأكراد يصلهم أسلحة عن طريقهم. وكانت هناك دورات تدريب مشتركة. ولكن اختلفوا بعد أن دخل الاتحاد الوطنى الكردستانى فى مفاوضات مع بغداد فى ١٩٨٤ .

يقول عدنان مفتى، الذى مثل الحزب الاشتراكى مدة طويلة فى لبنان ثم سوريا، إن العلاقات الكردية الفلسطينية تراجعت كثيراً بعد ١٩٨٢، بعد أن ترك الفلسطينيون لبنان، إلى تونس ، ثم بعد أن تطورت

العـلاقات الفلسطينية مع النظام العراقى ، وأصبحت تسانده، كما رأينا فى حرب الخليج .

لم تنقطع العلاقات تماماً، ولكن ظلت ضعيفة وشبه سرية «خوفا من نظام صدام» بالنسبة للفلسطينين و «مراعاة لسوريا» بالنسبة للأكراد .

فى أكتوبر ١٩٨٩ التقى د. محمود عثمان وعدنان مفتى حسب هذا الأخير، بياسر عرفات فى برلين الشرقية، قبيل انهيار الجدار، وخلال احتفالات ألمانيا الشرقية بمرور ٤٠ سنة على نشأتها، واقترح عرفات إقامة حوار هادىء مع النظام العراقى للوصول لاى حل سلمى ووافق د. محمود عثمان باسم الجبهة الكردستانية، بإقامة هذا الحوار ولكن مرّ الوقت دون أية إشارة من ياسر عرفات تدل على أن هناك مبادرة من بغداد، بعد ذلك بشهور اقترح ياسر عرفات بأن يتم لقاء بينه وبين الجبهة الكردستانية .

ورغم اجتياح الكويت من قبل العراق، إلا أن اللقاء قد تم فعلاً، ولكن بين وفد من الجبهة الكردستانية وأحد المسئولين الفلسطينيين، وهو السيد حكم بلعاوى فى أغسطس ١٩٩٠ .

وجرى، حسب عدنان مفتى، الذى كان ضمن الوفد، فى هذا اللقاء، بحث العلاقة بين الشعب الفلسطينى والشعب الكردى .

وصرح لى عدنان مفتى : «أكدنا لهم أنه رغم إقدام العراق على احتلال الكويت، نرى أن الحل المناسب لكل القضايا هو الحل السلمى، عبر الحوار دون اللجوء إلى الحرب. وأكدنا لهم أننا مستعدون للحوار مع بغداد. ولكن لم نسمع منهم شيئاً » .

بعد الانتفاضة ثم الحرب ضد الأكراد فى مارس ١٩٩١ التى تلتها مفاوضات فى بغداد فى يوليو ١٩٩١، كان ياسر عرفات فى زيارة لبغداد، وكان مسعود برزانى يقود وفد المفاوضات الكردى فتقابل عرفات مع برزانى وتمنى له النجاح .

الشعب الكردى لم يفهم إطلاقاً مشاركة الفلسطينيين بجانب قوات صدام حسين فى قمع الانتفاضة الكردية، فى مارس وإبريل ١٩٩١، والذى ثبت بعد وقوع عدد كبير منهم فى أيدى الأكراد أثناء انتفاضتهم. وحسب مصدر كردى موثوق فقد كان هناك أسرى فلسطينيون .

العلاقات المصرية الكردية : منذ الأسرة الأيوبية إلي اليوم .

إن العلاقات المصرية الكردية تختلف تماماً عن علاقات الأكراد بالشعوب العربية الأخرى. والسبب الرئيسى لتلك العلاقة هو أن صلاح الدين الأيوبى، والأسرة الأيوبية الكردية، والتى حكمت مصر. والشام وليبيا واليمن، أكثر من مائة عام، قد تركت آثاراً كثيرة وذكريات فى مصر. كذلك هناك عدد كبير من المصريين من سلالة الأكراد الذين عاشوا فى مصر فى تلك الحقبة. ثم عندما كانت مصر عثمانية. وكان يجىء إليها عبر الجيوش أو الحكام كثير من أكراد الامبراطورية العثمانية .

ولكن بسبب التحريف والتعتيم العربى، على كل ماهو كردى نرى أن أغلب المصريين متأكدون أن صلاح الدين الأيوبى عربى إن لم يكن مصرياً، فالمصريون لا يعرفون أن بينهم كثيراً من الذكريات الكردية .

كثير من المصريين الذين لهم أصل كردى يعترفون به ولا ينكرونه، ولكن الشىء العجيب أن جميعهم بدون استثناء منصهرون تماما فى مصريتهم. ودائما يقول الأكراد فى العراق إن الأكراد لم ينصهروا فى أى مكان إلا فى مصر .

ألم يؤكد أمير الشعراء – وعباس العقاد – ومحمود تيمور – وأدهم وسيف وانلى وقاسم أمين على أصلهم الكردى وهل هناك من هو أكثر منهم مصرية ؟

هل يعلم سكان الزمالك، أن كلمة الزمالك هى كلمة كردية تعنى مصيف الملوك ويقال إنها المكان الذى كان يذهب اليه الملك (فى الغالب فى عصر الأيوبيين) للاصطياف لما كان فيها من حدائق وهل هى مصادفة أن تحمل كثير من شوارعها أسماء من ملوك الأسرة الأيوبية .

ثم من سمع عن هذه الأميرة الكردية، خاتون خان من الأسرة الأيوبية التى وضعت ثروتها فى خدمة العلم والإسلام، وعن طريق وقف خاتون خان ومن مئات السنين يستطيع سنويا عشرات من الأكراد، من تركيا – العراق – إيران – سوريا – الاتحاد السوفيتى أن يدرسوا اللغة العربية والدين والشريعة فى رواق الأكراد فى جامع الأزهر الشريف، وكانوا هم بحق من ضمن من نشروا الرسالة واللغة العربية فى هذه البلاد.

ويطالب الأكراد الآن بإعادة فتح رواق الأكراد الذى قفل من أيام عبد الناصر تحت ضغط بغداد ودمشق ليعود إشعاع الأزهر الشريف مرة أخرى فى ربوع كردستان .

حسب مقابلة صحفية مع ولى العهد الأمير محمد على قال فيها إن الأسرة المالكة، وعلى رأسها محمد على الكبير، من أصل كردى، وهو ولد فى قولة، ولكن أسرته من ديار بكر (كردستان تركيا). وحتى اليوم هناك أشخاص فى ديار بكر يدعون أنهم من سلالة أسرة محمد على الكبير. على كل لابد أنه كانت هناك علاقة دائمة بين الأكراد فى الامبراطورية العثمانية والوالى على مصر. فكان الأكراد معجبون باستقلالية محمد على الكبير ويريدون أن يفعلوا مثله .

عرض كور باشا أمير سوران (كردستان العراق اليوم) فى ١٨٨٣ على إبراهيم باشا عقد معاهدة معه ضد السلطان والباب العالى .

كذلك ساعدت مصر الأكراد أثناء الحكم العثمانى فى إقامة صناعة أسلحة فى رواندوز (كردستان العراق) .

صدرت أول صحيفة كردية من مصر عام ١٨٩٨، من القاهرة باسم «كردستان». صدر العدد الأول منها فى ١٨٩٨/٤/٢٢ .

صار هذا اليوم فيما بعد، عيداً للصحافة الكردية، إذ أصبح حدثاً مهما جداً فى تاريخ الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والكردية .

«كردستان» كانت الجريدة المعبرة عن أيديولوجية الحركة الكردية فى نهاية القرن التاسع عشر، وفى بداية القرن العشرين. أسسها وكان يشرف على تحريرها الكاتب الكردى مدحت بدرخان الذى هاجرت أسرته بعد ثورات عديدة فى كردستان تركيا إلى مصر .

وكانت أعداد الجريدة ترسل إلى كردستان عبر سوريا، وتوزع خاصة فى كردستان الجنوبية .

وفى مصر صدرت أول ترجمة عربية لأهم كتابين عن التاريخ الكردى قام بهما محمد على عونى «شرف نامة» من الفارسية وتاريخ الكرد وكردستان، لأمين زكى من الكردية.

فى عام ١٩٤٥ اشتركت الجماهير الكردية فى بغداد وكذلك أعضاء حزب «رزكارى كرد» (خلاص كردستان) جنبا إلى جنب مع القوى الوطنية العربية فى العراق، فى مظاهرات لدعم الحركة التحررية فى مصر ضد الاستعمار الانجليزى.

وقدموا مذكرة احتجاج ضد «جرائم قوات الاستعمار» والمطالبة مع المصريين بالجلاء التام عن وادى النيل وتعديل المعاهدة المصرية الانجليزية .

أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر، كل الأحزاب الكردية والشعب الكردى تضامن مع مصر، طبعاً بجانب الشعب العراقى كله. وأكد لى جلال طلبانى أنه طرد من المدرسة لأنه شارك فى هذه المظاهرات .

كما أكد لى مسعود البرزانى أن والده مصطفى البرزانى، الذى كان موجوداً فى ذلك الوقت فى الاتحاد السوفيتى، أعلن رغبته فى المجىء إلى مصر مع مقاتليه للوقوف معها فى حربها ضد فرنسا وانجلترا وإسرائيل .

كما أكد لى أن والده أخبره بأنه أثناء مروره من مصر فى طريقه إلى بغداد عام ١٩٥٨، من الاتحاد السوفيتى ومقابلته لجمال عبد الناصر، سأله عبد الناصر مطولا عن خطته فى الهرب مع مقاتليه عبر حدود ثلاث دول معادية. فى عام ١٩٥٧، وبعد لقاءات تمت خارج مصر بين ممثلى الثورة الكردية ومسئولين مصريين خاصة المرحوم كمال رفعت عضو مجلس قيادة الثورة - خصص راديو القاهرة - إذاعة باللغة الكردية كان يديرها المرحوم الشيخ عمر وجدى وهو كردى من ماردين (كردستان تركيا) وكان مسئولاً عن رواق الأكراد فى الأزهر الشريف. عمل بهذه الإذاعة كثير من الطلبة الأكراد أصبح عدد منهم مسئولين كباراً فى كردستان نذكر منهم د. فؤاد معصوم الذى عين أول رئيس وزراء لإقليم كردستان العراق ١٩٩٢ وهو من خريجى الجامعات المصرية .

اضطر شاه ايران فى الوقت نفسه أن ينشىء إذاعة كردية فى كرمنشاه ليرد على الإذاعة الكردية فى القاهرة.

وينقل جلال الطلبانى عن جمال عبد الناصر هذه القصة: «أخبرنا الزعيم عبد

الناصر أن السفير التركى جاءنى محتجا ، عندما فتحنا إذاعة كردية فى مصر فسألته: وهل عندكم فى تركيا أكراد، إنكم تنكرون أن هناك أكرادا، إذن فما هى المشكلة؟ » .

لقد قابل الرئيس عبد الناصر جلال الطلبانى وشوكت عقراوى فى ١٩٦٣ أثناء مفاوضات الوحدة بين مصر - سوريا - العراق .

وقد أخبرنى المرحوم شوكت عقراوى (الذى ظل ممثلاً للثورة الكردية وللزعيم برزانى فى مصر عدة سنوات رغم احتجاجات عبد السلام عارف)، إن عبد الناصر كان يؤكد فى كل مرة على اعترافه بوجود الشعب الكردى. وبوجوب تلاحم الحركتين الكردية والعربية، ضد أعداء الشعب العربى، الكل يؤكد أن عبد الناصر كان مع حكم ذاتى للأكراد، ولكن على شرط ألاّ يؤدى ذلك إلى الانفصال، وهدد بأنه مستعد للقتال بجانب العراق فى حالة الانفصال. أكد لى أخيراً جلال الطلبانى صحة هذه المعلومات كما ، أكد لى الأستاذ محمد حسنين هيكل أن مصر فعلا زودت العراق بالسلاح والذخيرة على شرط أن يبدأوا المفاوضات مع الأكراد بعد شهر على أكثر تقدير ولكن كان يحاول بكل قواه أن يقنع عبد السلام عارف ثم عبد الرحمن عارف بوجوب حل المشكلة الكردية سلمياً، وكان يعبر صراحة عن خطورة الحرب ضد الأكراد التى تستنزف القوى العراقية دون جدوى. .

يؤكد فلك الدين كاكائى عضو المكتب السياسى «للبارتى » عن أحد الحاضرين فى هذه المحادثات أن الرئيس عبد الناصر قال وهو ينظر الى الأفق «سيأتى يوم تكون هناك دولة كردية متوسطة بين العرب من جهة والفرس والترك من جهة أخرى» .

أكد لى الأستاذ محمد حسنين هيكل، وهو شاهد على كل ماحدث فى تلك الفترة أن «عبد الناصر كان يعترف بالخصوصية الكردية وكان يريد أن تترجم هذه الخصوصية إداريا وثقافيا . كان أيضاً ضد الحرب ومع الحل السلمى لهذه المشكلة فى العراق .

يذكر لى فلك الدين كاكائى أن جريدة «حريت» التركية كتبت فى ١٩٦٣/٤/٢٤ (أى أثناء محادثات الوحدة ومقابلة عبد الناصر للوفد الكردى) محتجة: «يوجد حالياً خطر حقيقى، ألا وهو إمكانية خروج القضية الكردية من العراق، خارج إطار هذا البلد، وأن تأخذ طابعاً دوليا. وتدل الوقائع على أن الحكم الذاتى للأكراد فى العراق سيتم بإصدار عبد الناصر. وطبيعى جدا أن عبد الناصر ينوى تشكيل بؤرة خطر على الحدود التركية وتوسيعها فيما بعد» .

ويضيف كاكائى أن القلق نفسه ظهر فى إيران. وقد اجتمع فعلاً، حسب المصدر نفسه، أعضاء حلف السنتو فى يوليو ١٩٦٣ فى أزمير (تركيا) وأعدوا خطة لتدخل إيران وتركيا ضد أكراد العراق. أطلق عليها اسم «النمر» لإبادة الشعب الكردى.

ولكن فى ١٩٦٣/٧/٩ وجه الاتحاد السوفيتى انذاراً إلى هذه الحكومات (العراق - سوريا - تركيا - إيران) يحذرهم من أى عمل ضد الأكراد .

على كل، إن معظم الأكراد يكنون الحب والاحترام لعبد الناصر حتى أولئك الذين يؤكدون أنه كان يقوم بذلك من منطلق تكتيكى، وأنه كان يؤمن بحق تقرير المصير للأكراد. هناك كثيرون وعلى رأسهم جلال الطلبانى ومسعود برزانى يؤكدون أنه كان صادقا فى تأكيده على حق الأكراد فى الحكم الذاتى، وأنه كان له نظرة استراتيجية تجعله متأكدا من عدم تناقض القوميتين العربية والكردية بل وجوب مساندة الواحدة للأخرى. يؤكد الاثنان على أنه كان أولا وقبل كل شىء زعيما قوميا عربيا .

أكد لى الأستاذ هيكل فى هذا الخصوص: «أنه فعلا فى البداية اهتممنا بالقضية الكردية نكاية فى نورى السعيد، ثم تعرفنا على الأكراد وقيادتهم وأصبحت مساندتنا لهم عن قناعة.» فى عهد الرئيس أنور السادات لم تكن هناك علاقة متواصلة بين الحركة الكردية ومصر .

كان فؤاد معصوم ممثلا للثورة الكردية فى مصر من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥ أثناء دراسته فيها .

ولكنها كانت علاقات شكلية وحتى بعد كامب دافيد، ومؤتمر بغداد الذى تصدره النظام العراقى والذى أبعدت أثناءه مصر، عن كل ماهو عربى، لم تتطور العلاقة مع الحركة الكردية. فمصر كانت مشغولة تماما فى قضايا الحرب والسلم منذ ١٩٦٧ .

فى عهد الرئيس مبارك - لاتوجد أية علاقة حسب علمنا إلا على مستوى صغار الدبلوماسيين المصريين فى الخارج مع ممثلى الحركات الكردية. بالنسبة للدول العربية الأخرى، فليس هناك علاقات تذكر .

العلاقات العربية الكردية بعد .

اجتياح الكويت .. حرب الخليج:

كما رأينا فى باب سابق، كيف أن بعد تحرير الكويت من قبل قوات الحلفاء، وغياب السلطة فى بغداد لبعض الوقت، ورجوع الجنود عبر البصرة، والجنوب ساعد على تفجر انتفاضة فى جنوب العراق استمرت أكثر من أسبوع، تلتها تلقائياً انتفاضة فى مدينة رانية فى شمال العراق، سرعان ماأشعلت كل كردستان وحرر المقاتلون الأكراد والشعب الكردى كردستان كاملة بما فى ذلك مدينة كركوك .

ثم كيف لم يساند الحلفاء المنتفضين جنوباً وشمالاً، وحتى وسطاً بهدف الإطاحة بالنظام العراقى، أكثر من ذلك تركوا هذا الأخير يقضى بوحشية على هذه الانتفاضات .

نزح ، نتيجة لذلك، ملايين الأكراد نحو الحدود التركية. أسفر ذلك، وبضغط من الرأى العام العالمى ورجل الشارع فى أوروبا وأمريكا، على إقامة منطقة حماية على قسم من كردستان بموجب القرار ٦٨٨ لمجلس الأمن. ويجدد منذ ذلك الحين وكل ستة أشهر مد الحماية التى تؤمنها قوات الحلفاء من قواعد عسكرية فى تركيا .

فى هذه المساحة التى حددت إلى الخط ٣٦، وهى تمثل ٦٥٪ . قسم من كردستان استطاع الأكراد فى ظل الحماية تكوين كيان كردى شبه مستقل، له

مؤسساته وله برلمانه وله حكومته وله جيشه، وأيضا له علاقاته الدولية.

حصل هذا الكيان على شبه اعتراف من أمريكا - أوروبا - وحتى تركيا. ويستقبل قادته من رؤساء الدول .

يوجد إقليم كردستان العراق - داخل الحدود السياسية لدولة العراق - واختار برلمانه أن تكون علاقة هذا الإقليم بالحكومة المركزية فى العراق ومع باقى شعب العراق العربى، أن تكون العلاقة فيدرالية والتى أعلنها فى أكتوبر ١٩٩٢ بعد انتخابات حرة، بشهادة مراقبين دوليين، فى أبريل من السنة نفسها .

الجبهة الكردستانية التى تمثل أهم الأحزاب الكردية هى عضو مهم فى جبهة المعارضة العراقية (التى تضم بعض فصائل من المعارضة العراقية) ومركز هذه المعارضة هى مدينة صلاح الدين .

موقف الدول العربية من الكيان الكردى ومن جبهة المعارضة العراقية :

إن أقل مايقال هو أن موقف الدول العربية والجامعة العربية متناقض ومن الصعب فهمه .

فمعظم الدول العربية اشتركت بجانب الحلفاء ضد النظام العراقى الذى اجتاح الكويت، والتصريحات الرسمية لهذه الدول، تكرر منذ ١٩٩٠ التصريح نفسه «نحن تحالفنا فقط لتحرير الكويت وليس لإسقاط صدام» .

أى أن هذه الأنظمة لا يعنيها، كل المأساة التى يعيشها الشعب العراقى قاطبة، فى الوسط والجنوب والشمال، عربى وكردى، سنى وشيعى، مسلم ومسيحى، هذا الشعب الذى يعيش تحت حصار غير انسانى منذ اغسطس ١٩٩٠، ناهيك عن ثمانى سنوات حرب مع ايران، و ٣٠ سنة مع الأكراد .

من هذا المنطلق فالأنظمة العربية تتجاهل تماماً المعارضة العراقية، نعم إنها لاتمثل كل فئات الشعب العراقى، ولكن هل من السهل تكوين معارضة متجانسة فى يوم وليلة؟ بعد عشرات السنين من القهر والقتل والسجن لأى صوت معارض!

أليس من واجب هذه الأنظمة وواجب الأحزاب العربية أن تحتضن هذه المعارضة الناشئة وتساعده فى تجميع صفوفها .

ولكن هل من الممكن لأنظمة هى نفسها تنهشها انقسامات حادة أن تقوم بمثل هذا العمل .

بالنسبة للكيان الكردى فى العراق :

كل التصريحات الكردية الرسمية تؤكد رفضها للانفصال. الكل موافق على هذا الشىء، وأولهم القادة الأكراد فمسعود برزانى وجلال طلبانى لايفوتون فرصة إلا ويؤكدون على تصميمهم على عدم الانفصال، لأنهم يعرفون قبل غيرهم أن هذا الشىء غير ممكن إقليمياً ودولياً على الأقل فى الوقت الحاضر .

هل يعاقب الأكراد على أحلامهم؟ نعم إن كل كردى يحلم من مئات السنين بدولته المستقلة، مثل مايحلم الفلسطينى بفلسطين من البحر الى النهر، ولكن الحلم حلم والواقع هو الحقيقة .

وقد وافقت المعارضة العراقية، وفصائل أخرى من خارجها على صيغة الفيدرالية داخل دولة العراق .

فى اعتقادى أن الاستمرار فى تجاهل مايحدث فى المنطقة من تغيرات، والاستمرار فى تجاهل الكيان الكردى، والمعارضة العراقية، سيؤدى حتماً إلى الانفصال خاصة وإن الأحداث تجرى وتلهث فى تركيا بالنسبة لوضع الأكراد .

هذا الموقف السلبى ليس فى صالح العرب ولا الأكراد. فالمنطقة يعاد تخطيطها على ضوء الزلازل التاريخية التى حدثت على المستويين العالمى والإقليمى.

التاريخ هو الآخر لم يعد يسير فى الطريق البطىء بل هو الآخر يسير ويتقدم بسرعة فائقة تتناسب مع العصر. ومن لايسرع الخطى ليلحق بالقطار سيفوته، وبالتالى يخرج من التاريخ .

- المصـــــادر :

- جمال عمر نظمى : "فكر ساطع الحصرى القومى » بيروت ١٩٨٦ .

- جمال الدين الألوس : «ساطع الحصرى رائد القومية العربية» بغداد ١٩٨٦.

- ميشيل عفلق : «أحاديث الأمين العام الرفيق ميشيل عفلق» - بغداد ١٩٦٩.

- ابراهيم أحمد : «الأكراد والعرب » بغداد ١٩٣٠ .

- ابراهيم محمود : «صورة الأكراد عربيا بعد حرب الخليج» دمشق - ١٩٩٢.

- د. عبد الحسين شعبان : «المحاكمة : المشهد المحذوف من دراما الخليج» - لندن ١٩٩٢ .

- Hourani, Albert :"Arab Political Though"

- Rondot, Pierre :" La nation Kurde en Face des mouvements arabes" Paris - 1958..

- Al-khalil, Samir : "Iraq, La machine infernale" Paris 1991..Paris

- Yadh Ben Achour : "Le nationalisme arabe Sans Peur" Paris 1991..

الباب الحادى عشر

نظرة مستقبلية ـ
سيناريوهات محتملة

١ - مقدمة :

حاولنا فى الأبواب السابقة، إعطاء صورة عن وضع الشعب الكردى، فى الماضى والحاضر، فى الدول التى تتقاسم كردستان. ثم عرضنا تطور المسألة الكردية، بعد حرب «الخليج» وكيف كانت إقامة إقليم كردستان على جزء من العراق، له حكومة، وبرلمان، ومؤسسات، من بين النتائج التى أسفرت عنها هذه الحرب.

وكما رأينا فقد اختار إقليم كردستان صيغة الفيدرالية للتعامل مع النظام المركزى فى بغداد، أياً كانت طبيعة هذا النظام، فى إطار الدولة العراقية بحدودها السياسية المعترف بها. وقد كان ظهور إقليم كردستان العراق، والظروف التى أدت إلى ذلك وأهمها، زحف حوالى ٢ مليون كردى إلى تركيا وإيران (إبريل ١٩٩١)، وبقاؤهم شهوراً عديدة فى مخيمات فى كردستان تركيا وكردستان إيران، قد أعطى دفعة قوية للحركات الكردية فى تركيا، بصورة خاصة وفى إيران أيضاً. وتطورت الأحداث فى تركيا إلى درجة أنها بدأت تتحول إلى حرب أهلية وتهدد سلامة تركيا وأمنها ووحدتها .

سنحاول فى هذا الباب :

أولاً : أن نستعرض، بإيجاز - بغرض التذكير فقط - أهم التغييرات الجذرية التى طرأت على المنطقة، بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وحرب الخليج، بكل ماأسفرت عنه من نتائج، عالمياً وإقليمياً، كنهاية الوضع الراهن إقليمياً الذى ساد منذ ٧٥ عاماً، وانقلاب معايير القوى، وبروز القوتين الإقليمتين الآسيويتين، إيران وتركيا، وكذلك ومع الأسف الشديد، تهميش الدور العربى، بسبب انقساماته الخطيرة.

أما بالنسبة للشعب الكردى، فكانت أهم النتائج بالإضافة إلى ماذكرنا أعلاه أن برزت قضيته على الساحة الإقليمية والدولية، وفرضت نفسها على قائمة المشاكل التى تهدد بشدة استقرار المنطقة، والتى تتطلب حلاً معقولاً .

ثانياً : سنحاول بعد ذلك، استعراض الاتجاهات التى بدأت تتضح بعض ملامحها، والتى يطلق عليها أسماء مختلفة لهدف واحد هو: «إعادة تخطيط المنطقة».. «النظام الإقليمى الجديد» أو «النظام العالمى الجديد»... إلخ.

بعد ذلك سنحاول تقديم، مستندين إلى تقارير غربية، ودراسات استراتيجية مستقبلية، وتحقيقات ميدانية للمنطقة بعد زيارتى لتركيا (أكتوبر ١٩٩٢)، وخاصة المنطقة الكردية، ومقابلة المسئولين فى الحكومة التركية، وزيارة إقليم كردستان العراق، سنحاول تقديم سيناريوهات محتملة لتطور القضية الكردية، فى كل من العراق، وتركيا، وسوريا، وإيران، وتأثير ذلك على وضع العالم العربى.

أهم نتائج التغييرات الجذرية لانهيار الاتحاد السوفيتي علي المنطقة :

اختل التوازن الذى أوجده وجود قطبين فى العالم، وقد أصبحت هناك زعامة أحادية، هى الولايات المتحدة ووراءها العالم الغربى، تأمر وتنهى من منطلق واحد: هو تأمين مصالحها فقط. حتى إذا كان ضد مصلحة حلفائها الأوروبيين .

فقد أثبتت واشنطن، فى فلسطين، والبوسنة، والعراق، والصومال، وأمريكا اللاتينية، وأوروبا، أنها لاتعمل كزعيمة، وحكم غير منحاز، بل كدولة عظمى تأمر وتنتظر أن تطاع، وما تصريحات الرئيس كلينتون فى يوليو ١٩٩٣ حول «إخفاء كوريا» إذا لم تطع إلاّ أوضح تعبير عن الأسلوب الأمريكى الجديد الذى تحول من «كاوبوى» إلى «رامبو» .

كان العالم العربى عامة من أ كبر الخاسرين من هذا الوضع، فقد كان وجود القطب الآخر سنداً لايستهان به، فقد وقفت موسكو بجانب العرب، رغم أن معظم الأنظمة العربية (ماعدا عدن) كانت تضطهد الشيوعيين فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ وإنذار بولجانين وقد سلحت وأعادت تسليح كثير من الدول العربية، خاصة مصر، وسوريا بعد هزيمة ١٩٦٧. وقد تم العبور المصرى فى ١٩٧٣ بالسلاح السوفيتى هذا عن مواقفه بجانب القضايا العربية فى المحافل الدولية وخاصة مجلس الأمن.

من جهة أخرى، أدى انهيار الاتحاد السوفيتى إلى ظهور ١٥ جمهورية مستقلة، منها ٦ جمهوريات إسلامية .

هذه الجمهوريات بثرواتها الطبيعية، وبثقلها البشرى (حوالى ٦٠ مليون نسمة) وموقعها الاستراتيجى (تبدأ من روسيا إلى الصين) خرجت من إطار «الكتلة الاشتراكية الشرقية» ودخلت إطار العالم الآسيوى الإسلامى غير العربى وبالتالى انتقل مركز ثقل العالم الإسلامى من قلب العالم العربى - الذى كان استرده بعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣ - إلى قلب اسيا، هذه المرة .

من ناحية أخرى، فجر بروز هذه الجمهوريات مجالات واسعة أمام أطماع إيران وتركيا .

فالأولى لها حدود مشتركة مع هذه الجمهوريات، وروابط ثقافية قوية معها. والثانية لها روابط عرقية ولغوية وثقافية، ولكن ليس لها مع هذه الدول «التركمانية» حدود مشتركة. كما أنها لم تكن فى يوم من الأيام، داخل نطاق الامبراطورية العثمانية، حتى فى أوج توسعاتها.

لم تظهر بعد ملامح سياسة هذه الكتلة الصاعدة، تجاه العالم العربى. ويبدو واضحاً أنه إذا أراد العالم العربى، أن يكسب هذه الكتلة المهمة إلى جانبه، أو على الأقل تحييدها لإيجاد التوازن مع إيران وتركيا، فإن عليه بذل مجهود كبير، وذكى للوصول إلى هدفه .

أهم نتائج التغيرات الجذرية إقليمياً لحرب الخليج:

لقد كتب عن حرب الخليج ونتائجها عشرات بل مئات من الكتب والتقارير.

نذكر فقط، أن أخطر نتيجة على العالم العربى كانت تعميق انقسامه إلى درجة أنه، وبعد مرور ثلاث سنوات على اجتياح الكويت، ظلت هذه الجروح مفتوحة، ولم يتحسن الوضع قيد أنملة .

ونتيجة ذلك أنها قد شلت حركة العالم العربى ككل، والدول العربية كدول، عن أخذ أية مبادرة فى أى موضوع مطروح على الساحة العالمية: القضية الكردية - البوسنة والهرسك - الصومال إلخ، حتى القضية الأساسية للعالم العربى فلسطين - تهمشت وتجزأت، ولا يبدو أى حل مرض لها فى مستقبل منظور .

حتى النفط، السلاح الوحيد الفعال الذى كان فى يد العرب، سيطرت عليه أمريكا، وأحكمت قبضتها عليه، لتحفظ سلامة تدفقه، ونقله، واستقرار أسعاره، حسب مصالحها، أى لا شىء أصبح يهدد «أمن النفط» فواشنطن سوف لاتسمح ببيع النفط العراقى، إلا إذا خدم السياسة الاقتصادية الداخلية للرئيس كلينتون.

انعكس ضعف العالم العربى وتهميش دوره، عربياً وإسلامياً، على القضية الفلسطينية، وغيرها كما شجع تركيا «منافس» العرب فى المنطقة، على تهديد العرب فى مصادر مياههم وتعطيشهم أو زعزعة استقرارهم وأمنهم حسب تصريحات مسئولى المنطقة.

سنقدم فى هذا الباب السيناريوهات المحتملة فى العراق، تركيا، سوريا ثم إيران .

أ - السيناريو المحتمل فى العراق :

كما ذكرنا سابقاً، أن من أهم نتائج حرب الخليج، بالنسبة للقضية الكردية، هى بروز هذه القضية على الساحة الإقليمية والدولية. هذا بعد أن نجحت الأنظمة التى تقتسم كردستان ولسنوات عديدة، فى حصرها فى نطاق مشكلة «وطنية داخلية» لكل هذه الدول .

أدى ذلك إقامة كيان كردى، على قسم من كردستان العراق له مؤسساته: حكومة وبرلمان. اختار هذا الأخير فى ١٩٩٢/١٠/٤ الصيغة الفيدرالية فى إطار الدولة العراقية .

السيناريو الأول المحتمل :

استمرار صدام حسين فى حكم العراق، أو استبدال شخص آخر به، من أتباعه، أو بمعنى آخر: استمرار النظام الحالى:

هناك احتمالان :

الأول: (وهذا فى رأينا احتمال ضعيف جداً، وشبه مستحيل، أن يقبل صدام حسين بصيغة الفيدرالية للأكراد بعد أن يصل الطرفان، العربى والكردى إلى

اتفاق حول النسبة التى ستخصص من مداخيل البترول للإقليم الكردى، وكذلك حل الخلافات حول حدود هذا الإقليم خاصة كركوك - وسنجار - وخانقين. وكذلك أن يعيد نظام صدام الآلاف من المفقودين الأكراد، منهم ثمانية آلاف من البرزانيين إذا كانوا أحياء، أو على الأقل إعادة جثثهم إن كانوا وقد قتلوا وهذا هو الأرجح .

إن صدام حسين يحاول بكل الوسائل جلب القادة الأكراد إلى مائدة المفاوضات وهدفه واضح كالشمس، فإذا نجح فى ذلك فإنه سيضرب عدة عصافير بحجر واحد، أولا : سيعزز موقفه داخليا وإقليميا ودولياً - ثانياً : ستنقسم صفوف الأكراد، فكثير منهم، إن لم تكن الأغلبية الساحقة، فقدوا تماماً كل ثقة بهذا النظام ووعوده. ثالثاً : إن ذلك سيقضى تماماً على جبهة المعارضة العراقية، التى يكون الطرف الكردى فيها عنصراً أساسياً.

حتى لو توصل الطرفان عن طرّيق المفاوضات، وهذا شبه مستحيل، الى اتفاق يؤكد على الصيغة الفيدرالية، فإن استمرارها مستحيل، إن لم يقم فى بغداد حكم ديمقراطى فعلاً، يجمع ممثلين عن كل فئات الشعب العراقى. ونحن نرى أن من المستحيل أن يستطيع صدام حسين أو أحد أتباعه أن يتحول إلى ديمقراطى فى يوم وليلة .

ولكى تنجح هذه الصيغة، يجب فى رأينا إعادة بناء الدولة العراقية من جديد، على أسس جديدة، تحقق التوازن بين مكونات الشعب العراقى التعددى، وفقاً للمبادىء الديمقراطية، كحق تقرير المصير، واحترام حقوق الإنسان والمشاركة فى القرار السياسى، وتداول السلطة ودون ذلك لا يمكن أن تستمر الوحدة العراقية فى داخل حدودها السياسية .

وبقاء العراق بتركيبته الحالية، أى دون انتخابات وبرلمان إلخ، لايمكن إلا أن يفرز الديكتاتورية مثل ماحدث طيلة السبعين سنة الماضية .

الاحتمال الثاني:

أن يستمر صدام حسين أو أحد أتباعه فى الحكم، ويرفض مطالب الأكراد، وخاصة الفيدرالية .

النتيجة، وهو ماقد بدأ يحدث فعلاً تدريجياً، هو الانسلاخ التدريجى لإقليم كردستان فى الواقع من العراق.

والغريب أن الذى ساهم فى إسراع هذا الانسلاخ، القرارات المجحفة التعسفية، قصيرة النظر التى اتخذها النظام العراقى ضد الشعب الكردى.

- أول قرار كان منع دفع رواتب ١٥٠ ألف موظف من الأكراد، فى إقليم كردستان وبالتالى قطع آلاف من الأكراد إداريا ومادياً عن باقى العراق، وتم ذلك عن طريق سحب جميع الإدارات الحكومية من الإقليم.

- بعد ذلك أعلن حصاراً مشدداً على الإقليم، الذى أصبح يعانى من حصار مضاعف، دولى وعراقى، كما قطع الكهرباء والماء وكافة الخدمات التى تربط الإقليم بباقى العراق.

وأخيراً وليس آخراً، سحب الورقة النقدية من فئة ٢٥ ديناراً من التداول، والتى طبعت فى سويسرا، ولم يسمح للأكراد مثل باقى المواطنين العراقيين أن يستبدلوا بها العملة الجديدة. وقد خسر الأكراد أكثر من مليار دينار، مما زاد فى إفقار الشعب الذى يعانى من أزمة اقتصادية خطيرة.

تغيير أرقام السيارات فى القسم العراقى الخاضع للنظام. يعنى ذلك عمليا، فصل إقليم كردستان سياسياً وإدارياً واقتصادياً عن باقى العراق .

نعم لقد تحقق الهدف السريع لصدام. أى مضاعفة الأزمة الاقتصادية فى كردستان، بهدف قيام انتفاضة كردية ضد القادة الأكراد، مما سيخلق وضعاً، غاية فى الخطورة فى المنطقة، سوف لا يكون النظام الحالى المستفيد قطعياً منه، كما يعتقد ولكن من جهة أخرى كان نتيجة لذلك الوضع أن اتجه الأكراد تلقائياً. نحو تركيا وإيران وأصبح اقتصاد هذه المنطقة، التى تسبح على كنوز من الثروات الطبيعية، كما رأينا فى أبواب سابقة، يرتبط تدريجياً بالاقتصاد التركى إلى حدّ كبير، والاقتصاد الإيرانى إلى حدّ ما، أى انه يبتعد تدريجيا عن المجال العربى،

بنفطه ومائه ومحاصيله الزراعية الوفيرة. (*) .

السيناريو الثانى :

ينجح نظام ديمقراطى، يمثل جميع فئات الشعب العراقى، فى الإطاحة بنظام صدام فى العراق .

سيستمر إقليم كردستان الفيدرالى، داخل إطار الدولة العراقية، كما أكد ذلك القادة الأكراد عشرات المرات، لكل قادة العالم الذين استقبلوهم فى السنتين الماضيتين أى لا انفصال عن العراق ولا تنازل عن الصيغة الفيدرالية .

إذن، وفى اعتقادنا، أن الرجوع إلى عراق ماقبل حرب الخليج، سواء بصدام أو بدونه، شبه مستحيل. أى أن بعد سقوط صدام حسين، سوف لايقبل الشعب العراقى بكل فئاته، عرباً، وأكراداً، سنة وشيعة، بحكم مركزى يحكم العراق بالحديد والنار وينفرد باتخاذ قرارات مصيرية، ضد مصلحة الشعب العراقى بكل فئاته. وهذا بالإضافة إلى أن الدول الغربية وبالذات أمريكا، ودول الجوار (دول الخليج - إيران - تركيا) سوف لا يسمحون بعراق قوى عدوانى ومتهور، كما حدث فى السنوات الماضية .

فى اعتقادنا أيضاً، ونتيجة لما ذكرناه سابقاً فإن العائق الذى كان يمنع الأنظمة العربية من التعامل أو التحاور مع ممثلى الحركة الكردية، فى العراق، قد أزيل إلى حد كبير، إما بانسلاخ الإقليم الكردى عن العالم العربى (أى الرجوع إلى ماقبل ١٩٢٠) إذا استمر النظام الصدامى، وإذا مااستمر العالم العربى فى تجاهله لهذه القضية الحساسة. أو إذا جاء على رأس العراق حكم ديمقراطى يسمح بالفيدرالية داخل حدود العراق، ستزول المشكلة القائمة بين الأنظمة العربية، تجاه المشكلة الكردية فى العراق .

لهذا نرى أنه حان الوقت ولمصلحة كل شعوب المنطقة، من كرد وعرب، أن تقوم الأنظمة العربية بإعادة النظر فى موقفها تجاه الشعب الكردى، لا فى العراق

(*) رغم كل الحروب على أرض كردستان، ووجود حوالى ٢٢ مليون لغم زرعها صدام فى أرضها، زرع الأكراد أراضيهم لدرجة أنه يوجد فائض من القمح، لايجد من يشتريه بسبب ندرة السيولة النقدية، وأيضا الحصار على العراق وكردستان .

فقط، بل فى تركيا، وإيران، وسوريا، وأن تساهم فى إيجاد حل معقول، يساهم فى استقرار المنطقة، بالإضافة إلى الحد من تصاعد الهيمنة الإيرانية والتركية، كما أنه سيساهم إلى حد كبير فى خروج السياسة العربية من جمودها وسلبيتها. كما أنه على الشعب الكردى، الذى يعتب بشدة، على الأنظمة والمثقفين العرب سكوتهم، بل أحيانا تبريرهم، لحرب الإبادة التى شنها ضده النظام الصدامى، أن يفرقوا بين الأنظمة والشعوب، فالشعوب العربية هى شعوب مقهورة من أنظمتها، والدليل أنها وقفت عاجزة أمام مأساة شعب الصومال، وهى دولة عربية عضو فى الجامعة العربية، وشعب البوسنة والهرسك، وهو شعب إسلامى باسم «التنقية العرقية» إلخ..

إن حواراً صريحاً، شعبياً ورسمياً ضرورى جداً، لتنقية الأجواء وإزالة سوء التفاهم الذى تراكم على مدى السنين، هذا الحوار يجب أن يمهد لتعاون، اقتصادى - سياسى - ثقافى. بين الشعب العربى والشعب الكردى. يوجد أكثر من ستة ملايين كردى فى (العراق - وسوريا) يتكلمون العربية بجانب اللغة الكردية بل ويساهمون كما ساهموا فى الماضى، فى تطويرها وإغنائها، يمكن أن يكونوا جسراً متيناً بين العالم العربى من المحيط إلى الخليج. وبين قلب أسيا والقوقاز.

يجب الإسراع فى اتخاذ هذه الخطوات، فالأحداث فى المنطقة تتلاحق بسرعة فائقة. فمثلاً الأحداث فى تركيا بالنسبة للقضية الكردية تتطور بسرعة خيالية، تحتم حلا فى زمن منظور، وإذا وجدت المشكلة الكردية فى تركيا حلاً ما، فإن الحل فى سوريا سيتبع بسرعة لارتباط أكراد سوريا بتركيا، وسينعكس ذلك بشدة على الوضع فى إيران. فغياب الدور العربى وعدم مساهمته، رغم عدم وجود أسباب موضوعية لذلك، سيفقد العالم العربى ورقة من أهم الأوراق على مائدة إعادة تخطيط المنطقة، مما سيكرس ويعمق تهميش الدور العربى سياسياً. كما أنه سيعزل العالم العربى اقتصاديا عن واحدة من أغنى المناطق، والتى مازالت بكراً، حيث حرمت الحكومات المتقاسمة لكردستان، هذه المناطق من التطور الاقتصادى (*)

(*) فى كردستان العراق لا يوجد إلا أربعة مصانع صغيرة جداً للأسمنت، والنسيج والسجائر والمياه المعدنية، رغم كل الإمكانيات والثروات الموجودة فى المنطقة، كذلك الحال فى تركيا وإيران وسوريا.

تطور الحركة الكردية فى تركيا :
سيناريوهات محتملة

مقـــدمـة :

تطورت وتتطور المشكلة الكردية، فى تركيا تطوراً سريعاً ودراماتيكيا منذ عام. ولكنها أخذت منعطفاً خطيراً للغاية، منذ شهر يونيو ١٩٩٣ سيؤدى حتماً، حسب رأى معظم المتخصصين - إن لم يظهر «ديجول» تركى أو «تورجوت أوزال» آخر يفرض «سلام الشجعان» - إلى حرب أهلية خطيرة تهدد سلامة تركيا ووحدتها .

كما ذكرنا فى الباب الخاص بتركيا، بعد الحرب التى شنها الجيش التركى بمعظم قواته، ضد أعضاء «حزب العمال الكردستانى» ودخوله فى أكتوبر ١٩٩٢ بدباباته إلى إقليم كردستان العراقى، لملاحقتهم وبمساندة أكراد العراق، لكى يوقف «الكردستانى» هجماته على تركيا من قواعده فى العراق، أعلن عبد الله أوجلان رئيس «الكردستانى»، بعد تدخل من قادة أكراد العراق وبالذات جلال الطلبانى، الذى لعب دوراً مهماً فى هذا المجال، وقف إطلاق النار من جانب واحد. فحسب معلومات موثوقة حصلنا عليها. كان من شروط الرئيس الراحل «تورجوت أوزال» للبحث عن حل إطلاق النار، ثم جدد أوجلان مدة وقف إطلاق النار (كانت شهراً) ثلاث مرات على أمل أن تقدم الحكومة بعض التنازلات والحقوق. خاصة وأن اعلان وقف إطلاق النار، قد أثار جدلاً واسعاً، لم يكن متوقعاً فى المجتمع التركى. وكشف هذا الجدل، أن المشكلة الكردية أصبحت على رأس هموم رجل الشارع التركى. كما ظهر أن هناك تحولاً مهماً فى مواقف أغلبية الأحزاب، والتى كانت ترفض إدراج هذه المشكلة فى جدول أعمالها بحجة أنه «ليس هناك أكراد وبالتالى ليس هناك مشكلة كردية» فقد طالب العديد من هذه الأحزاب بضرورة إيجاد حل. وظهر أيضاً أن حوالى ٦٥٪ من الرأى العام التركى مستعد لتقديم تنازلات لحل المشكلة الكردية . (*) .

(*) الصحافة التركية طيلة هذه الفترة خاصة TURKISH DAILY NEWS

طيلة وقف إطلاق النار، استمرت بعض الأجهزة التى لم تعد السلطة السياسية تسيطر عليها، فى استفزازاتها وقتل المدنيين من الأكراد فى القرى (*) كذلك ارتباك الوضع بعد الموت المفاجىء «تورجوت أوزال» فى إبريل ١٩٩٣ وكذلك اعتقاد المؤسسة العسكرية، المسيطرة على القرار السياسى فى تركيا، أن إعلان وقف إطلاق النار من جانب أوجلان، دليل على ضعف الحركة، خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٩٢، كل ذلك منع السلطة من اقتناص فرصة تاريخية لوقف النزيف وإحلال السلام وإيجاد حل معقول .

وفاجأ «الكردستانى» العالم عندما قام فى يونيو ١٩٩٣، بأكثر من ٢٠ عملية اقتحام سلمى من نساء وأطفال أكراد لسفارات ومكاتب تركية فى ٢٠ مدينة أوروبية، فى فرنسا، ألمانيا، سويسرا.. إلخ وحتى استراليا، لم يأخذوا رهائن، بل احتلوا هذه السفارات والمكاتب، وانحصرت مطالبهم فى التحدث إلى وسائل الإعلام عن وضعهم فى تركيا، لم يقتل إلا متظاهر كردى عندما اطلق «دبلوماسيون» أتراك من داخل السفارة فى برن (سويسرا) النار على المتظاهرين. مما أحدث أزمة خطيرة بين أنقرة وبرن، بعد طرد ثلاث «دبلوماسيين» أتراك من سويسرا .

قبيل هذه العمليات الجريئة، كانت جميع الأحزاب الكردية فى تركيا بما فيهم القسم الكردى «لحزب الله» والذى كان فى بداية الأمر صنيعة الأجهزة التركية، وقد قام فعلاً بتصفية الكثير من أعضاء «الكردستانى» ومؤيديه، قد نجحت فى تكوين جبهة موحدة واحتفالا بقيام هذه الجبهة أقيمت مسيرة ضمت من ١٠٠ إلى ١٢٠ ألف شخص، جابت شوارع «بون» (ألمانيا) فى أواخر شهر مايو ١٩٩٣. (إذ يوجد أكثر من مليون كردى من تركيا فى أوروبا الغربية) .

إن هذه المسيرة الضخمة، التى أجمع عليها المراقبون، بأنه من النادر حتى أيام حرب ڤيتنام، أن استطاعت حركة تحررية، أن تجمع مثل هذا العدد فى مسيرة فى أوروبا، وكذلك العمليات الجريئة فى ٢٠ مدينة أوروبية فى الوقت نفسه لدليل واضح على أن هذه الأحزاب وبالذات «الكردستانى» أصبحت لها قاعدة شعبية واسعة داخلياً وخارجياً، كما أن لها جهازاً تنظيمياً قوياً .

(*) وقد أوقف عن العمل عدد من المسئولين، حسب تصريحات ديميريل فى الصحف التركية .

تضاعفت عمليات «الكردستانى». داخل تركيا، فبالإضافة إلى ضرب السياحة، فى تركيا، فإنها استهدفت حافلات الجنود والضباط الأتراك، والذين تضاعف عدد القتلى بينهم بصورة ملحوظة، حسب البيانات التركية الرسمية، كل ذلك أثبت قوة التنظيم واتساع القاعدة الشعبية التى تسند هذه العمليات داخلياً، رغم بطش السلطات والأجهزة التركية منقطع النظير .

السيناريو المحتمل :

من الصعب أن تتوقف فجأة أو فى زمن منظور حلقة الرعب، والقهر والاضطهاد التى يولد الإرهاب الذى يصعد القهر، فالجانبان يستعملان أساليب وحشية للغاية، يذهب ضحيتها كثير من الأبرياء والأهالى الآمنين فى كردستان خاصة، وقد وضعوا تحت المطرقة التركية والسندان «الكردستانى».

فتكوين أيديولوجية السلطة الكمالية التى مازالت تسيطر على القرار السياسى، والتى تحمى حماها المؤسسة العسكرية، تحتاج إلى أكثر من «صدمة كهربائية» قبل أن تتقبل «البراجماتية» السياسية التى كان قد بدأ فى تنفيذها الرئيس الراحل «تورجوت أوزال»، والذى أثبت فعلاً أنه فتح عدة ثغرات فى «الايديولوجية» الكمالية لا بخصوص المشكلة الكردية فقط بل لعدة مسائل أخرى يكفى وصيته لدفنه على الطريقة الإسلامية، والتى استدعت قراراً وزاريا خاصاً (*).

إن تصريحات رئيسة الوزراء الجديدة السيدة تانسوتشيلى(*) والتى أدهشت الطبقة السياسية فى تركيا، تدل على انحيازها التام للمؤسسة العسكرية. إذ قالت إنها أقامت علاقات ممتازة مع العسكر «وأنهم راضون عنى» وحرصت على التأكد على احترام «المحرمات الكمالية التى كان الرئيس الراحل تورجوت أوزال قد سعى إلى تحطيم كثير منها. وأعلنت «لا» قاطعة للحقوق الكردية واعتبرت أن بثاً تليفزيونياً باللغة الكردية هو خطوة نحو تجزئة تركيا» مما جعل كثيراً من الصحف التركية والعالمية تعتقد أن انقلاباً عسكرياً قد حصل فعلا، ولكن بطريقة

(*) يقال إن قبرة يجلب عدداً يفوق الزوار الأتراك لقبر كمال أتاتورك .

(*) الصحافة التركية وخاصة جريدة «حريت» فى الأسبوع الأول من يوليو ١٩٩٣ .

سلمية وراء قناع رئيسة الوزراء الجميلة، وأن الحل العسكرى هو الاختيار الحالى لرئيسة الوزراء التركية .

التشدد التركى، سيقابله تشدد كردى. فالجبهة الكردية تطالب بصيغة فيدرالية. وهو الحل الذى توصلت إليه جميع الأحزاب. فالحزب «الكردستانى» تنازل عن المطالبة بالاستقلال فى حين قبلت أحزاب كانت تطالب بحقوق ثقافية ولا مركزية إدارية، بالصيغة الفيدرالية .

تصريحات رئيسة وزراء تركيا «الحياة ١٩٩٣/٧/٩» بوعد بالتخلص من جميع أعضاء الحزب «الكردستانى» مع نهاية ١٩٩٤ . (*)

الاحتمالات هى :

السيناريو الأول : قد تنجح فعلاً السلطة التركية فى القضاء التام على الحركة الكردية جسدياً، قبل نهاية ١٩٩٤ حسب تصريحات المسئولين، وهذا مانستبعده تماماً لسبب بسيط، أن السلطة التركية لم تكف طيلة السبعين سنة الماضية (أنظر باب تركيا) عن محاولات بدون جدوى لوضع حد نهائى لهذه الحركات بالتهجير والتذويب والقتل .

هذا الوضع سيسفر عن اتساع رقعة الحرب الأهلية الموجودة حالياً، على كل أجزاء تركيا. وربما وهذا مرجح جدا، أن ينضم إلى جانب الأكراد كل الغاضبين على السلطة، مثل اليسار التركى المتطرف والمعتدل وأيضاً «الإسلاميون» المتطرفون خاصة الشيعة منهم بالذات بعد مجزرة «وربنة شيفاز» وربما بعض الأقليات غير التركية (مثل اللاز) .

وبما أن حسب اعتقادنا، وحسب ماأثبته تاريخ الحركة الكردية فى تركيا والعراق وإيران. فإنه من المستحيل أن تحسم القضية الكردية فى تركيا عسكرياً، لا من قبل السلطات التركية، ولا من قبل المقاتلين الأكراد. فإن الجانبين مضطران فى وقت ما أن يجلسا إلى مائدة المفاوضات. هذه ستؤدى فى الحد الأدنى إلى حقوق ثقافية وفى الحد الأقصى تؤدى إلى فيدرالية، أو حتى استقلال حسب معايير القوى فى هذا الوقت وكذلك الوضع الإقليمى والدولى .

(*) جريدة «الحياة» اللندنية بتاريخ ١٩٩٣/٧/٧.

السيناريو الثانى :

صحوة مفاجئة للشعب التركى لمنع الحرب الأهلية، وتغيير جذرى فى الطبقة الحاكمة التركية وظهور «ديجول» تركى أو «تورجوت أوزال» آخر والتوصل إلى حل قبل تدهور الوضع وانتشار الحرب الأهلية .

فى اعتقادنا أن هذا الاحتمال وارد ولكنه ضعيف جداً فى الحاضر . (★)

لعل قسما كبيراً من الرأى العام العربى قد فوجىء بما يحدث فى تركيا، خاصة بعد مجزرة مدينة «شيفاز» حين هاجم، أواخر شهر يونية ١٩٩٣ «المتطرفون الإسلاميون» الفندق الذى كان به مؤتمر الكتاب أتراك برئاسة الكاتب «عزيز نسين» الذى ترجم «آيات شيطانية» لسلمان رشدى، إلى التركية وقتلوا أكثر من ٤٠ كاتباً وفناناً شيعيا، وجرحوا أكثر من ٧٠ آخرين (★) .

القسم الأعظم من الرأى العام العربى، وجزء كبير من الرأى العالمى كان يعتقد أن تركيا تسيطر تماماً على كل تناقضاتها الداخلية: خاصة القضية الكردية – الصحوة الإسلامية – الوضع الاقتصادى إلخ ....

كان الغرب، إلى وقت قريب، يعتقد أن تركيا يمكن أن تكون الدولة الشرقية العلمانية الحديثة. التى يريدها كنموذج للجمهوريات الإسلامية حديثة العهد بالاستقلال، بأمل أن يمنعها من اختيار النموذج الإيرانى .

واضح أن الغرب قد تراجع فى إسناد مثل هذا الدور لتركيا، بعد تفجر مشاكلها الداخلية، من جهة وبعد أن أثبتت الجمهوريات الآسيوية أنها لا تريد نموذجاً مفروضاً عليها، بل إنها قادرة على اختيار طريقها بنفسها، كما سنرى فيما بعد .

كى نستطيع أن نستشف الدور الذى فى مقدور تركيا أن تقوم به فى المنطقة،

(★) اتضح أن لبعض الأجهزة التركية ضلعاً كبيرا فى هذه العملية حسب ماكتبت الصحف التركية وقد أقيل عدد كبير من المسئولين فى البوليس بعد هذا – «الحياة».. وحسب رأى المحللين أن تركيا تريد إيهام الغرب أنها تواجه مشكلة تطرف إسلامى، لا مشكلة كردية، ليساعدها .

(★) انظر مقالنا فى جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٢/٩/٥ بعنوان «تطور القضية الكردية فى ظل الغياب العربى » .

نظرا لإمكانياتها البشرية والاقتصادية والجيوسياسية، نحاول أن نستشف، هل فى إمكانها السيطرة على تناقضاتها، وخاصة القضاء على الحركة التحررية الكردية، فسنقدم نبذة عن إمكانيات تركيا الاقتصادية، ثم نقدم مسحاً سريعاً للوضع فى الجمهوريات الإسلامية، لمعرفة ما إذا كان من الممكن أن تقبل بقيادة تركيا واتخاذها كنموذج .

قد يبدو ذلك خارجاً عن موضوعنا، ولكن فى الحقيقة هو ليس كذلك، لأن فى اعتقادنا أنه لو نجحت تركيا فى أن تقود هذه الجمهوريات وتصبح، عن طريق اتحاد أو وحدة على رأس كتلة بشرية لأكثر من ١٢٠ مليون نسمة أى أن تحقق «تركيا الكبرى» فإنها ستصبح قوة إقليمية عظمى، فى هذه الحالة فقط ستستطيع التغلب على كل مشاكلها وبالذات القضية الكردية .

الوضع الجغرافى السياسى المميز لتركيا:

تركيا جسر بين أوروبا وآسيا الصغرى، وجسر بين آسيا ودول البحر الأبيض المتوسط وجسر بين الغرب والعالم الإسلامى. مساحتها حوالى ٧٨٠,٠٠٠ كم^{٢} منهم ٢٤/٠٠٠ كم^{٢} فى القارة الأوروبية .

لها حدود مشتركة فى الشمال مع جمهوريتى جورجيا وأرمينيا فى الشرق مع إيران فى الجنوب مع العراق وسوريا فى الغرب مع اليونان وبلغاريا. تبلغ هذه الحدود ٢٧٥٣ كم. طول سواحلها ٨٣٣٣ كم على البحر الأسود - ١٥٧٧ كم على البحر الأبيض المتوسط - ٢٧٠٥كم على بحر إيجه - ٩٢٧كم على بحر مرمرة - ١٧٢كم على مضيق الدردنيل و ٩٠كم على مضيق البوسفور.

أعطاها وضعها الجغرافى الفريد وسيطرتها على اثنين من أهم المضايق المائية البسفور والدردنيل مكانة خاصة ومهمة على الخريطة الإقليمية والدولية.

زاد من أهميتها بالأمس حدود مشتركة مع الاتحاد السوفيتى سابقاً، واليوم ارتباطها عرقيا مع الجمهوريات الإسلامية، وهم من أصل تركمانى، يتكلمون لغة لها نفس أصل اللغة التركية، رغم أنها تختلف عنها اليوم. كما أن هناك أكثر من مليون شخص من أصل تركى فى بلغاريا وقبرص ومقدونيا وألبانيا واليونان. أى

أن هناك حزاما تركمانياً شبه متواصل (إلا من الأكراد، والأرمن وهم ليسوا من أصل تركى) من البلقان الى الصين (شينشيان) .

هذا الوضع الجيو سياسى المتميز، غذى دائماً طموحات القادة الأتراك على مر الزمن، وقد نجحوا فعلاً ولعدة قرون (من ١٤٠٣ إلى انهيار الامبراطورية فى ١٩١٨) فى إقامة امبراطورية كبرى عثمانلية وليست طورانية (أى تجمع مختلف الأديان والأجناس) توسعت على مر السنين إلى أن وصلت إلى النمسا فى أوروبا (١٥٣٤) والجزائر (١٥٢٠) مروراً بمصر (١٥١٧) وقسم من شبة الجزيرة العربية إلى اليمن جنوبياً، ثم العراق (١٥٣٤) ثم جورجيا شمالاً .

العجيب كما ذكرنا سابقاً أن الجمهوريات التركمانية الإسلامية لم تدخل فى حدود الامبراطورية العثمانية، حتى فى أوج توسعاتها، ورغم أن العنصر التركى استقر فى المنطقة منذ القرن السادس ميلادى. والذى بدأت روسيا القيصرية فى احتلالها مع بداية القرن الثامن عشر .

على أنقاض وأشلاء هذه الامبَراطورية، تلك الأشلاء التى تقاسمها الحلفاء حسب اتفاق سايكس - بيكو السرى، نجح مصطفى كمال المشهور بأتاتورك فى تأسيس دولة، أرادها حديثة علمانية على النمط الأوروبى، بهدف إلحاقها بأوروبا وإدارة الظهر تماماً كلياً لآسيا، والعالم، الشرقى الإسلامى، رغم أن ٩٨٪ من الأتراك مسلمون. ورغم أن أتاتورك لم يستطع تحرير تركيا إلا بمساندة الأقليات غير التركية، خاصة الأكراد بعد أن وعدهم فى المقابل بإقامة دولة تركية - كردية. وكيف سحب كل الوعود عند فوزه ١٩٢٣ (انظر باب تركيا) .

ولكى يستبدل بالولاء للعثمانية (الذى دام ستة قرون) الولاء لتركيا، كان عليه أن يفرض أيديولوجية شوفينية ميجالومانية (جنون العظمة الوطنية) ليعوض الأتراك عن فقدانهم لعظمة الامبراطورية المنهارة .

بالنسبة للكمالية: «الوصول إلى الحضارة (يقصد فى العالم) هى مهمة الأمة التركية، هذه المهمة يقوم بها النخبة، عن طريق حزب واحد منصهر فى الدولة - والدولة منصهرة فيه » .

واضح أن أتاتورك استوحى الكثير من أفكار موسوليني وستالين، ولأن هذه الأيديولوجية لا تكفى فقد جعل من التعصب الشديد للوطن التركى سداً ضد تقسيم الدولة ودواء ضد ماتركته الهزيمة من آثار .

أدت هذه «الأيديولوجية» التى تريد أن تمحو الماضى والحاضر، بين الشرقى والغربى، بين الإسلامى والعلمانى ؟

ومع تطور الوضع فى تركيا التى تنازلت عن الخط الأرثوذكسى للكمالية، مثل تعدد الأحزاب ومن ضمنها حزب إسلامى، السماح بالشعائر الدينية علناً إلخ.. وهناك توتر مستمر بين النظرية الكمالية وبين الواقع السياسى للشارع التركى، النظرية تؤمن المؤسسة العسكرية استمرارها، تحاول الطبقة الحاكمة تسيير الواقع السياسى سواء بالانحياز إلى الجيش، مثل رئيسة الوزراء الحالية، أم المحاولة لإيجاد حلول للمشاكل، عن طريق «البراجماتية» كما مارسها تورجوت أوزال .

هذا الوضع أوصل تركيا إلى أنها تعيش اليوم أزمة هوية خطيرة، ووضعها فى مأزق ناتج عن طموحاتها غير الواقعية، كالانضمام إلى «نادى الأغنياء» الأوروبى، أو إقامة «تركيا الكبرى» من البلقان إلى الصين .

بالنسبة للاتجاه نحو أوروبا منذ نشأة الدولة التركية الحديثة، فله أسبابه. طالما كانت لها حدود مشتركة مع العدو التاريخى أى الاتحاد السوفيتى، لم يكن أمام تركيا إلا خيار واحد، ألا وهو الاتجاه نحو أمريكا وأوروبا .

فالخوف والتهديد من الامبراطورية الشمالية، سواء كانت قيصرية، أم سوفيتية كان دائماً من قرون، فلم يكن يوجد إذن مفر من التحالف مع العدو اللدود للاتحاد السوفيتى أى الولايات المتحدة والغرب .

تلاقت المصالح، فقد وجدت الولايات المتحدة والغرب أن تركيا، يمكن أن تكون الدرع الجنوبى للحلف الأطلسى الموجه ضد موسكو، والذى يستطيع، بقفل المضايق منع وصول أساطيلها إلى المياه الدافئة .

استفادت تركيا مادياً وسياسياً من الحرب الباردة أكبر استفادة. إذ أصبحت أهم القواعد التى ترتكز عليها الاستراتيجية الغربية ضد الاتحاد السوفيتى وبالتالى انهالت عليها المساعدات المالية، بداية من مشروع مارشال الذى خصص لإعادة بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية - منذ ذلك الوقت وتنهال عليها المساعدات والأسلحة المتطورة .

ولأنها أصبحت أهم ركيزة فى نظام أمن الجناح الجنوبى للحلف الأطلسى (ناتو) أنشأت على أرضيها العديد من القواعد العسكرية، وأهم شبكات الاتصال والتجسس التابعة للغرب. وكانت تزود مخابرات الغرب بحوالى ٣٠٪ من المعلومات الخاصة بالاتحاد السوفيتى، حسب نشرات الناتو .

بالإضافة إلى منع الأساطيل السوفيتية من الوصول للمياه الدافئة بقفل المضايق، فإنها كانت تستطيع منع مجالها الجوى والبرى على القوات السوفيتية، ومنعها من الوصول الى منطقة الخليج حيث أكبر مخزون بترولى فى العالم .

وهكذا كانت تركيا، ومازالت، الدولة الوحيدة التى تجمع بين عضوية «الناتو» وعضوية المؤتمر الإسلامى .

ولكونها ليست جزءاً من الصراع العربى الإسرائيلى، فلها علاقات وثيقة وعضوية مع إسرائيل. ألم تمر أسلحة ومعدات لإسرائيل أثناء الحروب العربية الإسرائيلية فى ١٩٦٧و ١٩٧٣ عبر الأراضى التركية، من القواعد الأمريكية الموجودة بكثرة عليها . وأثناء حرب لبنان ١٩٨٢ .

فلا عجب إذن فإن لب الأيديولجية الكمالية، وبسبب الظروف التى ظهرت فيها، موجهة أصلا ضد العرب وضد الإسلام، وضد كل ماهو شرقى واسيوى، بعكس تركيا العثمانية، فيما يخص الإسلام .

مع ذلك نجحت تركيا فى تكوين علاقات جيدة مع معظم الدول العربية والإسلامية.

تضاعفت أهمية الدور التركى بالنسبة للغرب بعد اختفاء شاه ايران. فأصبحت تركيا هى شرطى المنطقة. وشاركت كما كانت تفعل إيران فى إخماد «الحركات التحررية» التى يعتبرها الغرب وأمريكا موجهة ضد مصالحه مثل ظفار .

تركيا فوق البركان

هل انتهى دور تركيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى

من الواضح، وحسب رأى الخبراء الغربيين، أن الدور الذى لعبته تركيا منذ نشأتها (١٩٢٣) إلى انهيار الاتحاد السوفيتى (١٩٩٠) قد انتهى من حيث طبيعته ودرجة أهميته. هذا لا يعنى إطلاقاً أن أهمية تركيا كقوة إقليمية ذات جيش يصل الى مليون جندى فى موقع استراتيجى غاية فى الأهمية، قد ضعفت أو انتهت. من المحتم أنه سيكون لها دور مهم ومؤثر فى المنطقة ولكن طبيعته ستختلف وأهميته إما ستتضاعف أو ستتضاءل حسب قدرتها على حل المشاكل الخطيرة التى تواجهها فى الداخل .

فى السابق كان الغرب وأمريكا بالذات، لا تقبل أى تزعزع فى استقرار تركيا، أى وضع أمن حلف الأطلسى فى خطر، اليوم هناك «تطبيع» لعلاقة تركيا بالغرب، من جهة أخرى فتح لها الوضع الجديد مجالات واختيارات أخرى .

فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وجدت تركيا نفسها ولأول مرة ومنذ قرون، بدون حدود مشتركة مع ألد أعدائها التاريخيين، أى روسيا سواء كانت قيصرية أو سوفيتية .

كما أنها وجدت نفسها محاطة بخمس عشرة جمهورية مستقلة حديثاً، منها ست جمهوريات خارجية خاصة بها .

الجمهوريات الإسلامية (خمس منها فى آسيا الصغرى وهى تركمانستان – أوزبكستان – كازاخستان قيرغيزيا – طاجكستان) وأذربيجان فى القوقاز .

جميع هذه الجمهوريات يتكلمون لغة من مجموعة اللغات التركية (ما عدا طاجكستان التى تتكلم الفارسية) .

أنعش هذا الوضع المفاجيء طموحات تركيا «الطورانية» القديمة والتى كان قد دفنها كمال أتاتورك فى سبيل إنقاذ تركيا وانتشالها من بين أنقاض الامبراطورية العثمانية. إذ كان أتاتورك يؤكد أن من أهم أسباب انهيار الامبراطورية هو عدم الولاء والتركيز على القومية التركية (مما يفسر شوفينية الكمالية على العرق التركى) وتشتيت الإمكانيات داخل امبراطورية مترامية الأطراف.

رغم تحفظ الحكومة والجيش تجاه الطموحات الطورانية، وهما حماة الكمالية، الأيديولوجية الرسمية، فإن الرأى العام التركى، تحمس لها حيث تفجرت أحلامه الدفينة. وقد زاد فى انتعاشها نجاح البلغار ذوى الأصول التركية (١٠٪ من سكان بلغاريا) فى تكوين مجموعة سياسية لها وزن على الساحة السياسية البلغارية.

كذلك تأجج الشعور الوطنى التركى بسبب حرب أرمينيا ضد أذربيجان (التركية الأصل) كما تأجج الشعور الإسلامى ضد مايحدث فى البوسنة والهرسك.

فكما رأينا أن الترتيبات الجيوسياسية التى هيمنت على المنطقة منذ أكثر من قرنين،قد اختفت فجأة، فارضة بذلك حسابات سياسية واستراتيجية جديدة تماما.

إذا كانت تركيا وإيران وأفغانستان لم تعد لهم حدود مع الاتحاد السوفيتى السابق وأصبح لهم جيران جدد، لا زالت سياساتهم ونواياهم وتطورهم الاقتصادى غير واضحة فانعاسكات هذا التغيير الجذرى على تركيا كانت ومازالت أكبر وأعمق.

وفر صعود هذه الجمهوريات إلى المسرح الدولى، بإسلامها ومواردها الطبيعية وثقلها البشرى (٦٠ مليون) ومشاكلها العرقية والحدودية وكذلك انفتاح أبواب البلقان حلبة جديدة للنشاط السياسى والاقتصادى والثقافى التركى.

ولكن هذا الوضع، إذا كان يعطى تركيا ولأول مرة فى تاريخها الحديث

اختيارات عديدة ومجالات لنشاطاتها واتجاهات عديدة لتطورها، فهو فى الوقت نفسه يضطرها لتوزيع اهتماماتها وإمكانياتها فأى من الاتجاهات الذى ستختار، يتعارض مع الآخر وأى من هذه الاتجاهات (نحو أوروبا؟ نحو آسيا؟ نحو البحر الأسود؟ نحو البلقان؟ نحو البحر المتوسط؟) غير مؤكد نجاحه فى تأمين مصالحها على الأقل فى الأمد القريب، وسيتطلب من أنقرة ، إمكانيات بشرية ومالية ضخمة لانعتقد أنها فى حدود إمكانياتها .

فالاختيارات المفتوحة أمام تركيا هى :

١ - السوق الأوروبية : منذ سنوات عديدة وتركيا تدق باب أوروبا بدون جدوى ورفض آخر طلب لها. وعليها ألاّ تتوقع أن يعاد النظر فى طلبها قبل عام ٢٠٠٥، حسب تصريحات عدة لوزير خارجية تركيا، حكمت تشين، كما أعلموها أن اقتصادها لم يصبح بعد على المستوى المطلوب (رغم أنه ليس أضعف من اقتصاد اليونان والبرتغال وأن ثلث تركيا فى الجنوب الشرقى (أى المنطقة الكردية) متأخر اقتصاديا إذ إن البطالة ٧٠٪ كذلك نسبة الأمية .

آخر تقرير خاص بتركيا، صادر عن مجلس أوروبا الغربية (*) يؤكد «أن الوضع الحالى فى المنطقة الكردية غاية فى الخطورة، ويهدد أمن وسلامة الأراضى التركية». وإذا كان التقرير يؤكد على أن السلطات التركية تقهر بعنف لامثيل له الإرهابيين، وتستعمل وسائل بعيدة كل البعد عن احترام حقوق الإنسان.

ويضيف التقرير بأن من المستحيل على تركيا أن تحل المشكلة الكردية بهذه «الطريقة الدموية القهرية». ويطالب أعضاء المجلس الأوروبى «السلطات التركية بحل المشكلة سلميا، عن طريق المفاوضات وإعطاء الحقوق الثقافية والحكم الذاتى للمنطقة الكردية، كما كانت تركيا قد وعدت بذلك» .

وطالب التقرير الحكومات الأوروبية بضرورة حث تركيا على السير فى هذا الاتجاه. منذ شهور تضع نشرات المنظمات الإنسانية، وبالذات «منظمة العفو الدولية» وغيرها، تركيا على رأس قائمة الدول التى لا تحترم حقوق الإنسان .

(*) وثيقة رقم ١٣٤١ - بتاريخ ١٩٩٢/١١/٦ - باريس .

كما أن منظمة «صحافيون بلا حدود» أصدرت فى مايو ١٩٩٣ ملفاً خاصاً بتركيا ويوغسلافيا السابقة ووصفتهما كأكثر الدول التى قتل فيها صحفيون، بسبب بحثهم عن الحقيقة ونشرها. ففى تركيا حسب هذا الملف، اغتيل عام ١٩٩٢، اثنا عشر صحفياً كردياً (لم يقتلوا برصاصات طائشة أثناء عمليات حربية) بل اغتيلوا على يد السلطات التركية، كما تأكد ذلك. وآخر من اغتيل فى سبتمبر ١٩٩٢ هو الصحفى والكاتب الكردى المشهور موسى عنتر وكان يبلغ من العمر ٧٥ سنة. ولم يكن يستعمل إلا قلمه للتعبير عن آرائه

إذن فالأمل ضعيف جداً فى نظرنا، أن تقبل تركيا فى المجموعة الأوروبية قبل سنوات. فبالإضافة إلى ماذكرناه سابقاً، الاقتصاد وحقوق الإنسان، فهناك عائق نفسى كبير، وهو أن تركيا بلد إسلامى وآسيوى فى نظر أوروبا، رغم كل مجهود أتاتورك، وقد حضرت كصحفية اقتصادية فى وكالة غربية عالمية اجتماعاً أوروبياً خاصاً بطلب انضمام تركيا لأوروبا على جدول الأعمال للخمس سنوات القادمة، وسمعت بإذنى عدد من المسئولين يكررون هذه الجملة :

«إن تركيا ليست دولة أوروبية ، إنها دولة إسلامية آسيوية لماذا نقبلها فى المجموعة الأوروبية» وفعلاً سوف لا ينظر طلبها إلا بعد عشر سنوات .

٢ - **الاختيار الآسيوي** : كى تستطيع تركيا قيادة الشعوب التركية الآسيوية فى الجمهوريات الإسلامية، فى حالة ما إذا كانت هذه الشعوب قابلة ومرحبة بمثل هذه القيادة، فإن على تركيا أن تكون قادرة عسكرياً ومادياً وبشرياً على أن تحمى مسلمى البوسنة والهرسك من حرب إبادة دائرة رحاها من شهور عديدة، أن تكون قادرة على أن تحمى أذربيجان (التركية) من أرمينيا التى تشن ضدها حرباً شرسة من سنوات. تركيا لم تستطع أن تحمى أذربيجان ضد الأرمن والروس الذين يساعدون الأرمن الأرثوذكس، وكانت نتيجة ذلك أن سقط رئيس آذربيجان الموالى لتركيا فى يونيو ١٩٩٣ وكان آخر أمل لها فى اكتساب آذربيجان بجانبها. كذلك لم تقدم مايذكر بالنسبة للبوسنة والهرسك. هل هى صدفة أن يركز الصرب والكروات ضرباتهم للمدن الرمز التى أسلمت على يد

العثمانيين، وكانت من درر الإمبراطورية العثمانية، سراييفو، كوسوفو.. الخ وهدم المساجد والمآذن

هل تستطيع تركيا أن تحمى أو أن تمنع عشرات الاضطرابات العرقية والقومية القائمة، والتى ستنفجر لا محالة فى كثير من الجمهوريات الإسلامية، حيث وضعت الإدارة السوفيتية فى عهد ستالين كل بذور عدم الاستقرار الاضطرابات عند رسم حدودها المصطنعة؟

تركيا لم تستطع حماية اذربيجان ولا البوسنة والهرسك. كذلك سيكون من شبه المستحيل عليها حسب إجماع المحللين، القيام بكل هذه المهام، خاصة وأنها مستنزفة بشرياً واقتصاديا من حربها مع الأكراد، حسب قول المحلل الأمريكى المعروف جراهام فولر: الذى أكد أنه: «لو غيرت تركيا سياساتها تجاه اكراد تركيا وأعطتهم بعض الحقوق تمخض ذلك عن نفوذ تركى كبير عند أكراد المنطقة وبالذات فى إيران.» وبعد وقوع آغادات الاستراتيجية تركيا تطالب بقوات دولية فى آذربيجان .

لقد وصف وزير خارجية تركيا «حكمت تشين» فى مجلة الناتو فى عدد أبريل ١٩٩٢، وضع تركيا بأنها على «فوهة بركان» قائلاً: «لقد انتقلت المنطقة الخطر من شرق أوروبا نحو الشرق والجنوب الشرقى للقارة». ويضيف «تركيا تلاحق هذه المنطقة الملتهبة، كما أنها ليست بعيدة عن منطقة القوقاز، والقوقاز الأعلى الأكثر التهاباً. أى أن تركيا اليوم واقفة على فوهة البركان الذى أحدث ويحدث التغييرات الجذرية التى تعرفها المنطقة الآسيوية – أوروبية» .

ويختم قوله قائلاً: «الزلزال هذا يخص أيضاً المناطق الشرق أوسطية جنوب تركيا حيث إن الوضع الناتج عن حرب الخليج ووضع العراق مازال ينتظران الحل.» .

الوضع الاقتصادى في تركيا :

مستوى الاقتصاد التركى، لايضعها فى قائمة الدول النامية. فصادراتها متنوعة، زراعية، وصناعية وخدمات، وسياحة وشركات مقاولات عالمية نشطة فى

كثير من الدول النامية. ولكنها لم تصعد بعد إلى صفاف الدول الصناعية الأوروبية .

رغم كل ماحصلت، وتحصل عليه، أنقرة من مساعدات مادية منذ مشروع مارشال ولليوم، ورغم أنها تفادت الدخول فى الحرب العالمية الثانية، وأنها لم تدخل حروباً قاسية وشرسة مثل مصر وكثير من الدول الغربية، فاقتصادها يواجه مشاكل عويصة الحل، على رأسها مشكلة البطالة (٧٠٪ فى المناطق الكردية) والتضخم الذى وصل حسب التصريحات الرسمية ٧٠٪ سنوياً والارتفاع الجنوبى لفوائد الودائع التى تصل أحياناً إلى ٨٠٪ وأكثر، وتدهور الليرة التركية وبالتالى القوة الشرائية. وهى فى حاجة إلى تمويل هائل لرفع مستوى اقتصادها والتقليل من عدد العاطلين. هذا بالإضافة الى عبء ديونها وخدمة هذه الديون. كل ذلك بسبب غضب شعبى عند كثير من فئات الشعب ....

نبذة صغيرة عن الوضع فى الجمهوريات الإسلامية :

نبذة تاريخية :

بعد تفتيت الاتحاد السوفيتى إلى أكثر من ١٥ جمهورية، وجدت ست جمهوريات إسلامية نفسها مستقلة، حتى دون أن تطالب أو تناضل من أجل ذلك، بل إنها كانت أكثر جمهوريات الاتحاد السوفيتى تمسكاً بالحزب الشيوعى، ورافضة التغيير والبروسترويكا. هذه الدول كازاخستان - قرغيزستان - طاجيكستان - تركمانستان - أوزباكستان فى آسيا الصغرى) وأذربيجان (القوقاز) لم تكن لها وجود تاريخى كجمهوريات (ماعدا أذربيجان) مستقلة حسب المعنى الذى نقصده اليوم. فقد نتجت عن تقسيمات إدارية وسياسية من قبل ستالين، جامعاً داخل حدودها المصطنعة أكثر من قومية بالإضافة إلى جالية روسية مهاجرة تصل أحياناً إلى ٤٠٪ من مجموع السكان الأصليين، يشغلون وللآن أهم الوظائف وأجمل المساكن. وهو مايهدد هذه الجمهوريات من الداخل مثل ماحدث فى يوغسلافيا .

كانت هذه الجمهوريات تتمتع بحكم ذاتى داخل الاتحاد السوفيتى. كانت كل هذه المنطقة تسمى فى السابق بتركستان الذى بدأ يدخلها الإسلام فى القرن الثامن الميلادى. كان معظمها ضمن الامبرطورية الروسية القيصرية، ثم الاتحاد السوفيتى، ولم تدخل مطلقاً فى نطاق الإمبراطورية العثمانية .

إن عناصر التشابه بين هذه الجمهوريات قليلة، فى حين أنه يوجد كثير من التناقضات والتنافس، حتى اللغة الأصل أى التركية، أدخلت عليها تغييرات كبيرة، من تأثير تداخل اللغات المتعددة هى المنطقة كالفارسية، بالإضافة إلى ٧٥ سنة من تأثير اللغة الروسية الرسمية .

ويؤكد كثير من المتخصصين فى المنطقة أن حكام موسكو خاصة تحت حكم ستالين تعمدوا طمس معالم هذه اللغة عن طريق تغيير الألف باء عدة مرات، من عربية إلى لاتينية ثم سيريليكية (الروسية) .

وقد لاحظ كثير من المراقبين أثناء قمة الجمهوريات الإسلامية فى تركيا فى أكتوبر ١٩٩٢ أن رؤساء هذه الدول يستمعون إلى الترجمة الروسية عندما يتكلم تورجوت أوزال أو سليمان ديمريل .

رغم أن هذه الجمهوريات كانت داخل إطار اتحاد واحد، فإن اقتصادها غير متكامل، بل إنه مرتبط وتابع لاقتصاد روسيا وموسكو التى ظلت تعتبرها ولمدة ٧٠ سنة، مجرد مخزن للمواد الأولية، خاصة النفط والغاز والذهب والقطن، وسوقاً للمنتجات الروسية. ولتكوين وحدة اقتصادية عليها إعادة هيكلة الاقتصاد كليا . وهناك محاولة لعمل وحدة اقتصادية مع تركيا وإيران والباكستان. وقد هاجمتها روسيا بشدة وسوف تحاول بكل إمكانياتها أن تقوم هذه الوحدة حول موسكو، وهناك مفاوضات بهذا الشأن .

فلا زال الهيكل الإدارى والسياسى الشيوعى قائماً، مع تغيير فى الاسم فقط، ويديره نفس الطاقم الذى كان فى الحكم قبل استقلال هذه الجمهوريات .

بين هذه الجمهوريات توجد الدول الغنية جداً مثل تركمانستان (٣.٦ مليون نسمة) التى تعتبر نفسها «كويت» آسيا الصغرى بفضل احتياطى الغاز الطبيعى الهائل .

كازاخستان (١٧ مليون) بالإضافة إلى الاحتياطى الهائل من البترول والغاز الطبيعى، بها أسلحة نووية كدستها موسكو فيها ولا يعرف كيف ستتصرف فيها.

بها أكثر من ٢٠ قومية - الأغلبية كازاك (٦,٥ مليون)، يليها الروس (٦,٢ مليون) يليها الألمان (حوالى مليون) إلخ.. أما أوزبكستان (٢٠ مليون فثروتها هى كثافة سكانها، وهى ثالث منتج للقطن فى العالم. لقد فرضت عليها موسكو هذه الزراعة الوحيدة لعشرات السنين، فسحبت ٣٠٪ من مياه بحر الآرال، مما سبب كارثة بيئية .

أما قرغيزستان (٤,٤ مليون) رغم أنها فقيرة تهم أمريكا، لأن لها حدودا مشتركة مع الصين ويمكن استعمالها عند اللزوم كعامل عدم استقرار للصين .

أما طاجيكستان فأهميتها تكمن فى رغبة الطاجيك فى أفغانستان فى الانضمام إلى هذه الجمهورية ليتخلصوا من سيطرة الباشتون الحاكمين. وبما أن الطاجيكستان يتكلمون الفارسية (ولكنهم سنة). فقد تنشىء مع إيران حزاما من الشعوب الناطقة بالفارسية من الخليج (إيران) إلى حدود غرب الصين لينافس الحزام الناطق بالتركية .

هذه الجمهوريات أغلبها فقيرة، حتى من تملك احتياطى غاز أو بترولاً، فى حاجة إلى أموال طائلة لاستغلال هذه الثروات وتطوير اقتصادها وتحويله من اقتصاد تابع إلى اقتصاد مستقل والخروج من فلك موسكو .

كما رأينا أن إمكانيات تركيا المالية ووضعها الاقتصادى من الصعب أن يمكنها من القيام بدور الممول الذى من دونه لا يمكنها من القيام بدور القيادة .

عدة إشارات وخطوات قامت بها هذه الجمهوريات الإسلامية، تدل على أنه رغم وجود رابطة عاطفية وثقافية ودينية (أضعف بكثير من التى توجد بين شعوب العالم العربى) فهذه الجمهوريات الناشئة تتجه إلى الغرب وأمريكا واليابان وبعض الدول العربية البترولية وإيران حيث توجد إمكانيات للتمويل الضرورى لاستمرارها وتطورها .

فمثلا إن هذه الدول درست فى مايو ١٩٩٣ تشكيل وحدة اقتصادية مع موسكو .

حتى دور الوسيط الذى كان يمكن أن تقوم به تركيا بين هذه الجمهوريات والمولين، بدأ يتقلص. إذ بدأت هذه الجمهوريات تتعامل رأساً، وبدون وسيط مع أكبر الشركات العالمية. فقد عقدت كازاخستان مثلاً فى عام ١٩٩٢مع شركة النفط الأمريكية «شيفرون» ومباشرة عقداً مهماً لاستغلال نفطها بواسطة هذه الشركة التى ستستثمر أكثر من مليارى دولار .

وأما أوزبكستان فقد طرحت استغلال غازها الطبيعى فى مناقصة عالمية .

بالإضافة إلى قلة الإمكانيات الاقتصادية لتركيا وقلة الإمكانيات البشرية والعسكرية للحد من النزاعات العرقية (كما فى أذربيجان - والبوسنة) فهناك التنافس الشديد على هذه المنطقة بين تركيا وإيران .

رغم أن هذه المنطقة تسكنها من قرون شعوب من أصل تركمانى، وتتكلم لغة من عائلة اللغة التركية نفسها وأغلب السكان من المسلمين السنة، إلا أن تأثير الحضارة الفارسية واضح وعميق. فقد كان الأدب يقرأ بالفارسية. وكانت التركية تستعمل كلغة العمل والدواوين. وهذا التأثير واضح فى عمارة مدن مثل بخارى، وسمرقند التى يغلب عليها الطابع الفارسى لاصفهان مثلاً، أكثر منه لاسطنبول.

العنصر المهم الآخر، هو أن إيران لها حدود مشتركة مع هذه الجمهوريات (حدود مشتركة طولها (ألف كم) مع تركمانستان) أغنى هذه الجمهوريات. وبالتالى إيران هى المنفذ الوحيد لهذه الدول الى الخليج وإلى اوروبا، وحتى إلى تركيا التى ليس لها حدود مشتركة معها .

جمهورية طاجيكستان بها ٥,٢ مليون يتكلمون الفارسية وثقافتهم فارسية.

كما أن إيران، بفضل مواردها البترولية تتوفر لها ، إمكانيات تمويل أكثر من تركيا، وهى فعلاً تمول بعض المشاريع فى هذه الجمهوريات .

فتركمانستان مثلاً تحاول أن تجعل إيران تمولها وتساعدها فى استغلال الغاز وتوزيعه، ولم يحسم للآن موضوع طريق مد أنبوب ينقل الغاز من تركمانستان إلى أوروبا. وهل سيكون الجزء الأكبر فى إيران أم سيمر عبر بحر قزوين ثم تركيا.

وقد شكلت هذه الجمهوريات كتلة بحر قزوين. لتنافس ماأقامته تركيا مع الدول حول البحر الأسود (أرمينيا - ألبانيا - بلغاريا - جورجيا - اليونان).

لذلك نرى أن زعماء هذه الدول يحرصون دائماً على التأكيد على أنها ليست فى علاقة متميزة مع تركيا أو مع إيران.

فمثلاً عقب اجتماع قمة الجمهوريات الإسلامية الآسيوية فى أنقرة فى ٣٠و٣١ أكتوبر ١٩٩٢ توجه رئيس كازاخستان إلى طهران فوراً حيث وقع اتفاقيات بترولية ومالية وثقافية مع إيران.

هذا التنافس الاستراتيجى والاقتصادى الذى يعيد إلى الاذهان التنافس التاريخى بين الامبراطورية الفارسية والعثمانية، يمكن حسب كثير من المتخصصين فى المنطقة، أن يصل الى حد التصادم المباشر.

فلإيران كثير من نقط الضعف هى الأخرى وأهم هذه النقاط هى وجود أكثر من ١٠ ملايين أزيرى داخل إيران (أى ضعف سكان جمهورية آذربيجان) ويشكلون أكبر قومية غير فارسية (هذه لا تمثل إلا نصف سكان إيران) تليها الأكراد (٧ ملايين) والأزيرى من أصل تركى مذهبهم شيعى، وقد حرصت السلطات الإيرانية المتتالية على إشتراكهم فى الحكم، كما أنهم مسيطرون على قسم كبير من الاقتصاد الإيرانى، إذ يقال إنهم يسيطرون على «البازار» لهذا هم مندمجون فى الحياة الإيرانية ولكن الخوف من الجيل الأزيرى الصاعد الذى بدأ ينظر إلى أشقائه فى جمهورية آذربيجان المستقلة، ربما لإقامة آذربيجان الكبرى.

ويد تركيا ليست بعيدة عن تشجيع هذا الجيل على الانفصال عن إيران. ترى أنقرة أن إيران تشكل حاجزاً منيعاً بينها وبين الاتصال بالحزام التركى الذى يمتد من البلقان الى الصين.

هذه المساعدات من تركيا للأزيرى، ترد عليها إيران بمساعدة أكراد تركيا والحزب «الكردستانى» خاصة أثناء معارك أكتوبر ١٩٩٢ وقفل قواعد «الكردستان» فى العراق وفى البقاع وسوريا يعد اتفاقا مع تركيا .

وإذا استطاع الطاجيك الانفصال عن أفغانستان وانضموا إلى طاجيكستان، تستطيع إيران أن تشكل الحزام الإيرانى من الخليج إلى غرب الصين .

فى هذه الحالة سيفنجر على أشده الصراع القديم بين الكتلة الإيرانية والكتلة التركية، مما سيكون له أخطر العواقب على خريطة المنطقة والقارة الأسيوية .

إنه من الواضح أن تركيا، اقتصاديا وبشرياً وحتى ثقافياً، سوف لا يكون فى إمكانها فى مستقبل منظور أن تحقق «تركيا الكبرى» الذى تجعل منها قوة إقليمية عظمى، وهو الوضع الوحيد، فى نظرنا، الذى يمكنها من التغلب على مشاكلها الداخلية، وعلى رأسها المشكلة الكردية .

إذن السيناريو الذى قدمناه بأنه بعد فترة من حرب قاسية بين الطرفين التركى والكردى، وتأكدهما من عدم إمكانية فرض حل عسكرى سيجلس الطرفان على مائدة المفاوضات .

معايير القوى بين الطرفين، والوضع الإقليمى والدولى سيحددان إما أن يكون الحد الأدنى: أى حقوق ثقافية ولا مركزية إدارية فى كردستان تركيا أو الحد الأقصى: فيدرالية فى إطار دولة تركية – كردية .

فى كلتا الحالتين، سيكون لذلك أكبر الأثر على أكراد العراق وأكراد سوريا وأكراد إيران وبما أن كردستان تركيا بها نصف الأكراد (الأكثر من ١٥ مليونا) فإن تركيا ستكون مركز ثقل كردى مهماً، وستجنى ثماراً كبيرة، نتيجة لهذا الوضع، خاصة مع استمرار غياب الدور العربى .

المصـــادر :

– عن تحليل الايديولوجية الكمالية انظر اعمال :

– الكاتب التركى كوكالب زيا – الذى يعد الأب الروحى لتركيا الحديثة .

– عن تحليل ونقد الايديولوجية الكمالية انظر بصورة خاصة اعمال الكاتب التركى اسماعيل بشكش والذى سجن بسببها من عام ١٩٧٧ الى ١٩٨٩ وقد قام بعرضها وشرحها، باحث كردى :

حميد بوزرسلان، ونشرتها بالعربية مجلة «دراسات كردية» – رقم ٣–٧ لعام ١٩٩٢ التى يصدرها المعهد الكردى فى باريس .

– عن الاقتصاد : الصحافة الاقتصادية الغربية خاصة الاسبوعية اللندنية «ميد» .

– كذلك الملف الذى اصدرته «وحدة أوربا الغربية » .

وثيقة رقم ١٣٤١ – نوفمبر ١٩٩٢ – باريس .

- Landau, Jacob : "Pan turkisme in turkey" London - 1981..

نبذة عن القائد مصطفى البرزانى

مصطفى البرزانى : ١٩٠٣ - ١٩٧٩ .

الزعيم الكردى المعروف مصطفى البرزانى ارتبط اسمه بكفاح الشعب الكردى فى العراق خاصة وفى كردستان عامة، لمدة نصف قرن، من أجل الحصول على حقوقه المشروعة.

اشترك البرزانى فى وقت مبكر من حياته فى الكفاح المسلح ضد الجيش البريطانى .

فبعد الحركات المتعددة التى قادها الشيخ محمود الحفيد ضد الانجليز اندلعت حركات عديدة فى منطقة بارزان فى عام ١٩٢٠ ثم فى ١٩٣١ بقيادة الشيخ احمد البرزانى، الشقيق الأكبر لمصطفى البرزانى، وقد شارك هذا الاخير مع شقيقه فى هذه الثورات، وظهرت قدراتها العسكرية والقيادية منذ ذلك الوقت .

فى ١٩٤٣ - ١٩٤٥ قاد مصطفى البرزانى ثورة فى منطقة برزان، توسعت بسرعة وطالبت بالاعتراف بالحقوق القومية للأكراد فى العراق، أخمدتها القوات الانجليزية معززة بسلامها الجوى، واضطر البرزانى للانسحاب بمقاتليه وعائلاته فى ١٩٤٥ الى كردستان ايران . هناك ساهم البرزانى وأعوانه فى الدفاع عن جمهورية مهاباد بكردستان ايران، التى تأسست فى ١٩٤٦ برئاسة القاضى محمد.

بعد القضاء على الجمهورية الفنية بدأ البرزانى وقواته وآلاف العوائل معه بالإنسحاب الى الحدود العراقية - الإيرانية فى ظروف قاسية جداً وبعد اصطدامات عديدة مع الجيش الإيرانى .

فى ربيع ١٩٤٧ نجح البرزانى مع ٥٥٠ مقاتل (بعد استسلام العوائل الى الحكومة العراقية) أن يجتاز باتجاه الحدود السوفيتية على طول الحدود العراقية الايرانية - التركية، بعد معارك مع الجيشين الايرانى والتركى ، وبعد أن عبر نهر «أراس» الالتجاء الى الاتحاد السوفيتى حيث بقى مع رفاقه حتى ثورة ١٤ تموز فى ١٩٥٨ فى العراق التى اطاحت بالعهد المالكى .

وبعد هروب البرزانى واعوانه عبر ثلاث حدود لدول معادية ايران – العراق – تركيا ، ملحمة شجاعة وايضا استراتيجية قيادية فريدة. فى العراق قاد منذ ١١ سبتمبر ١٩٦١ ثورة جديدة ضد حملات عبد الكريم قاسم على الشعب الكردى، على رأس الحزب الديمقراطى الكردستانى – العراق الذى يعتبر مؤسسه عام ١٩٤٦. دامت هذه الثورة الى اتفاق آزار (مارس) ١٩٧٠ والتى توصلت الى اعتراف النظام العراقى بوجود شعب كردى على أرضه ضمن الدولة العراقية .

انتكست الثورة الكردية بعد اتفاق الجزائر عام ١٩٧٥، وانطفأ نجم القائد مصطفى البرزانى الذى هاجر الى ايران ثم الولايات المتحدة حيث توفى عام ١٩٧٩ .

المصادر : مسعود البرزانى

MER NOIRE
GEORGIE
ANATOLIE
TURQUIE
ZAZAS
KOURMANDJ
AZERBEIDJANE
MER CASPIENNE
AZERBEIDJANE
MAZANDERAN
CHYPRE
MER MEDITERRANEE
SYRIE
LIBAN
DAMAS
LORES
I R A K
KHOUZISTA
FARS
KOUWEIT
KURDISTAN
ECHELLE 1:4.000.000

القاهرة

رقم الايداع : ١٩٩٣/١٠٠٦٣

I. S. B. N

977 - 07 - 0272 - 7